

دار الثقافة والنشر الكوردية
Kurdish Culture and Publishing House

العنِبُ المُرّ

قصصٌ من بلاد الكُورد

اختارها وترجمها

ماجد الحيدر

بغداد ٢٠٢٣



وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار الثقافة والنشر الكوردية
التسلسل (٦١٢)

العِنبُ المُرّ

قصصٌ من بلاد الكُورد

اختارها وترجمها

ماجد الحيدر

بغداد ٢٠٢٣

العِنبُ المُرّ قصصٌ من بلاد الكُورد
ترجمة: ماجد الحيدر
الطبعة: الاولى
موضوع الكتاب: قصة
بغداد- 2023
قياس الكتاب: cm22×14.5
عدد الصفحات:392
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 1164 لسنة 2023



باشراف المديرالعام
ئاوات حسن امين

وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار الثقافة والنشر الكوردية
العنوان- بغداد- الوزيرية


العنبُ المُرّ
قصص من بلاد الكورد
اختارها وترجمها
ماجد الحيدر

ملاحظات

* هذه المجموعة لا يراد بها أن تكون أنطولوجيا وافية للقصة الكوردية المعاصرة، لكنها نتاج لما تسنى لي ترجمته ونشره في الصحافة المحلية مما وقع في يدي منها. ولا بد لي من الاعتذار لأسماء مهمة وكبيرة من كتاب القصة الكوردية القصيرة ممن فاتني إيراد أعمالهم آملا أن تتاح لي فرصة أخرى لفعل ذلك.

* حرصنا في اختيارنا للقصص (بقدر ما سمحت به مصادرنا) أن تتنوع في أساليبها واللهجات التي كتبت بها.

* اعتمدنا في تقديم القصص على التسلسل الأبجدي لأسماء الكتاب، مع حفظ الألقاب؟

العِنبُ المُرّ

قصصٌ من بلاد الكُورد



الفهرست



مقدمة

على الرغم من ان القصة القصيرة الكوردية ليس لها تاريخ طويل، حيث كان الشعر هو الجنس الادبي الاكثر حضورا في الساحة الادبية الكوردية، لكنها ازدهرت في تاريخه الادبي الحديث اكثر من الرواية بعكس الامم الاخرى كما يعتقد البعض. ان القصة القصيرة كجنس مرن هجين وقصير يجعله مناسبا للعصر الحديث. حيث انها قد تتناول صوراً وتأملات ومواقف ولحظات من الحياة، وفي حياة الشعب الكوردي الكثير من المواقف واللحظات التي تستحق الوقوف عندها وكتابتها.

الكتاب الكورد كغيرهم من كتاب الشعوب الاخرى يحاولون ان يحددوا تاريخا عريقا للقصة القصيرة الكوردية، تارة في الادب الكوردي الفلكلوري وتارة اخرى في الكتب النثرية التي تحوي حكايات لها بعض سمات القصة القصيرة، فهناك مثلا من يجد لها اساسا في مم وزين والاربعين حكاية في كتاب (ملا محمود البايزيدي) المكتوب في سنة (١٨٥٦ م). بينما هناك من يرجع بداياتها البسيطة الى كتاب (مولودنامه) للشيخ حسين قازي (١٧٩٠-١٨٧٠). من جانب اخر هناك من الباحثين من يرى ان هذا الجنس الادبي فن غربي وصل الى الشعوب الاخرى (ومنهم الكورد) عن طريق الترجمة أو بشكل مباشر لمن له

دراية باللغات الاوربية. وهناك من يجمع بين التراث الشعبي الكوردي والقصة القصيرة الغربية كاساس لتشكيل هذا الفن في الادب الكوردي، حيث لا يمكن انكار وجود سمات للقصة القصيرة في الحكايات الشعبية للكورد كما هو حال مختلف الشعوب، ولكن في نفس الوقت لا يمكن انكار ان القصة القصيرة هي جنس ادبي جديد ظهر اولا في الغرب ثم ظهر وتطور عند الكورد بظهور الصحافة وتطورها. اول قصة كوردية منشورة هي (شاويش) للكاتب فؤاد تمو التي نشرت في مجلة (رؤژى كورد- شمس الكورد) في اسطنبول في سنة (١٩١٣). اما في كوردستان الجنوبية فأن قصة لَخَوما (في حلمي) للكاتب (جميل صائب) التي نشرت في جريدة ژيان (الحياة) في سنة (١٩٢٥) هي اول قصة كوردية. ولكن (پرِيز سابر) في رسالتها للماجستير تعتقد ان القصص المنشورة في جريدة (پێشكَوتن- التقدم) الصادرة في مدينة السليمانية ما بين العامين (١٩٢٠-١٩٢٢) اقدم من (لَخَوما).

على الرغم من ان القصة القصيرة الكوردية كانت في بداياتها، فإن مجلة (هاوار- الصرخة) التي بدأت في سنة (١٩٣٢) في دمشق قد لعبت دورا حاسما خلال فترة صدورها في تقديم نتاجات بعض الكتاب مثل: جلادت بدرخان، كاميران بدرخان،

قدري جان، مصطفى احمد بوتي، عثمان صبري و نور الدين يوسف الى قرائها. ان القصص المنشورة في هذه المجلة مقارنة بما سبقتها كانت افضل. كما أن اغلبية المثقفين الكورد متفقون على ان فترة اصدار مجلة (گلاويژ- نجمة الصباح) والتي استمرت من (١٩٣٩) الى (١٩٤٩) اي لعشر سنوات تقريبا كانت فترة ازدهار للقصة القصيرة الكوردية. حيث لعبت دورا كبيرا لا في نشر القصة القصيرة الكوردية فقط، بل ايضا القصة الغربية المترجمة. فهناك مايقارب (٢٣) قصة قصيرة كوردية وحوالي (٨٢) قصة قصيرة غربية منشورة على صفحاتها.

رغم ذلك فان التطور الحقيقي لهذا الجنس في الادب الكوردي في كوردستان الجنوبية كان سنة (١٩٧٠ م)، اي بعد اتفاقية ١١ اذار التي أقرت، رغم فشلها بعد فترة قصيرة، بعض حقوق الشعب الكوردي. فبدأ استخدام اللغة الكوردية وتم تأسيس اتحاد الكتاب الكورد وظهرت الصحف باللهجة الكرمانجية الشمالية (باديني)، هذا بالاضافة الى الدوريات التي كانت تصدر باللهجة الكرمانجية الجنوبية (السورانية) وبذلك اتسع النطاق امام الكتاب لنشر نتاجاتهم. وكانت اول بداية حقيقية للصحافة في بهدينان ظهور مجلة چيا (الجبل) في (١٩٧٠) حيث نشرت عدة قصص قصيرة كرمانجية (باديني)، وكذلك نشرت قصص في الصحف

المنشورة باللهجة الكرمانجية الجنوبية(السورانية) مثل: (هاوكارى-التضامن) و بيان اللتين كانتا تصدران في بغداد وكان اسلوب الكثير من تلك القصص اقرب الى الحكاية منها الى القصة القصيرة. لكن الأمر تغيير بعد ظهور حركة الحداثة (روانگه- وجهة نظر) حيث بدأ الكتاب بتجريب التقنيات الجديدة.

كانت انتفاضة آذار عام (١٩٩١) و ما تلتها من اقامة اقليم كوردستان، نقطة تحول في تاريخ الكورد من جميع الجوانب ومن ضمنها الادب. فقد انتعشت الساحة الثقافية في كوردستان نتيجة استخدام اللغة الكوردية في المدارس بكافة مراحلها وتطور الصحافة والطباعة، ودخلت القصة القصيرة الكوردية في مرحلة جديدة. وكان لظهور الدوريات الادبية مثل (رامان- التأمل) باللهجة الكرمانجية الجنوبية و (پيَف- الكلمة) بالكرمانجية الشمالية دور كبير في نشر القصص.

هناك من الكتاب من استمر في الكتابة حسب الاسلوب التقليدي، لكن اخرين بدأوا باستخدام التقنيات الجديدة رغم أنهم واصلوا التعبير عن الواقع، كما استمر الاعتماد على الرمزية ليس فقط لتفادي الرقابة والمحرمات ولكن كتكنيك جمالي ايضا. اصبح اللعب بالحبكة واستعمال التناص من سمات هذه المرحلة.

كما اولوا اهتماما بالخيال والفنتازيا في نصوصهم القصصية. وبالرغم من استمرارهم في تناول القضايا الوطنية والقومية الا اننا بتنا نجد الموضوعات الفلسفية والنفسية ايضا في قصصهم القصيرة، كما ان اللغة قطعت شوطا لا بأس به نحو الادبية.

على الرغم من الظهور المتأخر للقصة القصيرة في منطقة بهدينان مقارنة بظهورها في بعض الاجزاء الاخرى من كوردستان، حيث ان اول قصة قصيرة كانت بعنوان (سَرهاتيَك- حكاية) للكاتب (صالح رشدي) المنشورة في العدد الثالث من مجلة (روناهى- الضوء) الصادرة في سنة (١٩٦٠)، فإن كتاب بهدينان لم يستفيدوا، كما يبدو، من التجربة المبكرة في المناطق الاخرى حيث ظلت سمات الحكاية الشعبية طاغية عليها حتى خلال السبعينات، بينما بدات تتجه نحو الحداثة في الكرمانجية الجنوبية. وكانت (كومَر- المنجم) للكاتب (ابراهيم سلمان) التي صدرت في سنة (١٩٧٩) اول مجموعة قصص قصيرة متميزة عما سبقتها. أما في الثمانينات فقد تطورت القصة القصيرة كماً ونوعاً حيث ازداد عدد الكتاب في بهدينان مثل (انور محمد طاهر) الذي بدأ مبكرا وظل مستمرا وصادق بهاء الدين، نزار محمد سعيد، نافع آكره يي، كريم بياني، محمد سليم سواري، عبد الله جندي، جلال مصطفى، شعبان مزوري، زكي سليفاني، سرفراز

نقشبندي، راستي هروري. وكان الابتعاد عن الحكاية الشعبية واحدا من أهم سماتها النوعية في هذه المرحلة، بينما بقيت من حيث الحبكة بسيطة والاحداث متسلسلة من البداية ثم الوسط والنهاية واللغة كانت مألوفة حيث كانت الشعرية غائبة، فضلا عن استعمال بعض التقنيات باسلوب بسيط كالمونولوج. وهناك تغييرات واضحة من ناحية التقنيات في نهاية الثمانينات كما هو الحال في المجموعة القصصية (زيَر وخوين- الذهب والدم) للكاتب جلال مصطفى الصادرة في سنة (١٩٨٩) وفي بعض المجموعات التي نشرت في بداية التسعينات لكنها كتبت في الثمانينات مثل (خَريبي- الاشتياق) للكاتب (كريم بياني) في سنة (١٩٩٢)، (كالىَ بَشيَمان- العجوز النادم) في (١٩٩٣) للقاص (فاضل عمر)، (بالؤلكا شَكَرىَ- خبز محلى بالسكر) في (١٩٩٤) ل (حسن سليفاني)، واربع مجموعات منشورة في سنة (١٩٩٦) وهي: (بَكولةك بؤ دانانا بانورامايَكىَ بؤ جارا رؤز غَه يري- محاولة لوضع بانوراما لكسوف الشمس) لـ (انور محمد طاهر) ، (ئيَزده ها- المسخ) ل (بايز عمر)، (كه فالىَ بىَ به رواز- لوحة دون اطار) لـ (محمد سليم سوارى)، (هيڤييَن هلاويستى- آمال معلقة) ل (اسماعيل مصطفى) و في

(١٩٩٩) مجموعة (جوون بَرَف رؤزىَ-الذهاب نحو الشمس) ل (عكيد شفيق).

في التسعينات من القرن الماضي بدأت حركات الحداثة في الادب في بهدينان، كما بدأ الكتاب يتعرفون على افكار ما بعد الحداثة ايضا. نتيجة لكل هذا تطورت القصة القصيرة من حيث الكم والنوع بشكل ملحوظ، حيث غيروا من شكل هذا الجنس وذلك من خلال التجريب في شكل القصة القصيرة واستعمال تقنيات جديدة للتعبير عن الواقع الجديد بقضاياه واشكالياته. فظهر نص هجين يجمع بين عناصر اكثر من جنس ادبي؛ اي عبر الكتاب حدود عناصر القصة القصيرة، وكانت النتيجة طرح مواضيع واسعة في اطار نص قصير كثيرا مانشر تحت تسمية قصة قصيرة لكنه في حقيقة الامر كان نصا هجينا. كانت اسباب ذلك متعددة وكما أوضحت سابقا فان تعرفهم على سمات الحداثة وما بعدها احد اسباب ذلك، وكذلك تعرفهم على النظرية المعاصرة للاجناس والتي كانت تدعو الى عدم اهمية تصنيف النصوص الى اجناس. كذلك قد تكون طبيعة القصة القصيرة نفسها التي تستوعب هذه السمات سببا اخرا في حدوث ذلك. بهذا الاسلوب استطاع الكتاب تناول المواضيع التي يريدونها وفي نفس الوقت ضمنوا نشرها لانها ضمن نصوص قصيرة.

كما بدأ الكتاب ايضا بتناول موضوعات جديدة. اذا كانت القضايا القومية والظلم والاضهاد اللذين تعرض لهما الشعب الكوردي والتعبير عن آلامه هي التي شغلت المبدع الكوردي خلال كل المراحل السابقة وبسبب سقف الحرية بعد (١٩٩١) تناول الكتاب هذه المواضيع بشكل اوسع واعمق، بالاضافة الى الاهمية السياسية لتناول هذه المواضيع، فانها قد تخلق ذاكرة لدى الاجيال التي لم تعش هذه الماسي بشكل فعلي أو الكورد الذين يعيشون خارج كوردستان فتجعلهم يتعرفون على تاريخهم ويفهمون هويتهم. بالاضافة الى كل ذلك اصبح الادب الكوردي ومن ضمنه القصة القصيرة في هذه الفترة جزءاً من مشروع اكبر وهو تحديث المجتمع الكوردي. بدأ تناول موضوع نقد السلطة في كوردستان واخطائها من قبل الكتاب يظهر بشكل واسع في نصوص القصة القصيرة. كما ان الكثير من الكتاب في هذه المرحلة قاموا باعادة تخيل وتحول النصوص الموجودة الادبية وغير الادبية، الدينية والتراثية لاغراض ومعان جديدة.

على الرغم من ان الكثير من مفاهيم الحداثة التي تم تناولها في النصوص كانت في كثير من الاحيان في صراع مع المجتمع والدين والسياسة، فان تقنيات الحداثة التي وظفت في كتابة

النصوص ساعدت الكتاب على تجاوز تابوهات المجتمع بكل انواعها.

اعتقد ان تجربة الادب الكوردي عامة و من ضمنها القصة القصيرة تستحق الترجمة لتطلع عليها الشعوب الاخرى وخاصة الشعوب العربية حيث ظلت الصورة المشوهة التي صورها النظام الحاكم لهذا الشعب سائدة لفترة طويلة لدى جيرانه. ان القاص و الشاعر الدكتور (ماجد الحيدر) يلعب دورا مهما مع غيره من الذين اخذوا على عاتقهم مهمة الترجمة بغية تصحيح هذه الصورة.

على الرغم من اهمية الترجمة كجسر بين الامم والثقافات، فانها ليست مهمة سهلة على الاطلاق خاصة الادبية منها، فهناك دائما ذلك الجدل حول الامانه في الترجمة خاصة بين انصار الترجمة الحرفية وانصار الجانب المعاكس الذين يؤمنون بترجمة روح النص. ربما الشعر هو اصعب الاجناس الادبية للترجمة وهناك من النقاد من يرى ان القصة القصيرة كجنس ادبي قريب من الشعر وبالتالي فان ترجمة القصة مهمة صعبة ايضا. بالتأكيد هذه المهمة ستكون انجح مع المترجم الذي له خبرة في الترجمة خاصة عندما يكون في الاساس شاعرا وقاصا كما هو الحال عند الدكتور (ماجد الحيدر) الذي اصدر عشرين

كتابا من ضمنها مجاميع قصصية وشعرية وترجمات. لقد اختار المترجم في هذا الكتاب النصوص بعناية وربما هي النصوص التي استوقفته ككاتب وانسان حيث ان النصوص المترجمة في هذا الكتاب بالاضافة الى انها تعبر عن قضايا واشكاليات الانسان الكوردي وهويته، الا انها في نفس الوقت ترصد اشكاليات الانسان المعاصر في الشرق الاوسط وهمومه وماسيه، خاصة ان اغلبية النصوص المتناولة تعود الى الفترة المعاصرة.

على الرغم من ان اغلبية الكتاب الكورد في هذه الفترة كانوا مهووسين بتطوير وتغيير شكل القصة القصيرة وتقنياتها نتيجة موجات الحداثة وما بعدها الا انهم لم يهملوا المحتوى وما زالوا ملتزمين بان تحمل نصوصهم العمق الانساني.

ختاما بصفتي ناقدة للقصة القصيرة الكوردية فقد قرأت معظم النصوص في هذا الكتاب بلغتها الاصلية وقرأت ترجماتها ايضا واستطيع ان اقول ان المترجم حافظ على روح النص والامانة في ترجمته.

د. نفيسة اسماعيل حاجي

كلية الدراسات الانسانية--جامعة دهوك

أحمد محمد اسماعيل

حنين

كم من السنوات؟ أتكون ثلاثين؟ ربما..

هذه هي الساعة التي كنت أتحرق شوقا اليها طوال كل هذه الأعوام. اينما كنت، في أي بلد أو مدينة، وحالما يغمر الضوء نوافذي، ينتابني احساس غريب عجيب يعجز اللسان عن وصفه، احساس تمتزج فيه النقمة بالحسرة والغضب.. هكذا أقف أخيرا امام باب هذا البيت مثلما كنت اشتاق لان أفعل..

ما أن تفتح الباب حتى تلاقيك غرفتان متقابلتان على اليمين واليسار.. باب المنزل يعيد الى ذاكرتي تلك الكلمات الغريبة التي تلفظت بها أمي في ذلك الصباح الباكر وهم يُخرَجوننا منه.. قالت بفم باك (لم اعطهم المفتاح)

ها أنذا أقف خارج النافذة أنظر الى الغرفة اليمنى. أتطلع الى الجدار الذي يقابلني وأنقل عيني فيه شبرا فشبرا. الطاق الذي جعلته رفا لكتبي المدرسية لم يعد له وجود، المفتاح الكهربائي القريب منه ما زال في مكانه وقد استحال لون الجدار في اسفله الى سواد لكثرة ما لامسته الايدي.. آلاف المرات أشعلت ذلك الزر الأسود وأطفأته، العجيب انهم لم يغيروه. لو تأملته مليا سترى

أسفله بصمات أصابعنا جميعا.. أتذكر بأنني، في وقت ما، لم أكن أستطيع بلوغه فكنت أضع مخدة الريش المستديرة تحت قدميَ لأصل اليه. آه، كم كانت أمي تخاف الكهرباء.

الباب نفس الباب الخشبي الذي صنعه لنا بالدَين جارنا النجار، ها هو قد تشقق وتساقطت منه مزق هنا وهناك وزالت عنه قشرته وغزت الطحالب دهانه الأصفر الذي تشقق هو الاخر في بعض المواضع ولم تمتد اليه يد الاصلاح. الباب المقابل مقفل، انه يذكرني من جديد بالمفتاح الذي عند أمي.

حين تجتاز الباب ثمة غرفتان متقابلتان. تلك الغرفة التي أنظر اليها من خلال النافذة التي اغبر زجاجها وعلاه الصدأ هي التي كنا ننام فيها أنا واخوتي وأخواتي الأربع. أنظر من خلال النافذة الى المكان الذي كنا نرقد فيه ليلا مصطفّين مثل السردين المعلّب وقد تغطينا ببساط خشن.. اتذكر الحوادث الطريفة لتلك الليالي.. كانت الغرفة تختنق برائحة غازات البطون وخبز العشاء وبصله، ابتسم دون ارادة واغالب الضحك، ترن في اذني أصوات الصيحات والصفعات المتبادلة ..

- **"أنت من أطلقها"**
- **"لا والله انه عَلّو"**

- **"لا والله لم أكن أنا"**

أما (مِجه) فيلوذ بالصمت ويتظاهر بالنوم، فنطرده من تحت البساط باللكمات!

لا اتذكر متى جاء بنا أبي الى هنا، غير أنه ظل حتى الممات ييمم وجهه صوب بستانه وحقله وقصره المسوّى بالأرض ليملأ صدره بهوائهم البارد.. وكان علينا نحن أيضا أن نمتثل ونتنفس ذات الهواء.

حين تخطو نازلا قليلا ستواجه صحن الدار الصغير، انه لا يزيد على بضعة أمتار، لكننا كنا نقضي فيه كل أمورنا. هنا كنا نغتسل، نأكل، ونبدل ثيابنا. ثمة برميل صدئ مصبوغ كنا نملؤه بالماء فنشرب منه ونسقي منه الخضرة على جوانب الجدران.. كانت أمي تستعين في كل صباح بطاسة لتخرج بها الخنافس والصراصر التي تسقط فيه أثناء الليل فنشرع نحن بأخذ ثأرنا منها ونطاردها لنقتلها في صحن الدار وحجراته فيصدر عنها حين نهوي عليها صوت انسحاق غريب.

لا أحوّل عيني عن النافذة.. تمر مشاهد تلكم الأيام أمام ناظري كما الأشباح، وأكاد لوهلة أن أسمع أصواتها وضحكاتها وبكائها.. أقول لنفسي يا له من منزل حزين معتم.. أهذا هو البيت الذي

كنت تتحرق شوقا اليه ضاربا عرض الحائط بكل تلك المدن والبلدان الجميلة التي تتلألأ خلف نوافذها أضواء تدير الرأس؟!

أظل ملصقا رأسي بالشباك كمن يلصق رأسه بضريح مقدس حتى يفاجئني صوت يشق طبلة أذني كما المنشار:

- "**شتسوّي هنا؟!**"

آه.. أنه ما زال يسألني عما أفعله هنا!!

أديب عبد الله

في منعطف المزبلة

لم يفوّت فرصة، ولو بقدر خرم ابرة، إلا واستغلها لإرضاء ميله العارم للتوجه الى منعطف المزبلة. كان يرغب برؤية ذلك المنظر مرة في اليوم على الأقل، كي تملأ الرائحة التي سكنت بقايا عشه منخريه، حتى لتظن أن هذا المكان قد استحال الى موطن لذكريات كل شيء يهواه. هنا يختلي بنفسه، صار هذا مكاناً مقدساً بالنسبة اليه، وكأنه يأتي اليه كل يوم كي يرى والده. وتراه، لو فاته المجيء اليه يوماً، كمن أضاع دربه، فلا يقر قراره وينتابه حزن يعلم الجميع مصدره. إنه المكان الذي يلجأ اليه ليهدئ اضطراب مشاعره. حاول أن يحتال كي لا يكتشف الناس سر ارتياحه فيه، لكنه غدا مضغة في أفواه الناس؛ بعضهم قال لا تؤاخذوه فتلك الشجرة عند منعطف المزبلة انما سقيت بدم أبيه، أما المتعاطفون معه فقد شاطروه همومه فلم يديروا له ظهورهم بل وجدوا هم أيضا شيئا من الراحة والسلوى عند منعطف المزبلة، فهنا كانوا يهزون شكوات ذاكرتهم[١]، ويدجنون الخبايا المتوحشة، وينفخون بالونات كلماتهم، يحيلونها لرمانات يدوية ويفجرونها في وجوه قمامة

---

[١] الشكوة (ج شكاء وشكوات) وعاء من جلد يحفظون في اللبن ويصنعون فيه الزبد عند هزه.

البشر.. كانوا يفتحون قحوف الأكابر وينظرون الى أدمغتهم فلا يجدون فيها أثراً لحب الوطن أو التمسك بقضاياه. ليتهم رفعوا بالفعل قحوفهم كي تظهر كل الحقائق والأسرار التي يخبئونها في رؤوسهم وبين ضلوعهم على شاشة كبيرة. وكان في أحيان أخرى يطلق تنهيدة طويلة (أه ما أشد وقاحة الحياة ومشاكستها!) إنها تطبق على المخلصين في توابيت الموت وترفع الانتهازيين ومعسولي اللسان مثل شواهد منتصبة، وتلك المصانع: إنها تضيق الخناق على الانسان في بيئة مصطنعة، النجدة النجدة.. يا له من منظر مشوه!

**

"- **ها يا أخي.. أ الى منعطف المزبلة من جديد؟**"

منعطف المزبلة، الى اليسار!

حتى محرك سيارتك المستهلكة يعرف أن منعطف المزبلة محطة استراحتها!

لولا محطة الاستراحة لما استطاع أن يطحن هذه الأكياس من الأفكار:

هذا المنعطف أطال من عمري، لكنه استحال الى ملقى للنفايات.

نحن أيضا نفايات هذا العصر، ولهذا صار هذا المكان ملجأنا.

الأشواك العالقة أحاطت بجمالها القديم.

اعتاد والدي في وقته أن يقول:

- "هذا حصن منيع، فرض سطوته على كل الطرق والأنهار القادمة من هذا الاتجاه"

كل انتصار كان اعترافا به.

كل ورقة شجر كان لونها الزاهي عزاء ثورة، كل جولة جديدة كانت في الماضي ملحمة.

منعطف المزبلة هذا كان ينطق أحياناً بلسان مبين، كان يروي أحداث الماضي، ويقص حكايات عن بطولات غابرة، يحيل الزمن الى سمفونية شاردة. كر السنوات يسقط شعرنا، يحيله الى قمامة، سوق المستورد يصير سوق نفايات محلية، كل شيء يقف ضد نسيج طبيعته المستقيم، ليس البشر غير هباء! حتى ظلالهم يحتالون عليها.

...

في السابق، حين كانت الدنيا في بواكيرها، كان يرى بعض الخضرة فوقها، كان يذوق ذلك القند اليومي أكثر من مرة، بل يدس بعضه في أفواه أطفاله، يركبهم في سيارته المتهالكة ويقول لها:

- **"هيا انطلقي يا حلوتي** (بعيد طريقك أيها الطير المسافر) **أين أنت يا منعطف المزبلة؟ لقد جئت"**

- **"ويحك، ألا تعرف مكاناً غيره؟"**

- **"لو أنك وقفت على بيت عزاء لأطلقت رصاصات الأعراس تحت أقدامي، هل ترى رقعة أرض لم تحطها الأسلاك، هل ترى تلا لم يشيدوا فوقه قصراً؟!"**

- **"حسنا، من أين جاء هؤلاء بكل هذا؟ إنهم والله يعرفون من أين تؤكل الكتف!"**

- **"لا تقحمني بهذا، هذا ثمن ما نسجته نساؤهم"**

...

أولئك الأفضل منا كانوا يجيئون وينتزعونك من وسادة نومك ويأخذونك الى منعطف المزبلة وفجأة يخرج العابد أحمد الولهان من قبره بلبادته الصوفية المتهرئة ليبحث برما عن عقله.

- "ماذا يا عابد، هل عثرت عليه؟"

- "نعم يا "عمو" لقد عثرت عليه، لكنه يفر مني، ها هو الآن يعتلي تلكم الصخرة، والآن.. ها هو يتسلق الشجرة!"

- "لا عليك يا عمنا العابد، سوف يجعل ثمارنا أكثر جمالا، سوف تثقل شجرتنا بالثمار"

- "إيه يا "عمو" أين أنتم من هموم عمكم؟ رب قشة أحرقت بلدة!"

...

تكاد تجزم بأن معركة ما قد شبت هنا بين قطط وفئران: كانت البثور الممزقة تتدلى كالرغوة من شفتيه. أحدهم جاء بكوز من الماء البارد. إنه يتراقص مثل عود قصب وكأنما مسه الجن، هو في غاية القلق، يدرك أن أمراً جللا يوشك على الوقوع، ينتظر حدثاً ما فهو غارق في التفكير.. حسن أن يستطيع عقل العابد الذي رحل عن الدنيا قبل عشرين أو ثلاثين سنة استحضار جولات قديمة ومداواة جراح الشجر.. حسنا، ولكن ماذا كان يفعل عند منعطف المزبلة؟! ليس أكثر سوءاً من (رب قشة أحرقت بلدة) فالأمر على أية حال لن يصل الى هذا الحد لا سمح الله، لكنهم، وفي أحيان أخرى كثيرة يرى فيها كوابيس مخيفة، يأخذونه نحو منعطف المزبلة ليستعيد هناك هدوءه ورباطة جأشه. وكانت

زوجته لا غير هي من يطلب من صديقه أن يقوده الى منعطف المزبلة وكأنه أمر عادي.

...

لم تفعلها مرة أو مرتين، أتظن أحلامك تنبؤات منجمين!؟

ألا يقولون بأن الموتى متى ما شعروا بالضيق لا يقصدون الناس دون رسالة.

خمنت بأنه سيضيع معه شخصا آخر.

لو اقتصر الأمر على هذا فلا بأس.

قص حلمك هذه المرة أيضا على الأشجار المحيطة بمنعطف المزبلة لعله يفسد.

أنت تعرف كم ترتاح نفسي لهذا المنعطف كما لو كان روضة من رياض الجنة أو أنفاسا تديم الحياة ومعهداً لأحلام الطبيعة.

...

فجأة يحاط المنعطف بسياج من الأسلاك، حتى لا تقدر العصافير أن تطير فوقه. ترتخي مفاصله وأعضاؤه. قدماه لا تثبتان على الأرض ولا تستطيعان حمله. ينقبض صدره مثل غيره

من مريدي الثورة. آماله يراها معلقة بكلاليب قصابين مدلاة (ربي إليك المشتكى!)

وعاد الى البيت بقلبه الكسير ورأسه المحني وسحنته المتغيرة فاستقبلته ابنته قائلةً:

- "**عجبا! لقد صغر هذا الكون حتى لم يعد فيه متسع لسكينة نفس أبي**"

أما زوجته فقد أحالت نفسها الى مكب للنفايات كي تمسح العرق من باطن نعليه!

آزاد برزنجي

الجـرو

في ذلك اليوم توجه هوشمند حال وصوله البيت صوب المرآة الكبيرة الموضوعة في المدخل وراح يتأمل صورته بدهشة واستغراب وطفق يحدث نفسه:

- "لم يجانبوا الصواب إذن: جسدي يتضاءل!"

نعم، ففي صباح اليوم نفسه قابله أحد الحراس وهو يهم بدخول دائرته متسائلا:

- "كيف حالك يا أستاذ؟ أرجو ألّا تكون مريضاً"

وعندما دخل غرفته صارحه اثنان من زملائه بأنهما يشعران بالقلق من تضاؤل جسده يوماً بعد يوم، لكنهما كانا يترددان في اخباره. وها هو هوشمند يتأكد، وهو ينظر الى صورته في المرأة، من صدق ملاحظات أصدقائه وزملائه. نعم، ها هو معطفه وسرواله والقميص الذي على جسده تتسع عليه.. وبالأمس لا غير رآه صديق قديم فخاطبه:

- أنت، مذ عرفتك، غارق في قراءة الكتب، فهلا أخبرتني بما فعلته لك؟ لمن تقرأ وتكتب؟ لو كان ثمة من شيء لا قيمة له

في هذا المجتمع فهو الكتاب والقراء والمثقفون. ارحم نفسك. وفر حماسك لنفسك ولعيالك. لم يبق في جسدك مقدار ما بنملة من دم!"

وأمعن هوشمند النظر في المرأة:

- "لقد أهملت نفسي تماما. صديقي نطق بالحق فقد جعلت الكتب خبزي ومائي وتركت كل ما عداها خلف ظهري. ترى هل أصبت بمرض عضال؟ لكن أي مرض؟ آه.. انه مرض القراءة. المرض الذي يصيب المجانين الهائمين بعشقها. إنه المرض الذي يسمونه بلغة علم النفس ببلومانيا. نعم هو ذاك. أنا لست إنساناً طبيعيا ولهذا أقرأ وأقرأ وكلما أوغلت في القراءة ازددت حساسية وتضاعفت آلامي، وهذا ما يترك، دون شك، آثاره المدمرة على جسدي وصحتي. يقول هاملت: أكون أو لا أكون، تلك هي المسألة! كانت المعادلة عندي هكذا: يقرأ المرء كي يزداد فهما لنفسه ومعرفة بالعالم، ليزداد تأكيداً لوجوده وكبرا من جميع الأوجه. لكن المعادلة صارت لديّ بالمقلوب، فها هي القراءة تذيب جسدي شيئا فشيئا حتى لأكاد أفنى. لا تحملوا كلامي محمل السخرية! انظروا حواليكم، أولئك الذين لا يقرأون يزدادون صحة وعافية يوما بعد يوم وتغلظ رقابهم ويعيشون في أحسن حال. انهم لا يفكرون قط في آلام الحياة وأوجاع البشر.

أما الذين وهبوا أعمارهم للقراءة والتفكير والتأمل فتراهم أبداً في قعر الأرض. إن لم تصدقوا فتفضلوا انظروا الى تاريخ البشرية كي تروا أي حياة تعيسة عاشتها الغالبية العظمى من الفلاسفة والكتاب والفنانين، لا بسبب الحكام فحسب، بل من ذلك الاستخفاف والأذى اللذين قابلهم بهما الناس لأنهم كانوا مختلفين عنهم. لأنهم لم يعيشوا من أجل الطعام والنوم والتكاثر. لأنهم لم يكونوا أناسا عاديين فلم يفهمهم الناس وصاروا محط استهزائهم"

- "هوشمند! هوشمند!"

أعاده صوت زوجته الى الواقع.

- "علام تقف متصلبا هكذا قبالة المرآة؟ أخشى أن تكون معجبا بشكلك وهيئتك! ستظل ضعيفا هزيلا ما حييت!"

آه! ها هي زوجتي تعيد علي الكلام نفسه! هذا يعني أن الحالة التي أنا فيها ليست طبيعية البتة. لكنني أعرف بأنني لست مريضا. أنا أعرف نفسي تمام المعرفة: نفسياً وجسدياً. لقد قرأت من كتب علم النفس قدرا جعلني أفهم كل حركاتي وسكناتي وحالاتي النفسية. أنا أصلا أنظر للأطباء النفسيين بعين السخرية.

إنهم لا يملكون نصف ما أملك من معلومات في علم النفس والطب النفسي!

لكن زوجتي كانت مقتنعة بأنني مصاب بمرض نفسي أو جسماني فأصرت، بعد طول جدال، على اصطحابي الى الطبيب. وبعد فحوصات جسدية ونفسية كاملة وقف الأطباء عاجزين ولم يكتشفوا فيّ أي مرض.

غير أنني، على كل حال، طبيبُ نفسي، وأعرف أن الحالة التي أمر بها لا هي بالنفسية ولا الجسدية، بل هي مرتبطة بالوعي. وتحدث متى نظرت الى الأمور بطريقة مغايرة للآخرين، ومتى فكرت بها بأسلوب مختلف، ومتى استحال انسجام وجدانك مع وجدان الغير. لا أظن أن أحدا سواي يمكنه فهم حالتي. لكن هل يؤثر التفكير على جسد المرء حتى يتضاءل الى هذا الحدّ؟

- **"هوشمند! ماذا حدث لك؟ علام تقف متسمرا أمام المرآة؟"**
- **"لا.شيء!"**
- **"لكن لماذا أنت صامت هكذا؟"**
- **"ومتى كنت صامتا؟"**
- **"منذ فترة وأنت تطيل الصمت. رغم أنك كنت صموتا قبل هذا، لكن صمتك أخذ مؤخرا بالازدياد. لا أعرف ما أصابك. إن**

كان بك شيء فاخبرني. كأنك غريب بهذا البيت. تقضي أحيانا ساعات طوال دون أن تنبس بكلمة، لا معي ولا مع الأطفال"

لا أعرف ماذا أقول. كيف أجعل زوجتي وأطفالي يفهمون ما أشعر به وأفكر؟ لكن هل من داع لإفهامهم؟ كلا! فلأجنبهم الانشغال بحالتي. هذا الذي أنا فيه يجعلني أشعر بغربة كاملة ازاء كل من حولي. كثيرا ما تمنيت أن أنجح أنا أيضا في أن أحيا حياة طبيعية مثلهم وأن أفكر بطريقتهم. يقول كاتب فرنسي (التفكير بداية لفقدان راحة البال). وها أنا ذا أرى بأم عيني بداية هذا الضياع. لقد صرت شديد التحسس كما أسلفت. وغدا كل تصرف غير انساني أو كل فوضى مهما صغرت تؤذيني من الأعماق. صحيح اني لست ذاك الشخص الذي يستطيع اصلاح كل أخطاء الدنيا، بدءاً مما أشهده من حولي، كلا بالطبع. لكنني لا أقوى على التوقف عن معاناتي. حين أرى كل هذا الظلم من حولي، حين أرى كل هذه الأفعال الدنيئة وكل تلك الفوارق الكبرى بين البشر، وكل هذه الوحشية التي يعامل بها الناس بعضهم البعض، فلا أفلح، مهما حاولت، في استعادة توازني النفسي. ربما سخر البعض من حالتي واستغرقوا في الضحك والقهقهات، فهذا، كما أسلفت، إحساس يصعب إيصاله الى الآخرين، ولهذا تراه يأكل

روحك رويدا رويدا مثلما تقضم دودة باطن تفاحة، بل إنه ليأكل جسدك على ما يبدو، ولهذا يتضاءل جسدي.

- "هوشمند! مع من أتكلم؟ لماذا لا تذهب لتستبدل ثيابك وتأخذ قسطا من الراحة؟!"

...

كان جسد هوشمند يزداد صغراً، ولقد أحس هو نفسه بذلك، خصوصاً عندما يسير بجوار تلك العمارات الشاهقة التي تعلو يوما بعد يوم حتى لتكاد تطاول السماء فيرى نفسه إزاءها مثل نملة ضئيلة، أو كما كان يحدث له عندما يدخل مجلس عزاء فيرى كيف يرحب أصحاب المأتم بالآخرين بسبب أجسامهم العريضة والبذلات التي يرتدونها مما يسهل ملاحظاتهم. لكنهم لم يكونوا يرحبون به كما لو انهم لم يلاحظوه بسبب ضآلته. ويحدث الأمر نفسه عندما يصادف أن يحضر حفلة ما، فلم يكن الرجال فقط لا يشعرون بوجوده بل النساء كذلك، فالنساء يرغبن بالنظر الى الرجال ذو المناكب العراض والصدور الكبيرة ذوي البذلات الأنيقة وأربطة العنق والمنشغلين دوما بالمزاح والسخرية وإلقاء النكات. أما رجل مثل هوشمند بجسده الضئيل وجهله بالنكات وطبيعته الصامتة وحمله لهموم الدنيا فليس لهن به شأن!

...

في أحد الأيام كان هوشمند يسير في طريقه وهو يفكر كعادته كيف أن الأيام تزداد طولا وقبحا في هذه المدينة. وعندما هم بعبور الشارع ظهرت أمامه سيارة مظللة النوافذ تسير بأقصى سرعتها وتقل نفرا من الحراس الشخصيين لأحد المسؤولين الحزبيين وصدمته بكل قوتها ثم مضت دون أن تتوقف لحظة واحدة. سقط هوشمند أرضا وفارق الحياة في الحال من نزف شديد في دماغه.

نجح أحدهم في تسجيل أرقام السيارة، برغم صعوبة قراءتها، وأعطاه لرجال الشرطة. وعندما استدعي السائق وسئل:

- **"لماذا صدمت إنسانا وقتلته ولم تتوقف من أجله؟"**

أجاب قائلا:

- **"لم أكن أعرف أنه انسان. كان من الصغر بحيث ظننته جروا صغيرا يعبر الشارع، ولهذا لم أجد ضرورة للتوقف من أجله. كان مسؤولنا على موعد لاجتماع مهم ويحتاجنا لعمل ضروري فتوجب علينا أن نسرع اليه!"**

أسعد عزيز محمد

ريبورتاج عن موت كاتب

في الجريدة التي أعمل بها كلِّفت بكتابة ريبورتاج عن موت الكاتب المعروف (ح، هـ). كان هذا الكاتب والأديب يبلغ من العمر أربعة وخمسين عاما، إنه أديب مشهور، أصدر تسعة مؤلفات، يكتب في العديد من المجالات وله ثلاث روايات آخرها بعنوان (قصة لم تكتمل).

عندما كلفت بهذه المهمة لم يكن الكاتب قد فارق الحياة، لكنه راقد في المستشفى بسبب مرض عضال. زرته هناك عدة مرات ولاحظت أنه فقد كل أمل بالبقاء وغدا مجرد إنسان ينتظر موته. لكن الأطباء ظلوا جميعا يؤكدون أن مرضه ما زال في مرحلةِ "لو شاء لاستطاع". بكلمات أخرى لو أبدى المريض استعداده لتلقي العلاج المطلوب لكانت آمال الشفاء كبيرة ولربما شفي في وقت قصير جدا. تحدثتُ مع الأطباء وأشاروا جميعا الى هذه النقطة، بيد أن الكاتب لم يعر اهتماما لصحته فكان يدخن بشراهة علاوة على قلقه وحزنه المستمرين. ثم زرته في بيته عندما غادر المستشفى وحاولت أن أصل الى العوامل التي أدت الى مرضه وأردت أن أعرف أسباب أحزانه وآلامه، لكنني اكتشفت بعد عدد

من زياراتي بأن الدخول الى تفاصيل حياته أمر عسير للغاية وليس من السهولة بمكان أن يقف المرء على محطات حياته أو يضع يده على الجراح الفاغرة لهذا الرجل الذي طالما سحرنا جميعا بقلمه. ثمة أعمال لا تصل فيها الى نتيجة حتى لو أخذت منك وقتا طويلا فتفكر عندها بنفض يديك منها. لقد سوّدت العشرات من الصفحات في كتابة هذا الريبورتاج ثم عدت ومزقتها، وأعدت الاستماع مرارا الى التسجيلات الصوتية لأحاديثه فلم استشف منها شيئا غريبا أو ما يشير الى ترقب موته الوشيك.

لكن ما حدث كان خلاف كل التوقعات؛ ففي ساعة متأخرة من ليلة ظلماء بلغني نبأ وفاة الكاتب (ح، ه). ورغم أنه كان خبرا سيئا أسدل جوا من الحزن والألم بسبب عمره القصير وانتظار الجمهور لمزيد من كتاباته، فإنني لا أخفيكم سرا إذ أخبركم بشعوري بنوع من الارتياح حين فكرت بأن موته قد يكشف للرأي العام العديد من الذكريات والصفحات السرية في حياته. في الصباح التالي، وقبل ارتفاع الشمس، بكّرت بالوصول الى باب الكاتب سابقا أقرباءه ومعارفه. ومع حُزم الشمس الذهبية تكشّف رويدا رويدا الكثير من الأسرار والخفايا، كما لو أن الحياة كانت حاجزا منيعا أمام ظهور الحقائق، حاجزا انهار بموته لتنكشف على الملأ حقيقة حياته. خلال مراسيم مواراته الثرى توصلت الى

أن الكاتب المعروف كان لديه قبل سنوات صديق حميم يحبه كثيرا ولا يكاد يفارقه في حلّه وترحاله، حتى أنه صار جليسه، هو وزوجته، على مائدة الطعام في كثير من الأحيان. لكن زوجته أخذت تنغمس شيئا فشيئا في علاقة غير بريئة مع صديقه ثم تركته وهربت ملتحقة بذلك الصديق. سقط الكاتب مريضا منذ ذلك اليوم، لكن مستوى كتاباته تصاعد الى حد كبير، خصوصا في كتابه الأخير (قصة لم تكتمل) الذي أعلنته الاحصائيات أكثر الكتب مبيعا لذلك العام. في الغلاف الخلفي للكتاب يقول الكاتب (ح ، هـ):

- "الموت ليس مخيفا، لكنك عندما تنتظره وتتحسر عليه تراه يتأخر ويتلبث. غير أنه يمسك بتلابيبك ولا يمهلك ثانية واحدة حين لا تكون بانتظاره وساعة يكون رأسك وخيالك مكتظين بعشرات المشاريع والأفكار والمخططات. بقدر ما يشكل الموت راحة من آلام الحياة وأوجاعها وأحزانها فإنه يكون سببا في انقطاع أعمال الحياة ومشاريعها، وبموت بعض الناس تختل أيضا أوضاع الحياة عندنا حين لا يكون موتهم متوقعا أو منتظَراً"

خلال مراسيم الدفن والعزاء خيّمت على الجميع أجواء من الحزن والهم. أجريت بعد ذلك لقاءً مع زوجة الراحل السابقة فأكدت خلال

حديثها بأن انفصالها عن (ح، ه) وزواجها من صديقه قد تمّا بالتراضي لأن علاقتها بزوجها وصلت الى مرحلة لم يعد فيها بوسعهما أن يستمرا في العيش معا. ثم قمت، لأجل إلقاء المزيد من الضوء على الحقيقة، بالحديث مع ابن الكاتب الذي أكد بدوره أن علاقته بأبيه لم تنقطع في يوم ما رغم كونهما مقيمان في بلدين مختلفين، إذ كانا يتواصلان هاتفيا في نهاية كل اسبوع للاطمئنان على بعضهما البعض. أما بخصوص انفصال والديه فقد أكد بأنه كان شأنا يخصهما فهي حياتهما الشخصية وهما المسؤولان عن تصرفاتهما ومواقفهما، رغم أنه لم يخفِ بأن ذلك الانفصال قد أثر على حياته سلباً بسبب حرمانه من حنان أبيه الى حد ما.

جرت مراسيم الدفن والعزاء بشكل طبيعي، لكن تقرير الطبيب الشرعي الذي ظهر في اليوم الرابع وضع الجميع أمام التساؤل عندما أعلن بأن نتيجة التشريح تؤكد بأن موته حدث بسبب تناوله لمادة سامّة. العديد من الأسئلة ظلت تحوم بعد هذا التقرير دون أجوبة:

-"من دسّ له هذا السم؟"

-"من صاحب المصلحة في قتل الكاتب؟"

-"هل تناول السم طوعا أم أرغمه أحدهم على ذلك؟"

-"لماذا؟ كيف؟ متى؟ أين؟..."

هذه الأسئلة والعديد من الأسئلة الأخرى من قبل الشرطة والجمهور جرى طرحها في ريبورتاج موت الكاتب، لكن الأجوبة لم تزح الستار عن الحقائق فاضطررت الى إنهاء الريبورتاج مبقيا على تلكم الشكوك والتساؤلات.

إسماعيل مصطفى

الطبال

مهداة الى الفنان شيخو

أنا شيخو، شيخو الذي يعشق طبلته. كان هذا فني مذ كنت صغيراً وها أنا قد كبرت وكبر معي عشقي لهذه الطبلة. فني عمل مبارك. هدفنا أنا وطبلتي هو إدخال البهجة الى قلوب الناس، فمع إيقاعاتها وألحانها تنتاب الجسد والعقل والأيدي والأرجل سعادة غامرة ويكتسي الوجه بابتسامة عريضة. وحين يرخي الليل سدوله نأوي أنا والطبلة ضيفين على حانة ما حيث نجد السلام والسكينة.

أنا وطبلتي نزين نفسينا مثل عاشقين: أنا بزاهي الألوان المبهجة وهي بألوان مضيئة متنوعة مثل عقود تلتف حول جيدها. ليس سهلا على المرء أن يضرب بالعصي حبيبته المدللة ليجبرها على إصدار هذه الأصوات. إنها ألحان الآلام والأكدار لكنها تتحول الى أمواج من الفرح وأمطار من الأحاسيس. الرجال أنصاف الثملين ينتصبون على أقدامهم ويشرعون بالرقص على تلك الألحان وتكاد تنبت لهم أجنحة من فرط السعادة. أنا وطبلتي نفرح عندما نرى الناس فرحين وعندما نكون نحن سبب سعادتهم، لكن

سعادتنا تكبر عندما يمدون أيديهم الى جيوبهم ويزينون طبلتي وطاقيتي بالأوراق النقدية كي نعيش بها أنا وعيالي.

ما العمل؟ ما من حل وأنا على بعد آلاف الكيلومترات عن أسرتي وأطفالي كي أدبر لقمة الخبز لهم ولي. أنا والطبلة مثقلان بهمٍ كبير. هم أن ندبر معيشة تلك الأسرة التي تنتظرنا، ولهذا ترانا نذيب نفسينا من التعب كي لا يذوبون من الجوع.

في الليالي التي نحصل فيها على إكراميات جيدة أنسى تعب أصابعي ويدي فتنسى طبلتي أوجاع جنبيها التي سببتها العصي التي انهالت عليها.

لكن هذه الأزمة الطاحنة جعلت الناس يقلون ليلة بعد أخرى وتظل المناضد فارغة وجيوبي أفرغ منها، ونحار أنا وطبلتي المسكينة: أين نمضي؟ أين نولي وجهنا؟ هذه أول مرة نتخاصم فيها. علينا أن نصل الى قرار ما خلال هذه الأيام. ربما يكون قرارا صعبا يقودنا الى مصير مجهول. ربما تذكرنا الشاربون بين حين وحين. ربما سردوا ذكريات أيامهم الماضيات وكيف كنت أجثو على ركبتي وأرفع حبيبتي وأضعها على رأسي وأكتافي فتدب الحياة في هذه الحانة ونقدم على حركات بهلوانية تدخل السرور

على قلوب الجالسين. ماذا نفعل الآن وأي قرار نتخذ؟ لا أنا ولا طبلتي نعرف مصيرنا وهل سنبقى معا؟

اسماعيل هاجاني

زبيب

كان يحب الزبيب كثيراً. وتضطرب معدته ويتعكر مزاجه طوال النهار إذا لم يتضمن إفطاره، خصوصاً في فصول الشتاء، دبس الزبيب. في كل خريف، يشتري "مَنّاً" من التين المجفف وأكيالاً من الزبيب الأسود والأصفر وأصناف المؤن الحلوة. وكان، الى ذلك، يعشق القرع العسلي الأصفر؛ فهو يكبُر زوجته بعقدين من السنوات، ولا أعرف من أدخل في رأسه أن هذه الأطعمة تزيد الفحولة.

لكنه، في هذا الخريف، لم يهنأ بزبيبه: حمي وطيس الثورة ، وانتشرت شائعات بأن كل بيت في السهل تعثر فيه الحكومة على زبيب أو أية محاصيل جبلية سيحل عليه غضب الله ويُتهَم بمساندة الثوار، ودليلهم على ذلك أن أصحابه يقايضون حنطتهم بزبيب الجبال وأن من يتاجر مع العصاة ويبيعهم حنطته مذنب مثلهم.

لكنه يهزأ من هذه الأقاويل ويهز رأسه قائلاً:

- "خرّب الله بيوتكم! إن عقولكم لأصغر من عقول العصافير! كيف تدوس الحكومة على كلام الله؟ ألم يقل في القرآن الكريم (والتين والزيتون)؟"

ثم ينظر الى الملا ويسأله:

- "أليس كذلك يا مولانا؟"

ويجيبه الملا:

- نعم يا عُزير، أنت على حق. لقد ورد ذكر التين والزيتون، والأعناب أيضا في آيات أخرى. لكن الزبيب والدبس لم يرد ذكرهما!"

-"هل يعني هذا أنك تحرّم بيع الزبيب وشراءه؟"

-"أنا لم أفعل ذلك يا فلان، لكن الحكومة قررت ذلك."

-"قسما بهذا القرآن الذي تتلوه سأظل آكل الزبيب سواءا كان ممنوعاً أم لا. والله كريم عندما تأتي قوات الحكومة!"

...

لم يمض أسبوع حتى نزل نمور جبل (بيخير) وهجموا بثلاثمائة مقاتل بيشمركه على عين زاله ليشعلوا النار تحت أقدام السلطة الحاكمة. ولفّت قريتهم عاصفةٌ هوجاء من جنود الحكومة. لم

يسمحوا للعيال والصغار ولا للأغنام والحيوانات بالخروج من القرية. قلّبوا بيوتها واحداً واحداً عابثين مفتشين. وأرتفع عويل العجائز والأطفال الى عنان السماء. وعندما شبّت النار في سقف بيت عزير غطى صراخ صغاره على كل الأصوات، فيما أطبق ضابط على ذراعه وراح يهوي بالخيزرانات على أردافه وهو يصرخ به:

-"ها.. أنت لم ترَ البيشمركه؟ من أين جاءت إذن أعواد الزبيب التي على سُفرتكم؟ هل تنكر أنكم تأكلون الزبيب؟!"

كان عزير يرتعش كالطير بين يدي الضابط، وكاد أن يجيبه بأن الله نفسه قد تحدث عن العنب وأنه ليس محرَّما، وأن أسواق الموصل وبغداد مليئة بالزبيب وغيره من المؤن الجبلية، لكن الخيزرانات قطعت عليه الدرب فلبث كالأخرس ولم يستطع أن يصل شفته العليا بالسفلى.

وبينما هو في هذا الحال، حانت منه التفاتة فوقعت عينه على اللهيب الذي يتصاعد من بيته كالزوبعة فابتلع ريقه بصعوبة وقال في نفسه:

-"حسنٌ أن الزبيب المدفون تحت الأرض لا تلوحه النار!"

وركله الضابط ثانيةً على صدره فألقاه أرضاً وصاح بمن حوله:

-"إذهبوا واجلبوا لي واحداً يعرف العربية كي يسأل هذا الناشف الدماغ من أين جاء بالزبيب"

وجاء الملا وهو يكاد يسبق الجنود مهرولا وقد أمسك قرآنه بيده عازماً أن يقول للضابط:

-"أقسم بهذا القرآن بأن هذه العائلة لا علاقة لها بالعصاة"

لكنه وصل متأخراً الى بيت عزير، ربما لأن الأخير كان يقسم زكاته نصفين: نصف يعطيه للملا والنصف الآخر لزمّار القرية! غير أنه عندما رآه على هذا الحال رق قلبه له فطفق يقول بعربية طليقة:

-"لماذا يا سيدي تفعل هذا بالمسلمين؟ نحن في هذه القرية أصدقاء لحكومتنا وها أنت ترى أن كل بيت فيها يرفع علماً أبيض على سطحه. حتى الطائرات تعرف ذلك"

-"اسأله من أين جاء بالزبيب، وكيف وصل الى بيته إن لم يكن متعاوناً معهم؟"

-"أنا على استعداد لأن أحضر لك أكثر من شاهد بأن هذا المسكين اشتراه من الموصل. أسواق بغداد والموصل مليئة بهذه

المنتجات الجبلية، فلماذا هي حلال ويسمح بها القانون على أهل العراق كلهم وممنوعة ومحرمة علينا في قرانا، علماً أن سنة كاملة مضت منذ أن مُنِع عنا الشاي والسكر والأرزاق. لا أعرف ما ذنبنا؟ لم لا تجمعنا كلنا وتحرقناعن بكرة أبينا؟"

وأطرق الضابط قليلا حين سمع حديث الملا، ثم مد يده الى ساعد عزير ورفعه عن الأرض ونفضه وقال:

-"لا تتناول زبيباً بعد اليوم. هل فهمت؟ استعيضوا عنه بالتمر فكل تمرة أكبر وأطيب من الزبيبة بعشر مرات"

وهمهم عزير بصوت منكسر:

-"قل له يا مولانا أنني لا أحب التمر، فهو يسبب لي الإسهال!"

اسماعيل هاجاني

كَفَنُ جدَّتي

كانت عجوزاً مخضرمة، عاصرت قرنين من الزمان. ذات جسم متين صلب كما الرجال، فلقد نسيت، منذ أيام خط تلفسني[1] انها امرأة، وأخذت تتصرف مثلهم تماما، وصارت الأم والأب. كانت تحب الأحذية ذات الأربطة، وترتدي في الشتاء، مثل الرجال بالضبط، معطفا طويلا يتهدل على جسدها. مضيفها كان ديوان القرية الكبير وفيه تُحَل كل المشاكل وتُبحث كل الامور، فهي الشفيعة وهي الملاذ في كل قضية شائكة، وهي القابلة التي ولد على أيديها أغلب أطفال القرية، وهي غاسلة من يموت فيها من نساء وأطفال. كانت تقدم على الأمور مثلما يفعل الزعماء، وتعشق سيدة الهند انديرا غاندي، وتقول:

-"أنها أختي. إذا لم تصدقوا فانظروا الى الشبه الذي بيننا في الأنف والشعر والقامة"

---

١ خط تلفسني: خط دفاعي بناه الانكليز جنوبي دهوك في مواجهة الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى.

ولهذا ارتفع ضغطها يوم استشهدت أنديرا، ووقعت نصف مشلولة، وبلغ بها الأمر أن أقامت لها مجلس عزاء في بيتها، ومن فرط حبها لها سمّت اثنتين أو ثلاثا من حفيداتها باسم أنديرا.

كان الحزن والسأم يتملكانها يوماً بعد يوم. حجّت وطافت بالحجر الأسود ثلاث مرات، وفي كل مرة تعود بلفافة من قماش أبيض وقربة من ماء زمزم وتقول لمن حولها:

-"كفنوني حين أموت بثياب الحج واغسلوني بماء زمزم"

كانت تطلب الموت والموت يدير لها ظهره. في كل يوم ترفع كفيها بعد الصلاة وتدعو:

-"إلهي، استرجع أمانتك. كفاني ما عشت"

لم تكن تستطيع الصلاة بصمت، وهي مثل ملالي الكورد، تفشل دائماً في التفريق بين المؤنث والمذكر، وتثير الصخب بصوتها الرفيع المرتفع مثل قامتها. كانت المسكينة تلفظ الكثير من كلمات الصلاة بصورة معكوسة، وكنتَ تضحك كثيراً حين تصل الى التحيات، إذ لم تكن تعرف كيف تتلوها، فتكتفي بأن تردد:

-"هُويْ هُويْ يا نبي جُعلتُ فداك!"

فيحتقن وجهك من الضحك أما هي فتترك الصلاة في كثير من الأحيان لتعنفك:

-"هه هه هه يا خصية أبيك! أيها الكافر الغليظ. كان يوماً أسود يوم أرسلتك للمدارس!"

وحين تفرغ من صلاتها تقول:

-"يا رب هبني ميتةً مستورة"

في إحدى المرات اعترضتها قائلاً:

-"الموت هو الموت يا جدتي! إنه باي باي. سوف تصبحين وليمة للديدان والصراصير. لكنك مع الأسف لستِ غير جلد وعظم وبقايا لحم هزيل، ولهذا لن تجني الديدان والصراصر شيئاً من موتك. علام إذن تطلبين من الله في كل صلاة ميتةً مستورة؟ وهل هناك ميتة غير مستورة؟ إنه الموت والسلام!"

-"أستفوللا، أستفوللا (أستغفر الله). نعم يا ولدي، الميتة المستورة هي التي يموت فيها الانسان بين أهله وناسه، وفي فراشه ومطرحه، ويلفونه بالأكفان ويديرون وجهه شطر القبلة. أما الميتة غير المستورة فهي التي يغادر فيها المرء دنياه دون

قبر وكفن، دون تلقين وياسين، دون عشاء للمعزين ودون توزيع خيرات لثلاثة أيام، ودون اسبوع وأربعين ورأس سنة"

كنت تمازحها أحياناً وتقول:

-"أنتِ يا جدتي من بقايا زمان دقناووس، وربما تتذكرين زماناً لم يكن الله قد خلق الجبال بعد، وربما رأيت الاسكندر ذا القرنين بأم عينيك"

فتضحك وتجيبك:

-"كلا يا ابن البقرة. لم أر الاسكندر لكن الذين رأوه حدثونا عنه وقالوا أنه كان ذا قرنين في رأسه"

ثم تعود لتقول:

-"إلهي. عجِّل باسترجاع أمانتك! لم أعد أطيق دنياي. رحل الأخلاّء جميعا ولم يبق منهم من يؤنسني. هذه ليست الدنيا التي عشت وكبرت فيها، أنها دنيا أخرى"

فيستشيط قلبك وتقوم لتعانقها وتضمها الى صدرك وتغرس أصابعك في شعرها الشائك وتقول:

-"آه يا جدتي. إنكِ لملاك. هذه الدنيا ليست باقية إلا إكراماً لمن هم مثلك. أنتم الخير والبركة"

وتجيبك بين شهقاتها:

-"كفاني يا ولدي. وهل هذا زماني؟ إني لأَتذكرُ حرب المسقوف. أتذكر إهلاك الأرمن. أتذكر المجاعة الكبرى حين لم ينج من الطاعون أحد في ديارنا غير طفلين"

وترفع يديها وتعود لتقول:

-"إلهي استرجع أمانتك وأكرمني بميتةٍ مستورة!"

وتسألها:

-"أخبريني يا جدتي: هل رأيتِ الثلج الأحمر حقاً ؟ كيف صار أحمر؟ لماذا كان أحمر؟"

-" لا أعرف كيف حدث ذلك. لا أتذكر جيداً. كانوا يقولون أنه الثلج الأحمر. لم يكن غامق الحمرة كبراعم نيسان، لكنه مثل شمس الغروب. قالوا إن الله قد غضب على عباده لكثرما عمَّ الفسق والفجور على وجه الأرض، ولكثرما انتشر الحكام الظالمون وأريقت الدماء. ولهذا حذر الله العباد بأنه سيهلك

الأرض إذا لم يستقيموا. فديتك يا ولدي؛ عد الى رشدك ولا تترك صلاتك يا حَمَلي الصغير!"

-"سأفعل إن شاء الله"

-"نعم يا ولدي. إني لأغبطك لأنك تعرف العربية وتستطيع الإجابة على أسئلة المنكر والنكير. أما أنا البائسة فلا أعرف كلمتين من لغة الآخرة. زرت بيت الله ثلاث مرات بشق الأنفس وبكدِّ أظفاري وبالاستدانة وبحياكة السجاد والجوارب، ولم يبق لي غير ثلاثة أذرع من قماش الكفن وفنجانين من ماء زمزم وضعتها في ذلك الصندوق الأزرق تحت السلم. فديتك يا ولدي؛ حين أموت كفِّن جدتك بها وأسكب عليّ ماء زمزم"

...

كان هذا الحوار يدور في رأسك وتستعيد الشريط في كل خطوة تخطوها. وعندما هطل الثلج الأسود خلال الهجرة الكبرى كنتَ تحملها على ظهرك مثل جذع شجرة وكانت هي تبكي وترتجف مثل طفل أضاعه أهله. كان فمها متجمدا مطبقا ولم تكن تفهم من بين طقطقة أسنانها إلا هذه الكلمات:

-"هذه نهاية الدنيا. ها أنذا أرى الثلج الأسود أيضاً"

في مضيق "هَفت تَنون" باغتها الموت وتجمدت يداها ورجلاها. لم يكن في يدك إلا أن تضيف شاهدة صخرية أخرى الى شواهد القبور التي تناثرت هنا وهناك، ثم تلتقط بعضاً من أوراق البلوط الذابلات وتستر بها جدتك، وأن تجعل من ثوبها وقفطانها كفنا لها ومن دموعك الحمر ماءَ زمزمها، وأن تصرخ بدلاً من تلقينها، أن تصرخَ بالأفلاك، وتعلِّق مسبحتها في عنقك تذكارا منها، لتيمم وجهك شطر الجبال.

وكان صوتك يختلط بهدير نهر "كشاني". ويردد المضيقُ الصدى:

-"آهٍ أيها الفلك الدوار.. آهِ يا فلك!"

آشتي گرمافى

أبحثُ عن أمي شوري وأبي شورش[(١)]

بعد أن رنَّت كلمتا الأب والأم الخارجتان من أفواه أصدقائه في أذنيه مراراً كالجرس، قرر أن يسعى لتتبع آثار أمه "شورێ" وأبيه "شورَش"[١]. أخبره بعضهم أنهم رأوهما عند سفح جبلٍ بعيدٍ عن الحدود وقد انسحبا الى مكان يصعب بلوغه. وقالت جماعة ثانية:

-"كنا نمسك أيدي بعضنا البعض ونصارع الأمواج معاً عند سن صخري وسط نهر يفصل بيننا وبين بلد مجاور، ثم غارا في الماء وغابا عن أعيننا"

فيما أكد كثيرون غيرهم أنهم شاهدوهما في سيارات "الزيل" العسكرية التي كانت تعبر شوارع المدينة، وأنهما سألاهم شيئاً من الخبز والماء وهما يُنقلان صوب الصحراء[٢] بينما تساءل آخرون:

١شورێ من أسماء الإناث في كوردستان ويعني (الجميلة الفارعة الطول) كما يكون أحياناً تصغيراً مؤنثاً لاسم شورَش الذي يعني (الثورة).

٢نقل النظام الفاشي عشرات الآلاف من المدنيين الكورد في سيارات عسكرية الى الصحراء حيث دفنوا أحياء خلال حملات الأنفال سيئة الصيت التي بدأت ربيع عام ١٩٨٨.

ومن قال بأنهما لم يسقطا من البداية صرعى للأسلحة الكيميائية وفارقا الحياة في إحدى الوهاد؟

لم يعد لكوردو، وقد لفّت هذه الدوامة رأسه، من شغل شاغل غير البحث والتنقل هنا وهناك والدموع في عينيه ساعياً وراء أي بصيص أمل يقوده الى والديه. كثيراً ما أشرقت الشمس وغربت في أحلامه، ليرى نفسه واقفاً تحت شجرة سنديان، يملأ صدره بنفسٍ عميق ثم ينادي بصوتٍ أعلى من الجبال:

-"هيييبي أيتها الهضاب والوهاد المعمرات، أيتها البلابل والحجول والأوابد، أنا أبحث عن أبويَّ فمن رآهما؟"

لكنها جميعاً بدت، برغم كل حزنه ولهفته، كمن أقسم على سد آذانه عن أيما نداء!

دنا كوردو من الأنهار، فلربما كانا قد برّدا أحشاءهما بمياهها. غمر كفيه في أمواج النهر وقال:

-"أيها النهر، أيتها الكائنات النهرية، أنتم تمرون بالمضائق والوديان، أنني أبحث عن أبي وأمي فهل صادفتموهما؟"

وغمر كفيه من جديد مرة بعد أخرى واختنق صوته بالعبرات:

-"أيها النهر، أيتها الأحياء التي تتقلب بين الأمواج. لماذا لا تجيبون؟. فيم إذن هذا الصخب الذي تحدثونه في الوديان والوهاد؟ كيف لم تروهما؟"

لم يترك حجراً وشجيرة وكهفاً عالياً لم يحدق فيه بعينين نديَّتين، لم تبق من قرية مدمرة لم يسألها، حرقة بكاء اليأس زادت لواعج صدره، وتمتم مع نفسه:

-"لماذا لم يقل لي أحد طب نفساً يا كوردو فقاتلو أبيك وأمك لقوا جزاء هم في المحاكم؟"

غارقاً في هذه الكآبة، وجد نفسه عند باب أحد الأحزاب الحاكمة في المدينة، وقبل أن ترد السكرتيرة تحيته قالت له بصوتٍ غريب:

-"هذا ليس مركزاً خيرياً!"

فهتف كوردو:

-"يا ناس، لم يسألني أحد حتى اللحظة أبن أي شهيدٍ أنت!"

وعندما حرر العقد الخلفية لحزام ظهره القماشي من أصابع السكرتيرة المحنّاة الشعر وطرق الباب مستأذنا ودخل الغرفة وقبل أن يفتح شفتيه الشاحبتين صاح الأستاذ:

-"أيين سكرتيييرتي؟ من سمح لك بالدخول؟ هيا اخرج!"

فأجابه كوردو مضطرباً:

-"أنا كوردو يا أستاذ. كوردو الذي يبحث عن أمه "شورێ" وأبيه "شورَش". ألم ترهما؟

-"عننن أيييييي أمك شورێ وأبيك شورش تتكلم؟"

-"نعم يا سيدي. لقد اختفيا مذ ذلك اليوم الذي نكست بنادقنا فيه فوهاتها"

أجابه بصعوبة وقد بدا كمن لدغه عقربٌ بين عينيه:

-"نعم نعم نحن نبحث عنهما، أعني سـ سـ سوف نبحث عنهما!"

-""كم ربيع وشتاء جاء وذهب يا سيدي؟ لو كانا ببطن حوت لتبيّن مصيرهما وذُفعت تعويضات فقدانهما!"

في تلك اللحظة دخلت السكرتيرة مصبوغة الشفاه وهتفت به:

-"ألم أخبرك بأن هذا ليس مركزاً خيرياً؟ تفضل بإفساح المجال للسيد فلديه اجتماع مهم!"

عندما ابتعد كوردو عن المقر بدا مثل من يشير اليه أهل المدينة قائلين:

-ها هو الجاسوس!

كانوا يتفادون النظر اليه إذ يذرع الشارع. هز رأسه وهو مستغرق في تلك الأفكار وأخذ يتحدث هامساً مع نفسه، لكن صوته ارتفع في مناسبة واحدة وسُمع وهو يقول:

-"أيا رجل الأمس واليوم، عجلِّ بجلب البشرى التي تجفف مدامعي وتقرّ بها عيني"

كان يتخبط في هذه الخيوط المتشابكة من الأفكار المضطربة والأحلام المسوّرة والمعاناة الطويلة عندما رأى نفسه عند جدار مدرسةٍ ابتدائية، فتوقف دون حراك وأطل عليها: كان التلاميذ في صفوفهم، وقبل أن يدق جرس الاستراحة قرع باب أحد الصفوف ونظر الى داخلها.. على السبورة ثمة كلمات مكتوبة "اليوم ذكرى الأنفال". كان المعلم يتحدث لهم عن تلك المأساة، فانطلق قائلاً في حماسةٍ متقدة:

-"أنا كوردو يا أستاذ، أنا كوردو. أمي (شوري) وأبي (شورش) اختفيا في عين ذلك الوقت. ألم تروهما؟"

تأمل المعلم والتلاميذ وجهه المتعب، وعم الصمت والذهول أرجاء الصف. لكن عدد منهم كسر الصمت أخيراً فهبوا واقفين وهتفوا بصوت مشحونٌ برغبة الثأر والانتقام:

-"نحن اليوم تلاميذٌ يا كوردو، لكننا سنكبر ونصبح محامين، وعندها سوف نشطب على أسماء الكثير من المحامين والمسؤولين والأثرياء، سنقتفي آثار أمك وأبيك، ولسوف تبتسم بدلا من الدموع التي ذرفتها في المحاكم، نعم يا كوردو سوف تبتسم!"

أمير عبد العزيز نيرويي

بائع الورد

أنها ساعة عصر صيفية منعشة، وخيوط شمس المغيب ترسم لوحة ولا في الخيال. ذهاب الناس وإيابهم والفرح الجماعي الذي ينتابهم يضفيان على المشهد جمالا من نوع خاص. ثمة في هذا الجانب شلال من الماء ينزل من أعالي الجبل، ونسيم رائق عليل يأتي من أطراف البحر، وأنا، جنبا الى جنب مع رفاقي وأصدقائي، حريص على ألا أهدر هذه الفرصة النادرة لقضاء وقت جميل وسعيد.

أكثر الناس ها هنا من الشباب الذين تتردد أصوات ضحكاتهم العالية بين فينة وأخرى في أرجاء المكان، لكن مشهدا مر أمام أعيني لم يلبث أن شغلني عن تلك المناظر.

إنه شاب بين العشرين والخامسة والعشرين، تبدو عليه القدرة على القيام بأي عمل يصلح لمن هو في عمره، طويل القامة، جميل الطلعة، يعتمر طاقية بنفسجية اللون، في أذنه سماعة موبايل، يحمل في يديه باقة من ورود جميلة منتقاة يبيعها للناس وهو يروح ويجيء بينهم في مرح ونشاط. دهشت لهذا المنظر واستغرقت في حوار مع نفسي:

يا الهي، ممارسة عمل مثل هذا بكل هذا السرور والإقبال ومن قبل شاب بهذه الوسامة أمر لا يصدر عن شخص طبيعي. متى كان لإنسان فقير معوز أن يعمل بكل هذا الشوق والسرور؟! حسنا، وماذا عن هذه الثياب الأنيقة الزاهية، أ تنسجم مع طبيعة ما يقوم به لكسب رزقه؟

أسئلة كثيرة حاصرتني وظلت تدور في ذهني وتلح باحثة عن إجابة شافية. توجهت صوب الدكان الصغير القريب من موضع الفتى. سلمت عليه واستفسرت من صاحبه عن كل ما جال بخلدي من خفايا حياته وعمله اليومي، غير أن صاحب الدكان لم يفصح لي عن الكثير ولم يزد على القول:

- **"والله يا أخي أنا الآخر لا أعرف الكثير عنه. أعرف فقط أنه أحد اللاجئين"**

-**"حسنا إذن!"**

لم أستطع كبح جماح نفسي. دفعتني قوة ما نحو الشاب الكادح اللاجئ كي أسمع من فمه المزيد عن أوضاعه وعن حياته اليومية وحكاية عمله هذا. دنوت منه فظن بأنني أروم الشراء فرحب بي، ولم ألبث أن سألته بعد استقباله اللطيف:

- "ما الدخل الذي يعود عليك من هذا العمل؟ هل يمكن أن يسد احتياجاتك؟"

ابتسم الشاب ورد علي بإجابة وقف لها شعري واقشعر لها بدني من رأسي حتى أقدامي، ووهبتني فكرة وفهما وأفقا جديدا للحياة. لقد قال لي:

-"قربانك يا أخي العزيز. أنا لا أسعى لربح نقدي فحسب. قليل من المال يكفيني لأدبر معيشتي، لكنني أريد أن أنشر رسالة حضارية عن طريق هذه الورود. الورد يضفي الأمل على الحياة، منه تعلمت أن أفتح أحضاني لكل انسان، ومنه تعلمت معاني الجمال والسعادة والحب. الورد هو الابداع الصامت لله الذي يستطيع الجميع فهم لغة جماله. أريد عن طريق الورد أن أمد جسور التواصل بين البشر. قيمة الورد لا تكمن في سعره الزهيد بل في محياه الجميل، في طهره ونقائه من كل حقد وحسد وكراهية.. أريد عن هذا الطريق أن أقول للناس: فلتكونوا، أنتم أيضا، مثل الورود لكي نحتضن الجمال والحياة والانسانية في أعماقنا من جديد!"

أنور محمد طاهر

أحمو الشرطي

كان عجوزاً طاعناً في السن. تقرأ من هيئته وسيمائه أنه يعيش أواخر خريفه. رأسه ولحيته اشتعلتا شيباً وصارتا بلون الجبن القديم. يده اليابسة تقبض على عصاه وهو يلهث كمن يتسلق جبل هلكورد[1]. توقف ليسترد أنفاسه، تلفّتَ يمنة ويسرة ثم خطا بضع خطوت وهو يجرجر قدمه اليسرى المتأخرة. توقفَ ثانية متطلعاً الى من يمدّ له يد العون ويساعده على عبور الشارع. يبدو أن أحداً لم يره، أو أن أحداً لم يعره اهتماماً، لكن عناده ورأسه اليابس كانا يمنعانه من التخلي عن كبريائه وطلب العون.

ها هو اليوم ينعم النظرَ الى وجهه. لم يكن قد فعل ذلك من قبل، فلم يكن (لا هو ولا أقرانه) ممن يملكون الجرأة قبل هذا على النظر في هذا الوجه.

١جبل هلكورد وهو ثاني أعلى قمم الجبال في كوردستان العراق إذ يبلغ ارتفاعه ٣٦٠٧ فوق مستوى سطح البحر ويقع ضمن سلسلة جبال حصاروست قرب الحدود مع إيران.

إنه (أحمو الشرطي)، ذاك الذي كان يبدو في سالفِ الأيام، وقهو يرفل في قيافته الكاملة وشد النطاق والإبزيم، مثل حصان السائس: عصاه في يده كأنها هراوة حربية وهو يختال في شوارع المدينة فينأى عنه الناس مسافة عشرة أمتار كيلا يقعوا فريسة غضبه– والويل كل الويل لمن يقع في طريقه!

في ذلك الوقت كان الهلع يدب في أطفال الحيّ بمجرد رؤية أذني أحمو الشرطي، فيلوذون بالفرار الى أقرب جحر ويستخفون وراء الجدران أو في الأزقة الفرعية حتى يمر؛ فهم يعرفون جيداً أحمو الشرطي ورعب عصاه: لقد هوى بها ذات مرة على كاهل (علّو بن صافية) فعرف من رأى أثار الضربات أيَّ ظالم أثيم هذا الرجل الذي ليس في قلبه ذرة من رحمة. أقسمَتْ (صافية) أم (علو) بأنها واصلت وضع ضمادات الدهن والعجين على موضع الضربات كي تخفف أورام ابنها طوال عشرة أيام ظل فيها اليتيم البريء يلاقى الأمرين كي يسحب أنفاسه. أما الأم المسكينة فكانت ترفع يديها مائة مرة كل يوم وتدعو:

– "أما من قادرٍ على قهرِ هذا المفتري؟ ألا فلينتقم الله لهذا اليتيم المحروم من الأب!"

صار أحمو الشرطي منذ ذلك اليوم مصدر رعبه المقيم، فظل (حتى بلغ مبلغ الرجال) يتراءى له كلما أبصر شرطيا، وصار كل رجال الشرطة صورة مستنسخة منه.

حفر أحمو الشرطي اسمه وصورته في أعماق عقول أطفال المدينة، وأطفال حيّنا على وجه الخصوص، غدا في ناظرهم ذئباً جائعا، كلبا مسعورا يجوب أزقة المدينة وينهش الرائح والغادي. وعندما يدور الحديث على (علّو بن صافية) كانوا يتساءلون: إذا كان قد أحاله بضربتين فقط الى نصف انسان، وأرغم والدته على السهر فوق رأسه ثلاثة أيام بلياليها، فما الذي كان ليحصل لو جعلها ثلاث ضربات أو أربع؟!

شيئا فشيئاً أحال أطفال المدينة وأهلها تلكم العصا الى اسطورة تلوكها الأفواه، فيقولون مثلا أن سليمان النجار أفرغ جوفها ثم أخذها الى هرمز الحداد الذي صب فيها الرصاص المصهور فلم تعد مجرد عصا بل هراوة موت: من نزلت عليه ظل معلقا بين الله وعزرائيل، فيبقى على قيد الحياة أو يحل ضيفاً على المقبرة! أما (حوبو) المعروف بمغامراته وألاعيبه فكان يقول:

-"آه لو رأيت أحمو الشرطي نائماً وسرقتها منه!"

لكنهم يجيبونه:

-"هو لا ينام إلا وتلك العصا تحت رأسه"

بعد أعوام وأعوام أرسل له واحد من أصدقاء طفولته ممن هاجروا الى أوربا رسالة يقول فيها:

-"هذي البلاد فيها شرطة أيضا. لكنهم ليسوا أبداً مثل أحمو؛ إنهم انسانيون للغاية"

...

حلَّ الخريف وصارت المدينة تعجُّ بالقرويين والفلاحين والمزارعين ونواطير الكروم. فعندما يحل أوان رفع الأجواخ التي فرشوها لتجفيف الأعناب والفواكه كان القرويون يقصدون المدينة كي يبيعوا منتجاتهم ويسددوا ديون العام المنصرم. ولم يكن الأمر ليكتمل إلا إذا عادوا لقراهم حاملين شيئاً من الحلوى وأخبار المدينة وأقاويلها استعداداً لقدوم أهل القرية لزيارته للتسامر والسؤال.

المحتلون يسحبون قواتهم ويعيدون انتشارها هنا وهناك. وفي معسكرات الحكومة تعلو هتافات النصر والقضاء على الثورة الكردية ومحاصرة من كانوا يسمونهم بشراذم العصاة المارقين في أعالي الجبال والذين سيُهزَمون بدورهم عما قريب. سراي الحكومة والثكنة العسكرية (القشلة) يقعان في مجمّع واحد هو أكبر بنايات

المدينة. وأفراد الشرطة يقفون عند البوابة كما في كل يوم متأهبين واسلحتهم في أيديهم، أو يتظاهرون أمام ضباطهم بالتأهب لأي حادث.

أمام القشلة والسراي، وعلى مبعدة عشرين أو ثلاثين متراً يقع مقهى "جسيم". بناية المقهى أشبه بفابريكة أوربية من القرن السادس عشر أو السابع عشر: لبنات من الطين صُفَّ بعضها فوق بعض وجدران من الصفائح المعدنية وعلب الصفيح تُغلَقُ بعض جوانبها في الشتاء بالزجاج لتعود وتُرفع في الصيف. أما السطح فمغطى بالتوتياء. وحين يرتفع دخان المدافئ والسجائر في الشتاء يبدو المكان حقا مثل فابريكة قديمة.

فوق رأس صاحب المقهى ثمة صورتان معلقتان لا غير: الأولى لوحة بنت المعيدي، بجدائها المنسرحة وعينيها الفاتنتين، التي يحوك كل من رآها قصتَه الشخصية عنها دون أن يعرف أحدٌ على وجه الدقة أياً منها الصحيح. أما الثانية فهي صورة رئيس الدولة. إطارها هو هو دون تغيير، لكن الصورة التي يحيط بها تتبدل كلما نجح انقلاب عسكري في بغداد. كلما صعد ملك أو رئيس جديد ذهب "جسيم" ليشتري أرخص صورة له ثم يفك الزجاج عن الإطار في حذر وترتسم على وجهه ابتسامة احتفالية ويردد ساخراً:

-"إذا حضر الجديد، أُهديَ القديمُ!"

لكنه يعلم أن كلامه لا يرضي بعضهم فيتنفس بعمق ثم يضيف:

-"تُرى من الذي سيأتي بعده؟"

فإذا أراد أحدهم أن يجرّ الحديث الى التعريض بالحكومة وسأله:

-"ومن سيأتي بعده يا عم جسيم؟"

أحس على الفور أنه يريد بسؤاله أن يورطه بإجابة تكسر الرقبة فيسارع الى تخليص نفسه متراجعاً:

-"يا عمّو، كل من يتزوج أمي أناديه عمي!"

هذا المقهى يصير في الأصياف شيئاً آخر، إذ لا يتحمل أحد البقاء تحت سقف التوتياء الساخن هذا، فينتقل الجميع الى مساحة خالية من الأرض الى الجوار تظللها بعض أشجار التوت ويخرجون مقاعد الجلوس التي لم تكن غير المقاعد الشتوية عينها: بعض التخوت الخشبية والحصائر.

...

هذا المقهى هو الموضع الأثير لتجمع العاطلين والكسالى فتراهم يعودون بعد الظهر الى احتلال أماكنهم فوق تخوتها وحصيراتها

القاسية. أما الذين مكثوا في بساتينهم وكرومهم وسواقيهم منذ الصباح حتى العصر فيأتون ليستريحوا قليلا ويسمعوا أخبار المدينة واقاويلها.

أصبح المقهى واحداً من معالم المدينة وقطعة من فولكلورها، فهو، علاوة على قِدَمه، يتمتع بميزة أخرى هي قربه، بل مواجهته، للقشلة وسراي الحكومة؛ فلم يكن يزورها وزير أو مسؤول أو شخصية مهمة من الجنوب أو شيخ عشيرة أو آغا إلا ويصطادونه بنظراتهم، حتى صار أشبه بمرصد نموذجي لمن يسعى لتصيّد الأخبار. صحيح أنهم لا يعرفون كل ما يدور ويقال في تلك الغرف المسدلة الستائر، لكنهم يسارعون الى شرح كل شيء وتحليل أبعاده كما لو انهم يشمون ظاهر يدهم! أما إذا كان الزائر كاسباً أو شخصاً عادياً فسوف يدركون من فورهم أنه لم يدخل إلا لإصدارِ بطاقة هوية أو خدمة عسكرية. الأمر نفسه ينطبق عندما يكون الزائر واحداً من جِراء النظام وجواسيسه: سيعرفون بالتأكيد أنه لم يأتِ إلا لكي يؤذي شخصاً سيء الحظ أو يكسر رقبة مسكين أو ضعيفٍ ما على أمل أن يرموا اليه ببضعة دنانير.

ومن الطبيعي أيضاً أن زيارة أحد الأغوات أو رؤساء العشائر يمكن أن تحمل عدة تفسيرات: أما إنه دخل السراي ليُظهر ولاءه وإخلاصه لأحد موظفي الحكومة (في هذه الحالة لا بد أن يمهد

لقدومه ببعض الهدايا التي يرسلها الى بيت ذاك الموظف) وليستغل الفرصة أيضا لنقل بعض الشائعات والأقاويل؛ أو إنه قادم كي يتعاون في رمي شِباكه لصيد سمين لا يمكن لأحدهما أن يظفر به بمفرده.

أهل المدينة لم يكونوا كلهم على هذه الشاكلة طبعا، فممارسو هذه الأفعال كانوا يعدون على أصابع اليد.

الذين جعلوا من ذلك المرصد مكانهم المفضل كانوا يتمتعون بهذه المهارات، وصاروا بمرور الأيام أخصائيين فيها، فأخذ الجميع، من الأشخاص العاديين حتى الأحزاب، يستفيدون منهم ويأخذون أراءهم بعين الاعتبار، لكنهم بدورهم ما كانوا ليبيعوا بضاعتهم لكل من هبّ ودب.

...

ما زال العصر في أوله. لكنه لم يكن لِيمرَّ كعصر غيره من الأيام. فقد انطلقت على حين غرة منبهات السيارات وأصوات عربات الاسعاف العسكرية التي تخطف كالبرق. في تلك الأمسية ابتعد الناس عن الشوارع وهم يرددون: يا ساتر استر! لكنهم أخذوا يتهامسون فيما بينهم فقد بلغهم أن معركة بطولية تدور رحاها، معركة أوقعت خسائر فادحة في صفوف الجيش المحتل.

(صوفي عزيز) أقدم روّاد المقهى المزمنين فرش حصيرته على العشب، إذ لم يكن يحب الجلوس على المقاعد. وما أن اتخذ مكانه عليها حتى تناهى الى سمعه صياح طيرٍ فرفع رأسه ورأى من خلف نظارتيه غراباً جاثماً على شجرة التوت. بصق على الأرض ثلاثاً وذكر اسم الله والانبياء عشر مرات ثم هز رأسه، فقد أحس بأن هذا المشهد نذير شؤم، رغم أنه لم يسمع بعد باندلاع المعركة.

تلك المعركة وما أوقعته من خسائر بالعسكر صارت تاريخاً يؤرخ به الناس ولادة أطفالهم. وبعد أعوام وأعوام ستصبح سجلا لحياتهم حتى أن أحدهم إذا أراد أن يتفاخر على الآخرين ما عليه إلا أن يقول:

-"لقد كنت واحداً من البيشمركة المشاركين في معركة الكَلي"

ولكفاهُ حملُه هويةً كهذه كي يصفه الناس بالشجاعة والشهامة.

كانت المعركة فخا محكما وقعت فيه قوات العدو دون ان تدرك بأنها قد حوصرت بين فكي كماشة فصارت هدفاً للنيران من كل صوب، فدبّ فيها الخوف والاضطراب وصار من يفر منهم نجاة من النار بإزاء نار أخرى تفتح أشداقها. وعندما عجزت سيارات الاسعاف عن رفع كل الجثث لم يعد أمامهم غير أن يحملوها في

أحواض سيارات الحمل كي يصفّوها أمام بوابة القشلة، فتقاطر أهل المدينة للتفرج عليها.

أصبحت المعركة وما واكبها من أحداث علامة تاريخية فارقة وحديثا يتناقله الناس بعد سنوات طوال، وصار كل من شهدها يرويها بطريقته الخاصة، غير أنهم أجمعوا على كونه يوما لا ينسى. وحين يروون تلك الأحداث يصير لزاما عليهم أن يتموا روايتهم بالحديث عن معركة الكلي. ليس مهما أيهما يروى قبل الآخر فقد كانا مرتبطين معا ولا يمكن الحديث عن كل منهما بمفرده وإلا لن تكتمل البانوراما ذات الوجهين.

استحال أحمو الشرطي الى جمرة متقدة، بغلٍ مجنون أو كلب مسعور يعض من يقف في طريقه. وأخذ يذهب ويجيء وهو يهز مؤخرته ويرسل فحيحا كفحيح الأفاعي باحثاً عن أدنى عذر ليطفئ ناره المستعرة.

عندما أبصر ضباطُ القشلة وجنودُها وشرطيوها أولئك الناس وهم يتفرجون على الجثث، دون أن يُظهِروا أيّةَ علامة على الفرح والتشفي، أحسوا بمرارة الهزيمة والانكسار وبأن الجماهير لن تعود تخشاهم وأدركوا أن هذا الوضع سيتفاقم يوماً بعد يوم. وتناجوا فيما بينهم: حسناً، هذه الجموع البريئة التي تحت أيدينا لم تفعل شيئاً.

من أقدم على هذه الفعلة معروفون ومواضعهم معلومة أيضاً. كانوا يتهامسون بهذا دون أن يجرؤوا على رفع أصواتهم وخصوصاً عندما علم الضباط أن أمراً ما يجري تدبيره. أما الناس فقد أحسوا بأنهم قد أخذوا بثأرهم، فصاروا يهزون رؤوسهم قائلين:

-"كبير هو الله. لا يترك ما لهذي اليد لليد الأخرى"

وتشاور الضباط ورجال الشرطة من جديد. وحين أبصروا تلك الجموع هجموا عليهم مثل ثيران المصارعة واقدموا نحوهم مدججين بالبنادق والعصي ونزلوا فيهم ضرباً بالعصي والأعقاب. تفرق الجمع هاربين لكنهم أوغلوا في خبثهم فما أن يتوقف أحد أو يسقط أرضاً حتى يشبعوه ضرباً. أصحاب الطاقيات واليشماغات التقطوها وأطلقوا سيقانهم للريح والرجلُ من يخلّصُ نفسه.

أما أحمو الشرطي فقد كان لسان حاله يقول: اليومَ جننتُ، اليوم أنا نارُ غضب. وأخذ يهوي على الناس ذات اليمين وذات الشمال. ولم يكن رجال الشرطة الآخرين بأقل منه قسوة، فقد استحالوا جميعاً الى كلابٍ مسعورة تنهش الناس وتنقض عليهم مثل سربٍ من ذئاب يقتحم قطيع أغنام.

وارتفع صرير أبواب الدكاكين المعدنية وهي تنزل على عجل. أما الذين لم يسعفهم الوقت لإقفالها فقد تركوها مشرعة بما تحتويه.

وخلال عشرين دقيقة أو أقل أقفرت المدينة تماماً كخرائب ينعق فيها البوم، وكنت ترى عشرات الطاقيات واليشماغات الانكليزية الصنع وهي تنتشر في السواقي.

أحمو الشرطي وأمثاله نالوا الثناء من رؤسائهم لكن أحداً منهم لم يحصل على فلسٍ واحد. وأضحى ذلك اليوم ورقة ذات وجهين في تاريخ المدينة: الأولى معركة الكلي التي لا بد أن تتبع لدى روايتها بالحادثة الثانية. وهكذا يمتزج الحزن بالفرح، لكن شعور الظفر كان هو الطاغي لأن الصفحة الأولى حملت معاني الرجولة أما الثانية فقد وقع فيها الابرياء والمدنيون فريسة للظلم والطغيان.

ظلت الحادثة بعد أعوام طوال مادة للأحاديث، خصوصاً في حضور أشخاصٍ من مدن أخرى يفخرون أمامهم بتلكم الصفحة. في أغلب الأحيان كان اثنان منهما يتوليان الرواية: لا بد أن يكون أولهم أحد مقاتلي البيشمركة المشاركين في تلك المعركة. فإذا ما فرغ من روايته طلبوا من الثاني (ولا بد أن يكون من رواد مقهى جسيم) أن يقص عليهم ما حدث في المدينة أمام عينيه. عندها تجتمع الروايتان وترسمان صورة حية لما حدث. لكنهم كثيرا ما استعانوا لكل واحدة منهما بشاهدي عيان لإضفاء المزيد من المصداقية لدى المستمعين. نعم، كانت الصفحتان كلاهما شارة فخر وظفر لأبناء المدينة.

...

أحمو الشرطي عفريتٌ ينتاب ليالي طفولتنا وكابوسٌ يطير النوم من عيوننا. في كل يوم، ومثل صلاة يستقبلون بها الصباح، يتساءل آباؤهم، ويرددون هم بدورهم في الأزقة وبين الرفاق الصغار:

-"متى وكيف؟ يرفع الله عنا بلاء هذا الظالم؟"

لم يكونوا بحاجة الى ذكر اسمه؛ فالجميع يعرفون أن المعنيَّ بالحديث هو أحمو الشرطي لا غير.

في كل بضعة أشهر تنتشر شائعة جديدة بأن أحمو الشرطي قد صدر أمرُ نقله الى جنوب البلاد. فتسري كما النار في الهشيم وينقلها الحاضر للغائب. ولأنهم كانوا فرحين بها تراهم يسارعون الى تصديقها وتضخيمها:

-"لم يُنقَل فقط، بل أنقصوا واحداً من خيوط الرتبة التي على ذراعه"

مضت أيام ثلاثة دون أن يراه أحد، لا في القشلة ولا في الشارع؛ فصارت تلك فرصة ممتازة لانتشار الإشاعة. لم يتطرق الشك الى أحدهم بصحتها، كانوا فرحين بها فلم يترددوا في تصديقها:

-"وضعوا كتاب نقله بيده وشيعوه ببصقتين في وجهه وركلة في مؤخرته وقالوا له اذهب دون رجعة يا كلب يا ابن الكلب!"

أطفال منطقة السوق كانوا الأكثر سروراً. صار الشارع بغيابه أكثر عرضاً، وتلك الساحة التي يلعبون فيها كرة القدم غدت في ناظرهم ملعباً أولمبيا فسيحاً. صارت الدنيا شيئاً آخر. صار لها طعم جديد.

غير أنها حرية وسعادة يخالطهما الخوف؛ لأنهم لم يتوقفوا عن التفكير في ظهوره لهم من جديد بسدارته والعصا التي في يده. كان حلمهم أغنيةً قصيرة، ربيعاً صحراويا لم يطل أمده. فجأة برز أحمو الشرطي مثل جني. والذين كانوا يرددون قبل وهلة قائلين:

-"نعم. لقد ولّى ولن نرى أثراً لابن الكلب ذاك!"

عادوا كي يقولوا بعد أن شاهدوه:

-"لم أكن أصدق. كنت أعرف أنها واحدة من خدع نغل البغال وألاعيبه!"

ثم يهزون رؤوسهم ويضيفون:

-"طبعا، فمن يكون؟ وابن من هو؟ إن كانت له أم واحدة ومائة أب فماذا تتوقعون؟ إنه هذا الذي ترون!"

وقال واحد ممن يرتدون بذلة وربطة عنق:

-"هذا القذر رمز لطغيان النظام. من أين لهم أن يأتوا بمثله؟ كلا لن يبدلوه إلا إذا عثروا عن من هو أحقر منه."

يومها لم نكن نفقه معاني تلك المصطلحات أو الربط بينها لنفهم ما يقولون، لكنك أدركت أن أحمو الشرطي حطّ على المدينة مثل بوم خراب، مثل خيمة شؤم، مثل غيمة غضب أطاحت بكل سعادة وهناء.

رؤيته لوحدها كانت مجلَبة للسأم والانزعاج لدى أطفال المدينة ومراهقيها، لكن تلك العقدة أخذت تنحل يوماً بعد يوم ويزداد المشهد وضوحاً أمام ناظريهم.

غدا أحمو الشرطي أكثر سعارا، وكأن أخبار احتفال أطفال منطقة السوق قد بلغت مسامعه، فصار يغدو ويروح في غضبٍ وكرهٍ عظيمين. أما أطفال المنطقة فكانوا أشد يأساً وانكساراً، وتبخرت تلكم الأحلام اللذيذة كما ينحسر الضباب أمام الشمس. لم يبق من قول يطيّب خاطرَهم ولم يرغبوا هم أيضاً في تناقل الأسوأ؛

ولهذا التزم الجميع الصمت وهم ينظرون في عيون بعضهم البعض وصاروا، كلما دنوا من الشارع، يتطلعون الى الساحة المقابلة للسراي كي يتأكدوا من أنه أحمو الشرطي بشحمه ولحمه. كانوا يختلسون النظر اليه مرة ومرتين وثلاثا:

-"إحم.. نعم إنه هو!"

وانسدلت خيمة الخوف والكآبة فوق هاماتهم، وكبّوا على وجوههم من الحزن والغم.

قبل أذان المغرب تفرق أطفال الحي، فقد سرت الأقاويل بأن أحمو الشرطي قد بلغته الأخبار بأن أطفال منطقة السوق كانوا الأكثر سروراً من بين أهل المدينة بنقله منها. وقيل أن أحمو الشرطي حين نُقِل اليه هذا الحديث جزّ على أسنانه وطبطب بعصاه على سرواله وأقسم أن ينتقم منهم شرّ انتقام.كان يبحث عن مبرر كي يشبعهم ضرباً ويريهم آباءهم حتى سابع جد. ليس هذا فحسب فقد زاد البعض قائلين:

-"لقد أقسم أحمو الشرطي بالطلاق وبالقرآن بأن يضربهم "الفلقة" ويحرّم عليه رؤية عتبات بيوتهم."

ما قاله كان يكفي لكي ترتعد فرائصنا ونئن مثل جراء أصابها الفزع. وصرنا حين نقفل الى بيوتنا ينوء كل منا بحصته من الغم والخوف الجاثم على الصدور وقد اصفر وجهه ليرمي جسده المنهَك النحيل على وسادته المتخشبة.

...

ها قد جاء أحمو الشرطي!

ها هو يدنو راكضاً مسرعاً وعصاه في يده.. أوّاه.. إنه قادم نحونا! ارتفع صراخ (سالي بن مِستو) :

-"**أفلتوا بجلودكم! سيمسك بنا!**"

ولكن كيف يفلتون؟ ها هو يشهر مسدسه ويصيح:

-"**الى أين المفر؟ سأحيلكم الى جثث هامدة!**"

-"**أوّاه.. الحقني يا أبتاه.. لقد جاء!**"

وينتصب على قدميه كي يلوذ بالفرار مثل أصحابه. يقف، ويحاول أن يركض، لكن رجليه مخدّرتان لا تطاوعانه، فلا يستطيع التقدم خطوة واحدة، كأنهما موثقتان بطنٍ من الحديد. كل أصحابه الصغار لاذوا بالفرار، أنقذوا أنفسهم، إلّا هو، لم يستطع،

كأن قدميه قد صُبّتا الى الأرض صبّاً. استجمع كل قواه كي يركض لكنه لم يتزحزح شبراً واحداً. ورفع ناظريه فأبصر أحمو الشرطي واقفاً فوق رأسه ملوّحا بعصاه وهو يهم بالانقضاض عليه، وانطلقت من أعماق أعماقه صرخةٌ مدوّية.

هبّت أمه من نومها على صرخته.

-"ما بك يا فدتكَ أمُّك؟ الحقوني، هلموا إلي، لقد أصاب ولدي مسّ من الجن!"

واستيقظ الجيران النائمون فوق السطوح على هذا الصريخ وهم يتساءلون إن كان عقرباً ما قد لدغه. وأجابت أمه من خلال الدموع:

-"اذكر اسم الله يا ولدي. اقرأوا على رأسه آية الكرسي!"

-"أشهد أن... تشَهّد يا ولدي!"

وفتح عينيه أخيراً. ورأى أمه وأباه وأخوته.

-"أماه.. إنه هو.."

-"من يا ولدي؟"

-"آهٍ يا أمي. أقسم بالله أن المسّ الذي أصابنا منه لأكبر وأعظم! ما العمل؟ أي رمادٍ نذروه على رؤوسنا؟!" قالت أخته.

-"أسكتي يا بُنيّة. لا تزيديه جنونا. دعيني أتلو على رأسه بعض الآيات."

أما هو فقد تنفس الصعداء. اختفى شبح أحمو الشرطي.. كان مجرد حلم!

لم نكن نجرؤ في النهار على الاقتراب من السوق والشارع خوفاً منه. ولم نكن في الليل بمنجاة منه؛ كان ينتاب أحلامنا ويجثم على قلوبنا مثل كابوسٍ ثقيل.

...

كان أخوه الكبير بمثابة أبٍ وراعٍ لهم وله محل احترام خاص لديه فهو قدوته في الخلق الرفيع وحسن التصرف، ولهذا أحبه من كل قلبه. في أحد الأيام هرع أحمو الشرطي نحوه مثل من يبحث عن ضحية ما، وصاح به في غلظةٍ وجفاء:

-"لماذا لم تغلق دكانك بعد؟"

منع التجوال كان سيبدأ بعد ساعة كاملة، لكن أحمو الشرطي أراد أن يثأر لنفسه من ذلك اليوم حين أخبره أخوه حسين بأنهم لا يبيعون بالدين والتقسيط. يومها توقدت عيناه في محجريهما وغمره إحساس بالخزي والصغار فظل واجماً في مكانه وهو يطبق

بأسنانه على شفتيه من شدة الغيظ. إنها علامة على أن أهل المدينة لم يعودوا يخشونه. لو تغاضى عنه اليوم فسيحذو الآخرون حذوه في الغد. لا، لن يسمح لهم بأن يحيلوه الى أضحوكةٍ ومسخرة. سيجعله عبرةً ودرسا للآخرين كي يعلم أهل المدينة من هو أحمو الشرطي!

ربتَ بعصاه على سرواله ثم أحكم وضع سدارته على رأسه وقال:

-"أنا أعرف الى أين ترسلون الشاي والسكر. أنتم شركاء العصاة!"

هذه أكثر التهم خطورة لأنها إن لم تؤدِّ بالمتهم الى الاعدام فإنه سيبقى حبيساً بين جدران السجون الى أن يتعفن. طالما انتظر أحمو الشرطي هذا اليوم على أحر من الجمر. أسرع أخوه حسين الى لملمة دكانه وحمل بضاعته الى الداخل، لكن ابن الكلب ذاك كان قد اتخذ قراره، فهوى عليه بعصاه دون سابق انذار وبكل ما يحمل من حقدٍ وغِلٍّ بضربةٍ لو أنها وقعت على يافوخه لخرّ صريعاً، ثم وقف على رأسه وصار يوجه الركلات والضربات.

-"يا ابن الكلب. ألا تعرف أنه وقت منع التجوال؟ لماذا لا تغلق دكانك؟ أنا أعرف السبب: لكي يحل الظلام وترسل السكر والشاي الى العصاة."

ولم يوفّر شتيمةً أو تهديداً. ورمى بعض الأخيار أنفسهم ليحولوا بينهما وبذلوا كل ما في وسعهم من نجدةٍ ووعود حتى أنقذوا أخاه حسين من بين يديه. وانحنى هو كي يلتقط حجراً فهمس له أحدهم:

-"اذهب قبل أن يراك، وإلا جعلَ أُسرتكم في خبر كان!"

وأحس منذ ذلك اليوم بانكسارٍ عظيم، وأدرك معنى الظلم وفداحته.

في تلك الليلة زارهم رجل مجرِّب خبر الدنيا كي يواسيهم:

-"أحمو الشرطي ليس شيئاً في حد ذاته، لكن ثمة حكومة تسند ظهره. إنه كلبهم المخلص الذي يطلقونه على الشعب."

كلماته تلك خففت من همومهم وأحمالهم. ومضى قائلاً:

-"هل بقي في هذه المدينة من لم ينل عضّةً منه؟"

وصارت تلك النظرة التي طالما نظر بها الى أخيه كقدوة في المروءة والطيبة والاستقامة مثل زجاجةٍ تكسرت أمام عينيه وأحدثت شرخاً عميقاً في فكره وآرائه. لِمَ يحصل هذا؟ أخذت الدنيا تضيق في ناظريه، وتمتلئ مرارةً وظلاماً. لماذا؟ لماذا؟

...

أحمو الشرطي واقف على رصيف الشارع، لا يستطيع العبور، ولا يرغب أحدٌ بمساعدته. إنهم يعرفونه تمام المعرفة. وصاح به أحدهم:

-**"ميزان الله لا يحيد. إنه لا يترك ما بيدٍ ليد. فليبقَ في مكانه وينتظر"**

أما هو الذي يعرف أكثر من غيره أي مجرم لعين هذا الأحمو، فأخذ ينظر بتحدٍ وإصرار في وجهه الذي تظهر عيناه بالكاد من تحت شعره الأبيض. وهذه العكازة.. إنها لا تشبه أبداً تلك العصا القديمة.

لا أحد يكلمه، لا أحد يقول له (الله بالخير) لكن إحسان أهل المدينة وأفضالهم عليه بقيت على حالها. وما كان ذلك إلا إكراماً لبعض الأخيار وأسرهم، الأمر الذي جعل البعض يتعجب من كرم

أهل المدينة حين يرحمون ذئباً سقطت أسنانه. غير أن البعض كان يقول:

-"**أحمو الشرطي نموذج لنظامٍ مضى وولّى. فليبقَ حياً أمام الأنظار كي لا ننسى تلكم الأيام السود. بل ينبغي لنا إن مات أن نحنّطه ونعرضه في المتحف لأن رؤيته تروي ذلك التاريخ وتظهر بجلاء أيام القهر تلك**"

عكازه في يده، يتطلع أحمو الشرطي ذات اليمين والشمال والى الأعلى والأسفل ولا يستطيع العبور، كما لو أن على عينيه غشاوة فلا يرى أحداً وهو يضرب بعكازته على أرضية الشارع. يبدو كمن فقد ناظريه ولا يرى أحداً.

...

ذات يوم في عاصمة البلاد وفي دائرة التقاعد سأله صديقه:

-"**هل تعرف ذاك الرجل؟**"

وكما لو أراد الحطَّ منه قال له بصوت مرتفع:

-"**نعم لقد كان أحد مرتزقة النظام القذرين**"

كان كمن ينظر الى بناية قديمة متداعية توشك على الانهيار. نظارتاه مثل كعبي كأس شاي وفي يده عكازة رعاة. إنه أشبه ببطل فيلم روسي خارج من سجن سيبيري.

نعم، إنه ذلك النتن الذي لم يعرف (حين كان يقود الهجمات على كوردستان) غير سياسة واحدة، غير سبيل واحد وخطة عسكرية واحدة: الأرض المحروقة. من وجهه تشع نيران الجحيم. يعرف الجميع أن ظلمه وطغيانه لا يعادلهما غير جبنه وميله للفرار. اسمه واخباره كانا يسبقانه ويملآن مدن كوردستان ويرتبطان في أذهان الناس بالخراب والقرى المحترقة.

-"هو الآن مثل أحمو الشرطي، شريطان سينمائيان متعاقبان"

أخرج من جيبه محفظة نقود وأسند عكازته على الجدار. في يده حزمة من الدنانير والمحفظة في اليد الأخرى. فتح المحفظة يريد أن يضع فيها النقود لكن يده كانت ترتعش. حين يمسك المحفظة بيد ترتعش اليد التي تحمل النقود ويفشل في دسها بها فيبدل ما بينهما ويحاول من جديد دون جدوى. وتكرر المشهد مرتين وثلاث: يمسك بيد فترتعش الثانية.

حين يذيع الراديو بياناً باسمه ويتوعد الناس بالويل والثبور لم يكن حتى الطير ليجرؤ على الخروج من المدينة، كان يحيل

الجبال والقرى الى كتل من النار والدخان. وكلما مني بهزيمةٍ في جبهات القتال يعود لينتقم من المدنيين والمساكين ويحرق الأخضر واليابس. كان الناس يفرون من قراهم، وإذا جرؤ أحدهم على السؤال عن السبب يأتيه الجواب على وصف جارهم الحاج عمر:

-"عليك يا ابن أخي أن تخشى من لا يخشى الله. نحن أدرى أي كافر معدوم ضمير هو!"

ذات مرةً أبصر وهو يطوف بطائرة الهليكوبتر راعياً أمام قطيع أغنام فألقى القبض على المسكين الذي لم يكن يحمل غير عصاه وأركبه في الطائرة وقال له:

-"اشتمْ قائدَالعصيان"

وعندما رفض ذلك أوثق يديه وألقاه من ذلك العلو الشاهق. كمثل من ظفر بصيد عظيم أخذ يقص الحادثة ويعيدها بكل فخار على بعض الخونة.

...

أحمو الشرطي جعل من أطفال الحي أشبه بأرانب حبيسة في الأقفاص فما عاد أحد منهم يجرؤ على الخروج أو اللعب في الميدان القريب من الشارع، وصارت رؤية سدارته لوحدها كفيلة

بدفعهم الى الفرار. إنه خبز كل الموائد وحديث كل الأسر وكل الاطفال. الحديث عنه لا ينتهي، يتراكم ويعلو مثل تل من الحجارة؛ يبدأ من حكاية علو بن صافية ولا ينتهي بحادثة ضرب الناس في المقهى.

أسكَتَنا (حسو بيركي) ثم ألقى بيننا حديثاً أشبه بالقنبلة، فظللنا جميعاً واجمين ينظر بعضنا في وجه بعض. بعد سنوات عديدة ستترسخ لدينا القناعة بأن ما قاله يومها لم يكن من بنات أفكاره بل لا بد من أنه سمعه ممن هو أكبر منه، فقد كان كلامه أكبر من عقولنا وأفكارنا.

لزم أطفال الحي ومعهم بعض المراهقين المدركين الصمتَ ولم ينبتوا ببنت شفة ولم يعرفوا ماذا يقولون وماذا يزيدون. ظلت أفواههم فاغرة وآذانهم مشرعة. أفاض (حسو) علينا بمقدمة طويلة كأنه تلقنها تلقينا، ثم شرع بعرض مشروعه بصوت ناعم: خلاصته أن نتوجه جميعاً الى المسجد في ليالي رمضان بُعيد صلاة العشاء والتراويح ونجتمع في زاوية منه وندعو الله معاً أن يزيح عنا بلاء هذا الظالم. كنا، استناداً الى كلامه، سنقوم من نومنا في اليوم التالي لنسمع أنه أصبح ميتاً دون حراك!

لم تكن بنا من حاجة لذكر اسمه فنحن جميعاً نعرف من ذاك الذي أطبق على أنفاس الناس وجعل المدينة برحابتها أصغر من حبة بطمٍ خضراء، ومن بزواله تتفتح أمامنا آفاق الحياة. وسرت في أجسادنا رعشة فرحٍ ممزوجة بالخوف، وشرع حسو بتلاوة الدعاء ورحنا نردد من بعده كلمة آمين وأكفنا ترتجف خوفاً من اطلاع أحمو الشرطي على خطتنا؛ لو حدث هذا لأرانا أجدادنا حتى سابع جد.

رغم أنها سعادة ممزوجة بالخوف لكنها كانت مثل مرهم تداوت به قلوبنا. وترددت من أعماقنا آهات التلذذ، وساقتنا أحلامنا وأوهامنا الى تخيّل مشهد عزرائيل وهو يطبق الخناق على رقبة أحمو الشرطي ولا يغادره إلا وهو جثة هامدة، وكيف أن تلك الجثة ستظل في مكانها دون دفنٍ حتى تأمر الإدارة عمال البلدية بدفنها فيقومون متكاسلين كي يحفروا له حفرة يلقونه فيها كيفما اتفق ثم يهيلون عليه بعض التراب.

وبتنا ليلتنا تلك على هذا الرجاء، رجاء أن تكون تلك ليلته الأخيرة، أن يعم الفرح حيّنا، أن نلعب في تلك الشوارع والساحات في حرية ودون خوف. نمنا وحلمنا بموت هذا الظالم وفنائه ونحن نتساءل عمن سيزف الينا البشرى.

...

لا يعرف كيف توجه في الصباح صوب مدرسته. وهناك، في رأس شارع القشلة، كان أحمو الشرطي ينتصب كالوتد وهو يبرم شاربيه وكان الدنيا لا تسعه!

وأدرك من يومها أن الدعوات واللعنات لم ترتفع لأكثر من هاماتهم وأنها ليس سوى سلاح الخائفين العاجزين.

بيهزاد قادري

لن أعترف

-"أكتبْ. أكتب ملخصا لسيرة حياتك"

أمرني بالفارسية.

في حجرة مربعة صغيرة طول أضلاعها ثلاثة أمتار. بيننا ثمة منضدة. كرسيه أعلى من كرسيي بثلاثين سنتيمترا. كانت نظراته تتفرس فيّ من الأعلى الى الأسفل. عبء نظراته امتزج بعبء الغرفة الضيقة فصرت أشعر بوطأتهما على كاهلي. كان مستغرقا في استعراض هيأتي ويتفحصني من قمة رأسي حتى أقدامي. حدقتا عينيه كانتا ثابتتين مثل حجرين ثقيلين، بينما حدقتا عيني لا يقر لهما قرار مثل زغابة في مهب الريح. تمنيت أن أستحيل ماءً كي أغور في عروق الأرض أو أصير بخارا وأعبر من خلال شق الباب أو أندس كما العنكبوت في زاوية الطاق وأخرج في لمح البصر. أنا، هو، هو، أنا. كرسي لا أستطيع الفكاك منه. نظرة لا تبارحني. صمت ينغرس مثل أبرة في أذني.

-"أكتب. في أي عام ولدت وما هي المدارس التي درست فيها. أها! وبماذا انشغلتَ في الصيف. أكتب هذا أيضا. هذا الصيف بالتحديد"

هذا الصيف؟! نعم هذا الصيف. ما كنت أعرف أن ابتلاع الريق أمر صعب لهذا الحد! في تلك اللحظة لم يكن ابتلاع شطيرة من الدبابيس أصعب من ذلك. تاريخ ميلادي؟ لقد نسيته! متى جئت الى الدنيا؟ ما هو ذلك الرقم اللعين؟ ١٢-٢٨.. ٢٨؟ شهر ٢٨؟! هل يجوز هذا؟! وهل ثمة سنة من ٢٨ شهرا؟! الأشهر اختلطت علي. ما حاجتهم لكتابة تاريخ ميلادي وهم يعرفونه أفضل مني؟ سؤال أحمق. أكتب. أكتب سنة ميلادك ومكانه. المدارس التي تعلمت فيها. أها! وفيمَ انشغلت هذا الصيف؟ أكتب هذا أيضا. هذا الصيف بالذات. كلما بلغت الصيف أصفررت كما العشب اليبيس. ابتلعت شطيرة الأبر. كنت جالسا على الكرسي لكنني أشعر بثقله كما لو أنني أرزح تحته. القلم في يده. ينظر الي ويكتب. وأنا أكتب، ومع كل كلمة أكتبها تنهال على ذهني آلاف الكلمات والذكريات. كان قلبي مثقلا بالهموم.

-"تمام؟ ناولني إياها. امسك هذه الورقة. إملأها. هيا تحرك. عجّل"

كانت ورقة واحدة. السطور متداخلة حتى لم أعد أستطيع تمييزها وأكتب فوقها. سطر؟! أي سطر؟! إنها صفحة ناصعة البياض. في أعلاها سؤال واحد لا غير (أكتب بدقة وتفصيل ما كنت

منشغلا به هذا الصيف) كان صيفا بالغ الحرارة. كان منشغلا بإحراقي. أضلاعي تقطعت. لا أعرف حتام تمسك بقلبي. في الصيف: كنت أعمل. كنت منشغلا بتعاستي وسوء حظي. لماذا لا تتنزه في الصيف؟من رآني في الصيف؟ أي قواد فعل معي هذه القِوادة؟ لا أحد. نعم. لم يعرف أحد. ألا فلينفجر قلبك. علامَ زعيقك؟ لا أحد. ابحث بنفسك. لا تضيع نفسك. قلها من القلب. من حدقة عينيك. قل كذبا. أكتب كذبا. أكتب كل ما قلته شفاها في البداية؟ أكمل أقوالك في بضع جمل. لا تكثر الحديث. لُذ بالكلمات واستنجد بها. استنجد بها، إلوِ الأقوال. لكن! لكن أوجههم شاحبة، غابت ألوانها وتجمدت كمن أصابه مس فلا يزحزحها شيء عن سكونها! انظر إليهم! كم نخسونا ساخرين متبجحين حتى أصيبوا بالهلع فلم يعودوا يميزون الصح من الغلط! لا تكثر الحديث. فكر بتلك الغرفة حيث تعصر وتذبل. ولكنني! ولكنني بانتظار انتفاضتهم، حيث نحرق الاخضر مع اليابس..

-"أنت غبي أم تحسبني غبيا؟!

أغوص بقوة في حضن الكرسي. يصفعني الضابط ويجعل الماء يثب الى دماغي؟ يشرع الجرس في عقلي بالحركة. يزداد وجيف قلبي ويخرج الزمن عن مساقه، كشأن لساني، كشأن نظراتي وكلماتي. لن أعترف. أبدا لن أعترف...

-"لن تعترف؟ لن تعترف أبدا؟ أها! ثمة شيء إذن لا تريد الاعتراف به. أما أن أن تعترف بكل حرف، أو أن تعترف. لا مفر لك من الاعتراف.(كل خرا). أسرع. لا تتوقف!"

هل يعني هذا أنه سمع كل ما قلته بيني وبين نفسي؟! أيعني هذا بأنها خانتني هي الأخرى؟! كيف خرجت تلك الجملة من دماغي؟! لا. لا. لقد كانا متواطئين من البداية. لقد خانتني. باعتني. باعتني...

وهوت الصفعات على رأسه مثل المطر.. وباع نفسه!

تحسين نافشكي

راعي البقر وسوقُ الأكاذيب

هو ذا الربيع في أوج تفتحه. وها هو راعي الأبقار (هيتو) يمضي بقطيع أبقار القرية، وسط ألحان البلابل والعصافير وأريج البراعم والورود، لترعى في المرتفع المعشب الذي يعلو أحد الكهوف. ويتكرر المشهد اليومي: حمار المختار يتعارك مع حمار الملا ويثيران الهرج والمرج في القطيع ويسببان له الكثير من التعب والازعاج. المشكلة أن الراعي هيتو يظل حائرا، فلا هو يجرؤ على أن يطلب من الملا والمختار الكف عن إرسال حماريهما مع القطيع، ولا الأبقار والعجول لديها العقل والقدرة على طرد الحمارين بعيدا عن القطيع.

بدا أن الحمارين كانا شديدي الشهوة والهيجان في ذلك اليوم، فتسبب عراكهما في تفرق شمل القطيع وإحداث الفوضى العارمة في صفوفه حتى لم يعد باستطاعة الراعي أن يسيطر عليه أو يعيد تجميعه. وفجأة رأى الراعي أحد الحمارين يهرب من العراك المستعر ويهجم وهو في قمة هيجانه على فخذ إحدى البقرات ويعضها عضة أدمتها وأعلت خوارها المتوجع. لاذت البقرة الجريحة بالفرار على غير هدى فزلت أقدامها وهوت من ذلك

العلو الشاهق لتتكوم دون حراك فوق كتل الصخور الكبيرة والحجارة المدببة أمام فتحة الكهف!

أسرع الراعي الى الأسفل فرأى البقرة تتخبط في دمها وقد تهشمت أطرافها فانتزع سكينته وحاول ذبحها لكنها كانت سكينة عمياء كليلة فلم تفلح في فصل رأس البقرة التي كانت قد همدت دون حراك.

...

بعد أن عاد الراعي خائفا مرتجفا الى قريته وقص على الحاضرين في بيت الملا تفاصيل ما جرى تعالت قهقهات أغلبهم واتهموه بالكذب، ثم ارتفع صوت الملا فوق بقية الأصوات وقال:

-**"كان من الأجدر أن يأخذك الحماران للمرعى وليس بالعكس. فلقد تبين أنك أنت الحمار الكبير! هههه. لو قلت أن أحد الذئاب مزق فخذه ورماه من فوق الصخور لكنا صدقناك. إذهب وقل لأي طفل رضيع أن حمارا عض فخذ بقرة ورماها من الأعلى وسوف ترى كيف يكذّبك!"**

تطلع هيتو في عيونهم التي كانت تردد النغمة نفسها وقال:

-**"أ يعني هذا أن على المرء أن يكذب كي تصدّقوه؟"**

غضب الملا ورفع صوته أكثر مما سبق وأعلن قراره:

-"ها قد أقررت بذنبك، وسوف تجازى على ذنبين لا واحد، الأول هو كذبك والثاني تقصيرك وإهمالك وسماحك للذئب بالوصول الى البقرة وإلقائها من ذلك المرتفع. عقوبتك هي أن ترعى أبقار القرية دون مقابل لعامين كاملين وأن تدفع لصاحب البقرة ثمنها لتسببك في نفوقها"

عندها انفجر الراعي هيتو بالضحك وقال:

-"مولاي. لم انل للآن ما استحق، وإلا فما من سوق أسهل من سوق الأكاذيب!"

تيلي صالح

مدينة المجانين- قصص قصيرة جداً

١) قطار

ذلك القطار المليء بالركاب، راقد في دعةٍ فوق خطه الحديدي بانتظار سائقٍ ما. بعضهم شرع بالبحث في كل المدن، لكنهم لم يعثروا على سائقٍ يرضيهم. بعضهم الآخر كان يستنكف من قيادة القطارات! مكث هكذا زمناً، ثم مضى يقصد الأعالي ...

٢) ظَهر

من أعالي السماء هوى نحو القرار. آلاف الأيدي كانت ترتفع متلهفة لتلقفه، لكنه خيّب ظنها ووقع منتصباً على قدميه لأن ظهره كان مستنداً على الجبل!

٣) من أشكال المقاومة

أربعة رجال كانوا يخنقون رجلاً! جمعوا كلَّ قواهم، وحدوا إراداتهم. أما هو فقد كان يشد الحبل بيديه الاثنتين.. على رقبته!

٤) غربال

صنع غربالاً كبيراً.. ملأه بالبشر وراح يهزّه: الذين نزلوا منه ارتطمت رؤوسهم بالأرض، الذين ارتفعوا.. قبّلوا أعينَ النجوم!

٥) جماجم

عشرات الجماجم رسمها على وجه ورقته.. لوّنها بالأحمر، لونها بالأصفر، بالأخضر، بالأبيض.. الخ. عندما تفتحت تلك الجماجم لم يكن بعضها يحتوي مثقالاً من الدماغ لذلك ضربها عرض الحائط وحطمها تحطيماً. أما البقية فقد وضعها في إطارات ملونة وعلّقها في غرفته الخاصة.

٦) جوع

يجرجر كرشه المتهدل الكبير. فمه مفتوح على آخره يبتلع كل شيء يقع في طريقه..

على جانبي الطريق يبكي أطفال الشهداء من الجوع..

٧) مطر

في الساحة الكبيرة الفسيحة، وأمام أعين الانسانية، تمطر السماء نقوداً. أصحاب الأيدي الطوال رفعوا قدورهم الكبيرة الى الأعلى بكل ما في وسعهم. أصحاب الطناجر الصغيرة لم يروا قطرة واحدة تجد طريقها لطناجرهم.

٨) تعتيم

يسوقُ الناس بكل قوته.. يدفعهم صوب ذلك الكهف الذي لم يرَ النور يوماً ويقول لهم: فلينكر بعضكم بعضاً، ولا يتعرف واحدكم على الآخر.. هذا أفضل!

٩) اكياس

بيديه الاثنتين يغمض أعين الناس.. يريد أن يوجه أنظارهم الى السماء، لأن وراءه أكياساً كبيرة ملآى بالنقود..

١٠) مسح العرق

يمسح بكفيه العرق عن وجوه العمال وعينه على جيوبهم!

١١) الشمس

واقفون صفاً، كلهم بانتظار شمسٍ أكثر دفئاً وإشراقاً. يهمي المطر بغزارة.. مطر الفَخار والهامة المرفوعة.. رويداً رويداً تبزغ عين الشمس من خلف الغيوم، لكن بعضهم فتح في وجهها مظلاتٍ بحجم طبقة الأوزون!!

١٢) شجرة

تلك الشجرة التي هناك، إنها تعلو وتعلو وتفرش ظلها على الجميع، تمنحهم جمالها وتوزع عليهم أنسامها. لكن بعضهم، رغم هذا، شمروا عن سواعدهم وحملوا فؤوسهم.. جاهدين لقطعها!

تيلي صالح

حلم

حياتك برمّتها أحلام.. الأحلام تمنحك فرحا غامراً وتضفي على عيشك السعد والإقبال. لهذا تخلع على النوم قداسة من نوع خاص؛ النوم عندك مصدر الأحلام، والأحلام مصدر السعادة والفرح.

الأمنيات التي لم يبلغها المرء ولن يبلغها قطّ تجعلها الأحلام طوع يديه. في الأحلام يكون الانسان حرا في عناق حبيبه وتقبيله بحرارة. أأنت من المؤمنين بأن الشعوب التي لا ترى الأحلام شعوب جاهلة لا تفقه شيئا ولن تدرك شيئا من سعادة الحياة وإقبالها؟!

الأحلام سكينتك. الأحلام طعامك وشرابك. كل الأفكار تتجمع في الأحلام.. ولهذا صار النهار نفسه، لا الليل فحسب، نوما وحلماً.

هلم ابدأ إذن، ضع قطعة ثلج في كأسك الذي غدا ساخناً وتعذر عليك احتساؤه. هذا الحديث قطع عليك حلمك، رغم أنك ما زلت نائما.. إنك تشعر بسعادة غامرة حين تواصل حلمك.. أنت حقا لا تبدل أحلامك بكل ما في الدنيا من أحاديث ونقاشات.

-"لا بأس، أريده أن يدفأ قليلا. الجو بارد جدا"

-"هل ستظل تعيش مع أفكارك، كأنك لست معنا؟ هيا تكلم كي تمر ليلتنا!"

وشرع الثلاثة، كما اعتادوا، بالأكل والشرب والأحاديث العديمة المعنى، فتتعالى ضحكاتهم مع بعضها وتنحني رؤوسهم وتسيل دموعهم مع بعضها الآخر.

الصديق الذي أفرغ نصف كأسه أوقف النقاش، كان يريد أن يحوّل مجرى الكلام ويقول شيئا جديدا، أو إن شيئاً ما كان يعتمل في صدره ويريد أن يبوح به الى أقرب صديقين له فقال بصوت ملؤه السعادة:

-"حسنا. الليلة البارحة نمت مبكرا بعض الشيء ورأيت حلما رائعا!"

كنت تريد أن تقول بأن كل الأحلام رائعة وأن الانسان بلا حلم لا يعرف شيئا عن سعادة الحياة، لا يملك مشاعر أو أحاسيس، بل ربما لا يكون إنسانا.

-""كان حلما طويلا، كأنه فلم أخرجه مخرج ماهر ووضع له السيناريو كاتب شهير: رأيت شوارع المدينة وقد غصت بالناس

وامتلأت بالجمال والنظام، كانت البنايات الشاهقة التي تطاول السماء جميلة للغاية، ورأيت الناس، للمرة الأولى، وهم يرفلون في سعادة وحياة هانئة هادئة.. أقول لكم إن ذلك لم يكن مجرد حلم بل فلما هادفا ناجحا.. تنزهتُ مطولا في تلك الشوارع، رأيت أموراً عجيبة، لم أكن أصدق ما أراه لكن الحلم بدا أشبه بالحقيقة. فجأة وجدت نفسي وسط دبكة كبيرة للغاية لم أفلح رغم جهدي في أن أرى بدايتها ونهايتها. رأيت العشرات، بل المئات من الأيدي التي تمسك الطبول والمزامير. كل أبناء المدينة وبناتها اجتمعوا في تلك الدبكة. كنت واقفا وسطها، أمسك بعلم كبير، كبير جدا. كنت أريد أن أذهب به الى رأس الدبكة وأهزه بكل ما أوتيت من قوة وأزيد الدبكة حماوةً. أتعرفون لماذا لم أشترك في الدبكة؟"

ظل رفيقاه صامتين بانتظار أن يجيب بنفسه على سؤاله.

-"حسنا، لم ألتحق بالدبكة لأنني كنت خائفا، كنت أخشى أن يكون حلما كالمعتاد ولم أشأ أن اتحرك كثيرا كيلا أخرج من هذا الحلم اللذيذ. كان حلما رائعا حقا ذاك الذي رأيت!"

أفرغ الصديق الثالث كأسه وعدل جلسته:

-"حسنا، لقد ذكّرتني. أنا أيضا رأيت حلما بالأمس لكن حلمي لم يكن في الليل بل في النهار. كثيرا ما يقولون إن أحلام النهار تجلب النحس ولهذا لا أريد أن أقصه عليكم. كان حلما مزعجا للغاية"

أردتَ أن تقول: صدّقني. ما من حلم يجلب النحس. أحلام المرء تصبح حقائق. الأحلام تجعله يشعر بكل شيء. إن عقل الانسان يعمل بشكل أفضل اثناء الحلم ويصل الى حقائق أكبر.

-"ألا تسألاني عن مضمون حلمي؟ حسنا: لم أكد استغرق في النوم حتى رأيت نفسي في برية شاسعة. وجدت نفسي وحيدا فانتابني هلع شديد.. رفعت رأسي فاذا بي أرى السماء وهي تتفجر ويصدر عنها رعد مدوٍ.. كان رعبي شديدا، إن أردتما الحق! أشعل ذلك الانفجار نارا عظيمة من حولي، نارا عظيمة للغاية.. وراحت آلاف الغربان المحلقة فوق رأسي تتساقط فيها وتحترق في الحال! كانت تلك المجاميع الكبيرة من الغربان تأتى فرادى ثم تهوي في تلك النار العظيمة التي يصل لظاها الى أركان الدنيا الأربعة. كانت الغربان تسقط في النار فتحترق من فورها حتى لا يبقى لها من أثر. هل تصدقان أنني شمّرت عن ساعديّ وشرعت في محاولة إخماد تلك النار الهائلة وإنقاذ الغربان منها؟ لقد أنقذت الكثير منها في الحقيقة، لكن النار

كانت أقوى مني. ناديت وطلبت النجدة فلبى مئات من المعارف والأقارب ندائي وهبوا معي لإخمادها أولا ثم انقاذ الغربان. ولكن هل تصدقان بأن النزاع سرعان ما شب بيننا حول اطفاء النار وانقاذ الغربان؟! انقسمنا الى كتلتين، ثم ثلاث ثم عشرات الكتل والطوائف وهاجم بعضنا البعض وكل منا يدعي دورا أكبر في اخماد النار وانقاذ الغربان!

لا أطيل عليكما. بعد أن خمدت النار لم تعد تطال الغربان بلهيبها. حلمي، لا حلمك، هو الفلم يا أخي العزيز. صدقاني إن قلت لكما أن أعظم كتاب السيناريو في العالم لن يستطيعوا صياغة حلمي. لكن انتظرا، إن نهاية حلمي لأغرب وأعجب من بدايته. عندما رأتنا الغربان على تلك الحال وكيف أنا انقسمنا الى عشرات الطوائف المتنازعة لم تلبث أن انقضت على رؤوسنا وغرزت فيها مناقيرها لتلتهم أدمغتنا وتسمل عيوننا. ولولا أن أم العيال أيقظتني من نومي لكانت تلكم الغربان قد أتت علينا جميعا! قد أخبرتكما أن أحلام النهار تجلب النحس. إنها بالغة السوء. لم أكن راغبا في أن أقصه عليكما، لكنني لم أتمالك نفسي. لو لم أروه لكما لمتّ!

كنت تريد أن تقول بأن الناس جميعا يعيشون هذا الحلم؟! من منا لم يره؟ ومن منا لم يكن داخله؟! إنه لا يعرف بأن صمتك هو الآخر دليل على أنك تعيش في حلم كهذا!

-"هلما نغادر. أظن بأننا تأخرنا كثيرا هذه الليلة"

تلك كانت كلماتك التي أردت أن تختم بها الليلة.

تيلي صالح

عدالة إلهية

(مهداة الى جميع السيدات الواقعات بقبضة داعش)

في تلك الغرفة الأكثر حلكة من السجن فتحتِ عينيكِ. رغم أن العالم ما زال مظلما مثل غرفتك ولا يتبين فيه الخيط الأبيض من الخيط الأسود. عيناكِ تطلعتا من جديد نحو حلقة تلك النجوم اللاتي صرن صديقاتك ورفيقات ليلك، في شباكك العالي كنتِ تستضيفيهن كل ليلة، يسامرنك ويخففن عنكِ، ويدخلن الى قلبك سعادة غريبة، يلاعبنكِ، يضاحكنك، ويخبرنك بأنهن يشعرن بكِ، ثم يضربن لك موعدا في ليلة ظلماء أخرى.

-"أيها الإله المبجل، لطالما انحنيت لك وما فارقتَ ذهني يوما. أنا الأخرى تركت نفسي فريسة للجوع والعطش وأعرضتُ عن مسرّات كثيرة كي أنال رضاك. كنت أغطي شعري ولم أسمح لأي انسان برؤية مفاتني، من أجل أن يتحقق ما كانت تقوله أمي: فليحفظك الإله يا ابنتي"

صرخاتكِ ما زالت أصداؤها تتردد في كل العالم، عندما ساقوا أباك وأخواك أمام ناظريكِ نحو الفناء. كنت تظنين أن صراخك

يصل الى الإله وكنتِ تنتظرين منه جوابا، وكنت تطلبين مع كل صرخة تعيديها أن تكوني فداءً لهم:

-"**خذوني بدلا من أبي وأخويّ. اقتلوني. خذوني لكم. سوف أخدمكم العمر كله**"

لكنها وضعت يدها على فمك وكتمت صوتك وأنفاسك وأبعدتك عن تلك المشاهد، غير أن صوت البنادق كان يبلغ أذنيها فأدركت بجلاء كل ما كان يجري.

-"**أيها الإله المبجَّل. أنا أيضا كنت أرغب بمساعدة الناس جميعا. لقد نبتت محبة البشر كلهم في قلبي. كنت أحب أبي وأمي. كنتُ اخدمُ أخوتي. وكنت، لكي أنال رضاك، أخبرك مع كل طلعة شمس وغروبها بآمالي وأمنياتي. أنا أيضا كنت أعيش طوع حكمك وإرادتك، وكان مرادي الأول والأخير هو محبتك، هو رضاك عني..**"

مرة أخرى تبصرين مشاهد الفوضى والزحام في السوق، لقد طُبعَت في عقلك ولا يمكن أن تُمسح بضغطة زر. كنت مكبّلةً مشدودة اليدين بالحبال معروضة للمشترين والبائع ينادي عليك في زهو واعتزاز، يريد أن يبيعك بأعلى سعر!! جمالك كان نقطة قوية

في صالحه، كان يتفاخر بقامتك، وعيناك الجميلتان جعلت المشترين يتحلقون من حولك..

-"وهل أنا حيوان كي أباع وأشترى؟!! أم إنني دمية مطاطية يقتنونها لأطفالهم؟!!"

كنتِ تريدين أن تخرج كلماتك هذه المكتومة في صدرك من فمك، أن تصرخي بها بأعلى الأصوات. كنت تريدين أن توصليها الى ذلك الإله الذي أرضِعتِ على يديه. لكنك كنت تعرفين بأن أحداً لن يلبي نداءك ولن يساوي عندهم شروى نقير؟!!

-"أيها الإله المبجل، أمي كانت تثق بك كثيرا، وبي أيضا، أنا ابنتها الوحيدة، ولذا أحبتني حبّا جمّا، لكن حبها لك كان يفوق حبها لي. أنا موقنة بأنه ما زال أكبر من حبها لي وأن عشقها لك ما زال أكثر احتداماً!! كل جهود أمي ومساعيها كانت تتلخص في تلقيني المحبة، في أن أنظر للناس جميعا على قدم المساواة، أن أتعلم حسن التصرف معهم، أن يمتلئ قلبي بحبك، أن تزرع ذلك الحب في عقلي وأن أتربى وأكبر تحت ظله، كي أكون قريبة منك على الدوام، أن أعيش معك وأكون في خدمتك"

كانت الليلة البارحة ثقيلة وطويلة عليكِ. كدتِ أن لا تصدقي عينيك، ذلك الرجل الذي دنا منك في السوق وتأمل صفاتك مليا،

لقد ظننتِ بأنه فعل ذلك عن عاطفة أبوية، ولذلك أجبته وأنتِ تبتسمين دون أن تخطر أغراضه على بالك. لم تتعلمي لغة العيون بعد ولم تفهمي لغة الصمت.

-"كنتُ صديقة لكل أطفال القرية، كنت أتعامل بنبل ووفاء مع الكبار والصغار، وذلك الإله الذي دلّتني عليه أمي ظلّ معي على الدوام فلقد قالت لي أمي:

"الصالحون يعيشون مع الآلهة"

أنا الأخرى أردتُ أن أكون من الصالحين وأن لا أبتعد عن الإله. أن لا أعدَمَ من رحمته. واظبت على مرافقة أمي لزيارة الصالحين، واعتدت أنا الأخرى على مكاشفتهم بآمالي ومقاصدي، قلبي الصغير كان طافحاً بالمطالب والالتماسات، أنا الأخرى كنت أصارح الإله بأمنياتي بحضور الصالحين"

أيام عديدة مضت من عمرك الغض وأنتِ في هذه الغرفة المقفلة، رغم أنكِ لم تعرفي عددها ولم تفرقي بين الليل والنهار إلا بمساعدة تلك النجمات اللاتي صرن صديقاتك، لكن هذه الليلة بالذات أثقلت كاهلك. إنها ليلة مرعبة، ليلة اغتالت كل آمالك، ليلة موجعة منعتك من بلوغك ربيعك السادس عشر. كنت غارقة في

بركة من الدماء. ذلك الرجل ذو الضحكة المتوحشة واللحية الطويلة والشعر الأشعث كان ضيفك. جسدك كله مثخن بالجراح التي تنزُّ دماً. روحك كلها أوجاع وآلام. أحسست بأنك ممددة وسط نار مستعرة. فقدتِ كل قدرة على الحراك، دماغك نفسه ما عاد يعمل، دقات قلبك تكاد تتوقف، لم تعودي تحسّين بجسدك.. عيناكِ انطبقتا وودّعتِ النجمات.

-"لا تأخذنني. لا أريد لروحي أن تعلو وتبلغ السماء. أريد أن أبقى مع صديقاتي، أن أعيش مع أمي. لا أريد أن أصل الى حضرة إله لم يسمع نداءاتي وصرخاتي، أريد أن أظلَّ هنا وأن أصادق كل تلكم السيدات اللاتي يعشن آلامي وعذاباتي وأن نشعل نار ثورة الحرية،. أن نستحيل رموزا للحياة وأن نحيي روح الإنسانية في دواخل البشر. لا تأخذنني.. لا تأخذنني الى أي إله!"

جاسم صبري

بلاد المشانق

كان يومي العاشر في السجن دون أن يخبرني أحد بسبب وجودي فيه. فجأة رأيت شرطيين يأتيان ويناديانـي. أمسك كل منهما بإحدى يدي واقتاداني خارج الزنزانة. قال السجناء:

-"هنيئا لك، سوف تنال حريتك؟

مضيا بي صوب بوابة السجن الكبيرة، ثم اركباني سيارة الشرطة، فعادت لي الروح من فوري وقلت في نفسي:

-وهذه المرة تحررت ايضا، ربنا كريم حتى المرة التالية"

مازال حديد القيود في يدي باردا من شدة انخفاض الحرارة في الزنزانة حتى أن أصابعي لم تكف عن الارتجافٍ، لكن جبيني يتصبب عرقا من الخوف. تداخلت أحاسيسي ولم أكن أعرف شيئا عن مصيري، فاختنقت حنجرتي بخليط من البسمات وشهقات البكاء. توقفنا عند إشارات المرور فسألت الشرطي الجالس بجانبي:

"سيدي، إن كنتم ترومون أخذي الى البيت فنحن نسلك الطريق الخطأ. حينا يقع في الطرف الآخر من المدينة أما هذا الطريق فيؤدي الى السوق"

فأجابني مبتسما:

-**"الوطن برمته بيت للإنسان، فأقفل فمك!"**

بعد دقائق وصلنا الى منتصف السوق. أبصرت حلقة كبيرة من المتجمهرين. حين وقعت عيني على حبل المشنقة اعترتني رعشة أثقلت أقدامي، وبلغت ركبتاي من الارتعاش درجة ما عدت اتحكم فيها بحركتي. ما عدت أشعر بجسدي. أنزلوني من السيارة وأصعدوني الى منصة الاعدام. بعضهم كان يقول ها هو الملحد، بعضهم يقول هذا خائن، بعضهم كان يشتمني بينما قال آخرون مع الأسف، ما زال شابا يافعا.

حين وضعوا الحبل على عنقي قرأ أحد الشرطيين بيانا قيل فيه:

-**"هذا الشخص أدين بتهمة الاتصال بمجموعة ارهابية معادية للحكم وبتجارة المواد المخدرة وقد حكمت عليه المحكمة بالإعدام شنقا وسوف ننفذ العقوبة كما أمرت المحكمة"**

في تلك اللحظة تذكرت الخطأ الفادح حين كنا نقول لمدرس الجغرافية:

-"هذه المدينة التي نعيش فيها محتلة من النظام لكنها مدينة كردية من أقدم العصور"

وعندما طلب مني أحد رجال الشرطة أن أقول كلماتي الأخيرة فتحت فمي وصحت بصوت عال:

-"الوطن برمته بيت للإنسان، شرط أن لا يعيش فيه عدوه!"

جلال قادر

كيف صرتُ شاعرا

كان عندي صديق طفولة اسمه شمال. كنا، أنا وإياه، من أشقياء و(سرسرية) منطقة (رحيم أوه) ولم يجرؤ أحد على الاحتكاك بنا. لكن الأمر لم يطل كثيرا مع الأسف إذ سرعان ما انتقل شمال للسكن في السليمانية! وحالما علم أهالي رحيم آوه بأنني غدوت وحيدا حتى اجتمعوا علي وأشبعوني ضربا.

بعد سنوات أخبرتني أمي بأننا سنذهب الى السليمانية كي نزور بيت شمال. كدت أطير من الفرح. أحببت في حياتي ثلاثة أشياء في السليمانية: مَنّ السماء، شراب الزبيب، وفتياتها حين يقلن (فديتُك)!

زرنا بيت صديقي شمال. قدمت له هدية عبارة عن (بوكس حديد) فقال لي:

-"ماذا تفعل بهذا يا صاح؟!"

-"لنخيف به أولاد محلتك"

-"أخفه سريعا. في هذه المدينة أشقياء لا يحسبون ضربتَي السكين الأوليتين! دع عنك هذا وتعال نخرج للنزهة"

-"أحب من السماء وشراب الزبيب"

وهكذا نزلنا الى وسط المدينة وتناولنا من السماء وشراب الزبيب. أثار دهشتي أن صديقي شمال لم يكف عن التوقف أمام كل مكتبة أو بائع جرائد ليقرأ المانشيتات والعناوين، وانتبهت الى أنه تصفح كراسة صغيرة لأشعار عبد الله بشيو[1] وقال إنه كان سيشتريه لو توفرت لديه النقود. أمسكت بالكتيب وقرأت عنوانه (ما من ليلة لا أحلم فيها بك!)

حين عدنا الى البيت كان الوقت عصرا وقد أوشك الظلام على الحلول. أخرج لي شمال دفترا من مئتي صفحة وقال لي:

-**"هذه كلها أشعاري وأنا من كتبها"**

عندها أحسست بأن شمالا قد تغير وغدا شاعرا فسألته:

-**"وكيف يصبح المرء شاعرا؟"**

-**"عليه أن يكون عاشقا"**

قلت مع نفسي:

-**"ومن ستعشقني في تلك ال (رحيم آوه) التي يعرفني فيها الجميع بالوسخ القذر!"**

---

[1] شاعر ومترجم كوردي شهير، ولد في أربيل عام ١٩٤٦.

بدأ شمال بقراءة قصائده، أما أنا فقد كاد رأسي ينفجر! سألته:

-"حسنا، ومن هي معشوقتك؟"

-"فتاة من الحي سنراها هذه الليلة"

-"وهل تقول لك (فديتك)؟"

-"نعم. كلما رأتني"

عندها قلت له:

-"يا حبيبي يا شمال. عندي لك هدية، لكن استحلفك بالله أن لا تغضب مني!"

-"تفضل"

وأخرجت كتيب (بشيو) من تحت قميصي، فسألني باستغراب:

-"من أين أتيت به يا هذا؟"

-"لقد سرقته من المكتبة.. من أجلك"

-"يا لك من صديق طيب.. لكن إياك أن تسرق شيئا مرة أخرى في هذه المدينة، فالناس هنا "أنغل" منك!"

كان الظلام قد حلّ عندما انتهى شمال من قراءة بعض مقاطعه على أسماعي، فقال:

-"يا حبيبي (بخه) قم لنذهب وأعرّفك على محبوبتي"

اجتزنا بضعة أزقة ثم وقفنا ننتظر تحت شجرة توت. وفجأة دنت منا صبية كأنها القمر وقالت بصوت عذب رقيق:

-"يا حبيبي يا شمال، فديتك، أهذا أنت؟"

-"نعم. وهذا هو صديقي الذي حدثتك عنه"

بعد التحية والسلام الذي جعلني أتلعثم ولا أدري ما أقول حتى أخذا يضحكان مني، أخرج شمال دفتر أشعاره وقرأ بعض المقاطع، ثم سلمني الدفتر وقال لي:

-"اذهب الى رأس الزقاق وانتظرني هناك"

ابتعدت وقد عزمت في قرارة نفسي على أن أصبح عاشقا وشاعرا فور عودتي الى رحيم آوه! عندما رجع صديقي شمال سألني:

-"ها أيها المتشرد. هل كانت حبيبتي جميلة؟"

-"أقسم بالله لو كانت هذه حبيبتي لكتبت لها ديوانا كاملا من الأشعار!"

لم يغمض لي جفن تلك الليلة في السليمانية. كنت أتساءل: ترى هل أستطيع أنا أيضا أن أصبح عاشقا وقادرا على كتابة الأشعار؟!

حين عدنا الى كركوك تغير وضعي وتبدلت طباعي في فترة وجيزة. لم أصبح عاشقا لكنني غدوت أشهر شاعر في حي (رحيم آوه) ... كيف لا وقد سرقت دفتر أشعار صديقي شمال!

حسن ابراهيم

التاج الذهبي

أنهتْ لجنةُ الإعداد والإشراف على (جائزة التاج الذهبي السنوية لمكافحة الفساد) أعمالَها، وتمّ توزيع الدعوات والنشرات على كل ركن وجحر في المعمورة. شكلوا العديد من اللجان: لجنة الدولة الخالية من الفساد؛ لجنة المسؤول غير الفاسد؛ لجنة الأمة الأقل فساداً؛ لجنة الثوري الذي لا يعرف الفساد اليه طريقاً؛ لجنة الموظف الذي لم يقرب الفساد؛ لجنة المثقف المعادي للفساد؛ لجنة الملالي ورجال الدين المحرّمين للفساد؛ لجنة الفلاحين والمزارعين المستأصلين للفساد؛ لجنة الطلبة الذين يدرسون من أجل القضاء على الفساد؛ لجنة رعاة الأغنام والأبقار الذين لم تتلوث دماؤهم بفايروسات الفساد؛ لجنة بائعات الهوى اللواتي لا يَنَمنَ في أحضان الفاسدين؛ لجنة الذين لم تطرق كلمة الفساد أسماعهم.. ولجان كثيرة أخريات.

وانهمكت اللجان في العمل مثل خلايا النحل، وأُعلِن عن أماكن منح الجوائز ومواقيتها. وبعد أن انتهت جميع الترتيبات، وفي ساحة واسعة، أعلن قاضٍ ذو خبرة طويلة، عن أسماء اللجان التحضيرية، وبصوتٍ مليء بالثقة كشفت كل لجنة عن أسماء

مرشحيها. وابتدأت المنافسة الحامية، وضجّ الميدان باللغط والحراك، وبعد الأخذ والرد ومفاضلة هذا بذاك أقرّت كل لجنة عدداً من المرشحين من كل بلد، ولبثوا بانتظار القاضي ليمنح الجائزة لأكثر المرشحين نزاهة. ونهض رئيس المُحَكِّمين وراح يستعرض بناظريه اللجان جميعا: أمام كل لجنة كان ثمة مرشح أو أكثر يقف في شموخ رافعين أعلام بلدانهم. وارتفعت أعلام كل البلدان، إلا علم بلادٍ لا حدود لها؛ وحضر مندوبو كل الأمم، إلا أمة لا وطن لها.

اجتمع رئيس المحكمين مع اللجنة المشرفة، وتداول معها، ثم تقرر ايقاف المنافسات وتشكيل لجنة خاصة للاستفسار والمتابعة، وارسلوا فريقا خاصا الى ذلك البلد. وجالوا بين الناس وسألوهم: لماذا لم تشتركوا في هذه المنافسات؟ لكن أحداً لم يجبهم. وألحوا في المتابعة والاستفسار فعرفوا أن المسؤولين ملتصقون بالكراسي، الناس ثملون بالحرية وفي شغل عما يدور من حولهم، الثوار محالون على التقاعد، المثقفون تحولوا الى نافخي مزامير، الملالي وأهل الدين ما زالوا يلوكون في علكة معركة بدر، الفلاحون صاروا رجال شرطة، الطلاب مشغولون بموبايلاتهم وبالأغاني التركية، الفقراء يتعاركون مع الله كي يصبحوا هم أيضاً فاسدين، رعاة

الأغنام والأبقار صاروا حراساً وخدماً في بيوت المسؤولين، بائعات الهوى.

- تعالت الضحكات- بائعات الهوى عندنا لسن مثل اللواتي عندكم، بائعات الهوى عندنا متلفعات بالعباءات السوداء،محجبات الرؤوس، تنسدل حواشي ثيابهن حتى الأرض، مواظبات على الصلاة والصوم، في الليل ينمن على صدور أزواجهن وفي النهار يلعبن في أحضان الفاسدين. من طفلنا في يومه الأول حتى شيخنا الواقف على شفير القبر والكلمة التي نلوكها نحن واياهم هي (الفساد). لكن كل خبراء الأرض، حتى إذا اجتمعوا، لن يفلحوا في كشف فاسد واحد.

ولهذا نحن لسنا بحاجة الى مسابقات ومنافسات.

اذهبوا وأتونا بكل الجوائز وكل التيجان الذهبية. لا أحد مثلنا في البعد عن الفساد. نحن جميعا، نعم جميعا، نستحق تيجانَ الذهب!

حسن ابراهيم

أصدقائي

قبل أن أفكر بمستقبلي، قبل أن أفكر بسعادتي وحياتي، أفكر بوطني وبأصدقائي.

من كثرة حديثي عن أصدقاء طفولتي صار العديد من زملائي في العمل يعرفون أسماء اصحابي في الوطن.

عندما أبتسم يسألونني:

-"مع من كنت من أصدقائك؟"

عندما أغضب يسألونني:

-"مع أي من أصدقائك تخاصمت؟"

أعمل ليل نهار، أتحمل كلَّ بخل وشحٍ كي أجمع مبلغ بطاقة سفر الى بلادي.

عندما يحين موعد عطلاتنا في العمل، يشرع كل واحد من زملائي بالحديث عن سفراته السابقة والقادمة. لم تبق من بلاد لم يروها.

أنا وحدي أظل صامتاً. أنا وحدي أجمع كل دخلي كي أرى بلادي وأصدقائي.

في كل عام، وكما لو أنها المرة الأولى التي أرى فيها هذه البلاد، عاماً بعد عام تحلو في ناظري وفي قلبي.

سألني زميلٌ ألماني:

-"من أي بلدٍ أنت؟"

جابهته بوجه ذاهل وجبين عابس وعينين ممتلئتين باللوم فأحس بغضبي وأمسك بكتفي وقال:

-"أعذرني. أنا أعرف أنك كوردي. لقد تحدثت لنا كثيرا عن الأكراد، لكن قصدي هو: من كورد أي البلدان أنت؟"

زاد غضبي:

-"أنا من كوردستان"

فسألني ضاحكاً:

-"كوردستان أي بلد؟"

أجبته بصوت مرتفع:

-"كوردستان الكورد"

واشتعلت غضبا من ضحكه.

-"أعذرني، كوردستان التي هي جزء من العراق؟ أم التي هي جزء من إيران أو تركيا؟"

لم يسمح لي بالرد. كان يعرف إجابتي:

-"صحيح إن كردستان وطن واحد كما تقول ولكن..."

لم أشأ أن أوجع رأسي فقلت:

-"كوردستان العراق

تحول ضحكة الى لعبة سمجة.

-"قل هذا من الأول يا صاحِ"

وسكت فعرفت أنه سيسألني سؤالا آخر. استدار نحوي من جديد:

-"منذ كم عامٍ لم ترَ كوردستان؟"

-"أنا أزورها كل عام"

أردت أن أقول المزيد عن بلادي وأصدقائي. لم يعطني فرصة، سألني بنبرةٍ حزينة:

-"كم صديق لك في كوردستان؟"

رفعتُ رأسي وملأت صدري بالهواء.

-"بقدر هذه الدنيا، وكل واحد منهم يعادل الدنيا وما عليها."

ضحك من جديد ووضع يده على كتفي وقال:

-"أنا أصدِّقك. لقد قلت هذا كي أداعبك"

وابتعد وهو يتمتم بصوت منخفض كمن يحدث نفسه:

-"هنيئاً لك. أنت محظوظ للغاية"

وامتلأ وجهي بالسرور والظفر.

بعد أن قرّ قراري. بعد أن استحال همي الى سعادة وسرور، بعد أن صارت لياليَّ نهارات مشرقة وامتلأت بالعشق والمحبة، قبل أن أقبّل يد جدّتي، درتُ في أزقة المدينة، بحثتُ عن أماكن لعبي وملاهي طفولتي. بحثت عن أصدقائي.

لم أرَ منهم أحداً. ما شممتُ ريحهم في مكان.

اضطررت للسؤال. سألت الأزقة والشوارع والشجر والحجر. سألت أصدقاء الجيران وبناتهم. لم يجبني أحد. لم يملك أحد وقتا للإجابة.

وارتفعت ضحكات واحد من مجانين المدينة:

-"ها يا هَزار.. عمن تبحث؟ عمّ تبحث؟"

رفعت رأسي وقلت:

-"أبحث عن اصحابي. أنا في غاية الشوق اليهم. أخبِرني بالله عليك أينهم؟ قل لهم إذا لقيتهم أنني ما جئت إلا من أجلهم. من أجل أن أراهم"

ملأت ضحكاته الشارع، والتفت نحوي العديد من المارة، وشاركوه الضحك.

-"يا هزار.. أصدقاؤك صار بعضهم أمراء

صار بعضهم وزراء

صار بعضهم أسرى للحياة"

قلتُ:

-"وكيف لي أن أراهم؟ كيف لي أن أسّلم عليهم؟ أنا مشتاق لهم جميعا"

فضحك من جديد وقال:

-"أصدقاؤك صاروا من الجن، صاروا خيراً منّا. أنت لا تستطيع رؤيتهم. إذا وقعت عيناك عليهم جننتَ مثلي في الحال"

ومضى نازلاً في الطريق تصحبه ضحكته المجلجلة.

امتلأ عقلي بالخوف. عدت الى غربتي القاتلة دون أن أرى أصدقائي. في العمل تلامس كتفانا، أنا وزميلي الألماني، قال لي:

-"سفرة سعيدة"

-"شكرا"

وقبل أن أتهرب من أسئلته قال لي:

-"هل التقيت أصدقاءك؟"

نكّستُ رأسي وخفضت صوتي وأجبته بصوت يقطر منه الخجل:

-"أصدقائي ماتوا.. كلهم ماتوا!"

غمر الشك والخوف محياه، توقف قبالتي:

-"أصدقاؤك ماتوا؟ كلهم؟"

هززت رأسي مؤكداً وأجبت:

-"لم ينجُ منهم أحد"

والتقت عيناه المتسعان دهشةً بعيني الخجلتين، ثم انصرف عني قائلا:

-"آسف، لقد ذكّرتُك بأمورٍ حزينة"

غير أنه استدار نحوي مثل مجنون.

-"ولكن كيف ماتوا؟ من قتلهم؟ و..و.."

أراد أن يعيد علي السؤال بألف طريقة، لكنني فررت من عينيه.

وجهه، بل جسده كله، يضجّان بالشك والسؤال. كل قطعة من جسده تمطر بألف استفسار.

لم أكن اريد له أن يعرف أن أصدقائي، أحبتي الذين كنت أعزهم أكثر من روحي، قد امتطوا صهوة امواج الحياة المسرعات.

لم أكن أريد له أن يعرف أن أصدقائي الذين جمعتني بهم ذكريات الحزن والفرح قد وقعوا أسرى للسوق.

لا وقت لديهم من أجلي. لا وقت لديهم لأجل حياتهم.

إنهم ينتظرون الدولار.. وعزرائيل!

حسن ابراهيم

دِمستان

١)

مطر أحمر، انهمر من غمامٍ أسود.

أذبل الغابات. أعمى البشر. واستعصت الطرقات.

خرجت الديناصورات وآكلات اللحوم من جوف الأرض.

لم يبق من مكان ينام فيه البشر.

موعدي معها كان قبيل الصبح.

كنت أريد أن أقبل شفتيها.

وكانت تريد أن تجعل من قلبي جسرا.

ولم أجد من طريق سوى أن أختبئ في بطنها...

٢)

في كلا القطبين كان الثلج يذوب.

غدا العالم إناء طافحا بالماء.

أرواح الأحياء استحالت الى أوراق شجر، هوت على صفحة الماء.

غيمة حالكة غضبى ارتمت على غيمة بيضاء. وحين تبادلتنا القبل هطلت قطرات من مطر أحمر.

تلك الأوراق التي كانت تنتظر الحياة أحالها المطر الى مصاصات دماء.

كان لي معها موعد على حافة إناء طافح بالماء والدم.

أردت أن أحيل شفتيها خبزا آكله.

أرادت أن تجعل قلبي زورقا تنقذ به نفسها.

واستطالت حربنا.

وسقطنا، أنا وهي، جثتين هامدتين.. تحت إناء ماء!

حسن سليفاني

خبزٌ مُحلّى بالسكر

بقيت صامتة لبعض الوقت وهي تتطلع الى أركان الكهف المعتم وجدرانه، حتى اتحد الخوف والظلام ليهاجمانها معاً.

" حَلو" ذاتالأعوام الأربعة ألقت بجسدها في حضن أمها وألصقت رأسها الأشعث بصدرها:

- **"أنا جائعة يا أماه. أريد خبزاً محلى بالسكر"**

نهرها والدها القريب منها:

- **"اخرسي، أهو وقت طلبات كهذه؟!"**

انخرطت حَلو بالبكاء. غطت عينيها بيديها، أبعدت رأسها عن صدر أمها، ونظرت إليها في توسل، قالت وهي تبكي:

-**"أماه أنا جائعة"**

كان قلبها يتفطر أمام دموع البؤس والجوع لطفلتها المدللة:

-**"كفى بكاء يا ابنتي.لا توجعي قلبي، ها أنا ذاهبة لأجلب لك الخبز وليحدث ما يحدث"**

أخرج زوجها كيس التبغ من جيبه، حدق في ساقه اليمنى المبتورة، في لحظة عاد بذاكرته أياماً وأشهراً وسنيناً ثلاث:

-"**أحِط بها يا يوسف ولا تدع أحداً يقترب منها، ذلك أفضل. هذا ليس عملك. إنه بلاء. ابتعد عنه!"**

-"**أعرف ذلك، لكنني لا أرتاح أبدا كلما رأيت هذه العبوة غير المنفجرة شاخصة أمام باب البيت، أحسها مزروعة في قلبي"**

-"**ماذا ستفعل بها؟"**

-"**سأحفر من كل الجوانب، وأخرجها وألقي بها في البرية، يا لها من غضب علني قبيح!"**

-**إذن كن حذراً جداً"**

...

-"**يوسف..يوسف"**

-"..........!"

-"**أ رحلت ثانية إلى عالم الذكرى يا يوسف؟"**

-"**ها..ها.. ما بك يا عالية؟"**

-"**إنني ذاهبة، انتبه للطفلة"**

كان يعلم أن كلامه لن يغير من الأمر شيئاً، لا أحد مثله يدرك طبيعتها، لكنه قال لها:

-"لا تذهبي.لا تذهبي يا مجنونة. ألا تسمعين صراخ طائرات أولاد الكلب؟"

-"لا تلق بكلماتك سدى في النهر، ألا تعرفني يا يوسف؟ سأذهب يعني سأذهب"

-"أتبحثين عن موتـ..؟ أعوذ بالله!!"

قالت لها امرأة مسنة كانت بقربها، بيضاء الشعر، ذات وجه غارق بخطوط الزمن المتعرجة:

-"اجلسي ولا تذهبي، فابنتك لن تموت من الجوع أبدا"

خاطبها رجل عجوز يحمل سبحة سوداء في يده، وما ينفكُّ يردد آيات من القرآن بصوت مخنوق ولا يملُّ الدعاء:

-"اذكري اسم الله يا عالية ولا تكوني سبب البلاء لنا. إن خرجت سيكتشفون محلنا وستقصف الطائرات الكهف"

قبّلت عالية عَينَي حَلو، نظرت بشزر إلى الرجل العجوز، قالت له بلسانٍ قاس:

-"لا تخف يا صوفي علي، لا تخف لن تموت، ما دمتم هكذا سيبقى حالنا على هذه الشاكلة. أما تكفي حياة الذل هذه؟"

كانت عالية نشطة منذ صغرها؛ ترافق والدها لصيد الوعول، على دراية بعالم الجبل وخفاياه، وكثيراً ما كانت تقصد جبل "بيخير " وتقطع الأخشاب، تستجمع حملها وتعود إلى البيت قبل أن تستيقظ الشمس من نومها.

كل نساء القرية كن معجبات بحيويتها، ويخشونها في نفس الوقت.

عقدت منديل رأسها بإحكام. شدَّت أردان فستانها إلى خصرها، خرجت بسرعة من الكهف. لم تبال أبداً بالحجارة التي تعترض سبيلها، ولا بالشوك والعاقول.

-"من لي غيرك في هذه الحياة يا حلوتي حَلو؟"

كما ندى الربيع على الأزهار والعشب، كان العرق يملأ وجهها وجسدها. كانت تجفف أحياناً بعض قطرات العرق بيديها، وأحياناً أخرى بطرف منديلها.من بعيد لمحت الدخان الشاحب يحوم فوق أرجاء القرية، دون وعي منها بدأت تتأوه:

-"يا للمصيبة! لقد أحرقوا بيوتنا.الجبناء يستعرضون قوتهم علينا نحن العزل من السلاح. ها هم هناك. هيا اقتربوا منهم إن كنتم رجالاً.لعنكم الله!"

حثت الخطى أكثر وعيناها لا تفارقان القرية حتى وصلتها: البيوت مهدمة، المؤونة تحترق، خراطيش الدوشكا وشظايا قنابل المدافع تنتشر في أزقة القرية. بقلب ذبيح وأعماق مستعرة وعيون باكية سلكت طريق بيتها.غرفة المؤونة مهدمة، الأعمدة الخشبية العملاقة محطمة،حادلة السطح مستقرة في فناء البيت أجزاء متناثرة، دولاب عرسها منغرس في باطن الارض.

وهي على هذه الحالة طرق سمعها صخب الطائرات من بعيد. وبقدمين لا روح فيهما، ركضت إلى نبع النساء، اختبأت خلف صخرة كبيرة، لمحت طائرتين تحلقان على مستوى منخفض يسبقهما أزير وعويل هائلين.

حلقت الطائرتان بحريّة حول القرية عدة مرات وصبّتا حمل الدمار والموت فوق بقايا هيكل القرية، ثم اتجهتا بفرح شرقا مثل بازين تركا طريدتهما تواً.

وعادت عالية إلى القرية بوجه أصفر خلا من قطرة دم. شاهدت حفرة كبيرة في موضع سقوط الصاروخ

-"ليته **كان** قبركما الآن يا.."

رفعت يديها إلى السماء، داعية بصوت مخنوق يشوبه البكاء:

-"إلهي، اجعلهم لا يرون خير الدنيا في كل حياتهم. بأي حقٍ تركونا بلا بيوت ومأوى؟ يا رب خذ حقّنا، نحن المسالمين، من هؤلاء الظالمين.سأعدُّ لك الخبز المحلى بالسكر يا ابنتي يا حَلو"

بعد بحثٍ مضنٍ، وجدت صفيحة السكر بين الأواني المتطايرة بلا نظام، ملأت الصرة بالخبز الرقيق.

-"لا بد أن الأطفال جميعهم جياع مثلك الآن يا حَلو. فليأكلوا هم أيضاً، هذا الخبز يكفي الجميع"

حملت الصرة وإناء اللبن، سلكت طريق الكهف، قالت مع نفسها:

-"الحمد لله، لم يلحق الضرر بالناس، كان أبي على حق حين يقول: مالُ الدنيا ليس إلا قذارة اليدين، الأصل سلامة الناس"

لم تبقَ غير خطوات قليلة حتى تصل إلى الكهف لكن عويل الطائرات علا في الجو من جديد.

أسرعت إلى الوادي لتخفي نفسها، لكن إحدى الطائرات لاحقتها، وبدأت الطيران حولها في حدود دائرة ضيقة. أخذت عالية ترشق الطائرة بالحجارة بلا جدوى، بعد أن ملّ الطيار من اللعب معها، فتح فوهة الدوشكا. صوت مخنوق خرج من صدرها المثقوب كالغربال:

-"حَ..حَ.. حَلو"

وفتح عليها النار من جديد ثم طار مبتعداً صوب الشرق وتبعته الطائرتان الأخريتان.

كانت صفيحة السكر قد انقلبت على الأرض، وقد امتزجت بالدم القاني، وصرة الخبز معقودة على حالها. ومن بعيد ثمة صوتٌ يقبل ويدنو من جهة الكهف:

-"عالية، يا عالية. يا حسناء الأومريين. لقد تحطمنا نحن الثلاثة: أنا وأنت وحَلو..

- عالية..عَالية..عَاليا..عا..ل..يا...يا."

من شدة عويل النساء في الكهف، استيقظت الصغيرة حَلو من نومها، نظرت إلى صديقتها "جنو" وقالت لها بحب:

-"ستأتي أمي عما قريب، وستجلب لي خبزاً محلّى بالسكر.
سأقسمه إلى نصفين، نصف لي ولك النصف الآخر، أتقبلين؟"

(اعتمدنا ترجمة القاص نفسه لهذه القصة)

حسن سليفاني

ستكون بلون البحر

مثل عازفٍ تجاهل النوتات تنقر بأطراف أصابعك لحناً على اللوح الذي يفصل بينك وبين الباب الرئيسي. عيناك مشرعتان على وجوه القادمين، تثبتها أحياناً على الحقائب التي يدفعونها أو يسحبونها في لامبالاة. وحين تشعر بملمس جسد ناعم تلتفت نحو اليسار لتقابلك ابتسامة السيدة التي ترجو منك المعذرة وتقف بجانبك لتراقب القادمين:

-**"لقد وصلت الرحلة ٦٩"**

-**"لمَ لا؟ فلتصل!"**

تقول لنفسك وترجع للوراء.. تتقاطر على القاعة وجوه من بلدان مختلفة..

-**"حين تجتازين البوابة الرئيسية توجهي على الفور نحو اليمين. سأكون بانتظارك في الكافيه الأول"**

هذا ما كنت قد قلته لها.

-**"ستكون حقيبتي بلون البحر"**

قالت لك وفي صوتها أثر من ضحكة حين أجبتها:

-"نعم. كي تعرفي ذاك البحر الذي سوف أغرقكِ فيه!"

-"يا لك من وغد!"

-"وأنتِ الوغد بعينه!"

الأضواء المريحة التي تنتشر في حبورٍ في أرجاء القاعة في هذا الوقت من العصر تضفي نكهة رائعة على الموسيقى التي تتردد في كل زواياها.

كنت تعرف أن وقتاً ما لا بد أن ينصرم قبل أن تجتاز شباك تدقيق الجوازات وتستلم حقيبتها، لذلك توجهت مبتسماً نحو الصف الأول من الكافيه. قادتك قدماك الى واجهة زجاجية تزينت بالموبايلات. ترحب بك البائعة الشابة بثيابها البسيطة الأنيقة وتدعوك بيدها الى التفضل بالدخول، لكنك تجتازها وتقف أمام مكتب للسفر والسياحة للتفرج على الملصقات المكتوبة بلغات عديدة، ثم تهز رأسك وتتوجه من جديد نحو بوابة القدوم الرئيسية وتحدّق بأمواج القادمين.

-"أحقاً سنرى بعضنا البعض؟"

يتردد صدى صوتها في مسامعك.

-"لمَ لا؟ نعم سنرى بعضنا البعض"

-"هل أنا في حلم؟"

-"أيتها الصحراوية، أحلامك سوف تتحقق دون ريب"

-"من يقول هذا؟"

-"أنا أقول"

-"وماذا إذا ذهب أدراج الرياح؟"

-"عندها سألعن أجداد ذرئة الفأل وأكاذيبها الفاضحة!"

-"أووه، أما زلت تصدق ما تزين لك من آمال؟"

-"نعم. وهل يمكن العيش دونها؟"

-"نعم.. لقد وقعتُ في شِراكِ مجنونٍ رسمي!"

-"ليتنا وصلنا للجنون"

-"لماذا؟"

-"لأجل سحرِ عالمِه الجميل"

- "يا إلهي، لم يبقَ غير الجنون !"

-"إن لم تكوني مجنونة كيف لك أن تسيري في درب الضياع؟"

-"سألعن أبا العقل وأمضي في الدرب"

-"على الرحب والسعة إذن يا عاشقة درب الضياع!"

هااي ! حلّقت نحوه من فم رجل كث اللحية فتح ذراعيه لاحتضان امرأةٍ حفر الزمان تضاريسه على وجهها. تنظر ملياً في هيئات المسافرين لعلها تظهر الآن من بينهم، وترسل الأيدي التحيات في الهواء وتحلّق البسمات.

-"سأطلق في كل مرةٍ ضحكاتي رسولاً ينبئ بقدومي حتى لا تأخذك الدهشة"

-"وعلام أندهش؟ المجانين لا ينفكّون عن الضحك!"

-"قل ما تشاء. سأسجل كل كلامك البارد كي آخذ حقي منك لاحقاً بالتمام والكمال!"

-"لا، لا أرجوكِ.. لقد أخفتِني !!"

-"انتظر أيها الفتى الكرمانجي. إن لم أجننك فتعال اعتب عليَّ!"

-"الصبرُ جميل"

-"جميل وأسمر!"

-"يا سمرائي الحبيبة!"

وأفلتت من شفاهك ابتسامة يلفها الشوق عندما نظرت الى عنقود المصابيح الملونة المتناسقة التي تدلت والتمعت ظلال ابتسامتها فوقك.

جذبتك خصل من شعرٍ فاحم راقدة على كتفها الأيسر، تتأملها ملياً عندما تزداد اقتراباً من فسحة الخروج، وأضاءت عيناها الأقحوانيتان أكثر فأكثر عندما لامس مسامعك صوت ناعمٌ رقيق:

-"ماما.. ماما"

-"يا حبيبة ماما. فدتكِ نفسي!"

واستدارت نحوها وامسكتا إحداهن يد الأخرى حتى اجتازتا الخط الفاصل بين الواصلين والمستقبلين. ونظرت في ساعتك. واخبرك عقرب الدقائق بأنه لم تنقضِ بعد نصف ساعة على نزول طائرتها. كنت تقول لنفسك: سنمسك بيد بعضنا البعض ونجول في زوايا هذه المدينة التي لا تنام. سنمشي حتى الإعياء في أزقتها الضيقة التي تعبق بروائح العشب والتراب المبلل بالمطر. سنتوقف في ساحة المدينة محاطين بأسراب الطيور بعد أن نشتري نصف طاسٍ من حبوب القمح من تلك السيدة المتلفعة بالسواد التي تلتقط لنا بعض الصور. وبعد انتصاف الليل، عندما نتعب من التجوال، سوف نختار نادياً صغيراً على يسار الساحة، ستعزف الموسيقى فوق مائدتنا وتتراقص أمواج الأضواء الملونة في فرح مجنون فوق الجدران والموائد العامرة بالكؤوس والفاكهة. سوف يفرّ التعب عندما تشرع أصابع العازف الواقف بجانب المغنية الممسكة بالميكرفون بالرقص على الأوتار وتتلاحق الأغنيات من الحنجرة المرتوية من ماء موكس[1].. آهٍ يا حبيبتي.. ونرفع كأسينا ونقرعها وأقول لها:

-**"في صحتك"**

---

[1] موكس: قصبة قريبة من وان في كوردستان تركيا. ولد فيها الشاعر الشهير نفي تيران.

فتضحك وتقول:

-"هل تصدق بأنها رفقتي الأولى مع الكأس؟"

ونشرب، ونغرق في بحر العيون. وتفترِ أجسامنا من السعادة بعد بضع أغنيات وينفتح قلبها للحديث، وعندما تضغط أصابعها في كفيك وتهمس تحت أذنها الخالية من الأقراط:

-"مرحباً بكِ الى هذا العالمِ المشتاق إليك الجدير بك"

ستبتسم، وربما تشتمك مداعِبةً من فرط السرور، أو تقبلك وتقول:

-"آهٍ، أخيراً هذه أصابعنا تحتضن بعضها البعض!"

عندها ترفع كأسك من جديد وتقرعها بكأسها وترددان معاً مع المغنية.. لى لى وَسو.. لى لى وَسيلا.. واى واى.. وتقول لك:

-"أشعر بأنني لستُ أنا. من أنا؟"

فتربت على جنبها وتجيب:

-"حقاً أنتِ لستِ أنت.. أنت الآن وغدة!"

فتضربك بقدمها من تحت المائدة وتنظر اليك بعينين متسعتين وتقول:

-"الوغد من جاء بي الى هنا"

وتبتسم للموسيقي الذي يعزف لحن (ذكراكِ في خاطري) ويزداد قلبك انشراحاً وينساب الفرح منك حين تلثم هذا الوجه القمحي الجميل، وتمسك يدك وتنظر في الساعة التي لا تستطيع رؤية الوقت فيها وتقول:

-"ألا يكفي هذا؟"

-"مثلما تحبين أيتها السيدة التي لوّحتها الشمس"

عندما تنزلان الدرج الضيق المعتم للنادي تعانقك وتسترق منك قبلة فتبادلها بأخرى وتحيط بخصرها كي لا تقع. في الزقاق الضيق الذي ما زال فرحاً بمن فيه وتنساب الموسيقى الناعمة من خلال النوافذ نصف المشرعة، وتمضيان معاً وقد تلاصق جسداكما. أين من يسرقون الفرحة من قلبيكما؟ هنا لا أحد يبالي بغيره، كلٌ ملكٌ على نفسه..

القطار الأحمر الصغير الذي يرسل صوت ناقوسه أمامه يوشك على المرور بمن فيه من فتيةٍ وفتيات مِلاح.. وحين تجتازان الميدان وتدلفان الى الشارع الأيسر، ليس مستبعداً أن تصادفا، تحت مظلات الأشجار التي لم تتبدل من سنين، امرأة مسترجلة فارعة الطول بثياب حمراء وصفراء وسيجارة رفيعة، تضع اصبعيها في فمها وتصفّر لكما! فتنظر اليها نصف مندهشة وتتساءل:

-"من هذه الجروة وماذا تفعل هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل؟"

لكنني أكتفي بدفعها لتتقدمني وأمسك يدها من جديد.. ويبرد الهواء، لكن حرارة قلبينا تمنعه من الوصول الينا. وعندما نقترب من سلالم نفق المترو ربما..

-"ترِن، ترننن.."

ينبهك رنين الموبايل الى وصول رسالة، ويوقظك من أحلام هذا العالم اللذيذ. تقرأ سطورها:

-"لا تؤاخذني، سوف يعيدونني على نفس الطائرة. يقولون أن جواز السفر يوشك على انتهاء صلاحيته"

تطبق عينيك بقوة عسى أن يهدأ البركان الذي يتفجر في أحشائك، تتقدم نحو باب الخروج وتقول مع نفسك:

-"أوغاد. أولاد كلب، وتبقون أولاد كلب!!"

خالد صالح

المعشر الغفير

اعتاد جدي أن يقول دون مناسبة:

-"أتعرف يا ولدي بأننا هجرنا قريتنا بسبب النمل!!"

كنت أغالب الضحك حين أسمع كلامه، إنه سؤالاً دون جواب. أعرف بأنه لا يكذب حتى لو قطعوا رأسه. لكن كيف لسكان قرية برمتها أن يهجروا أرضهم ويتفرقوا في أصقاع الدنيا بسبب تلك النمال الصغيرة؟ أما هو فما انفك يردد:

-"في أرضه يثقل الحجر!"

وكنت أسأله:

-"إين إذن أولئك الرجال والأبطال الذين يتفاخرون بشواربهم ولا يعادلون انساناً بشعرة منها؟"

ثقتي بصدقه لم تمنعني أحياناً من التشكيك في حديثه، حتى جاء اليوم الذي التقيت فيه بذلك الأسد وتبددت شكوكي: كنت اسير في غابة، وقعت عيني على أسد واقف تحت شجرة. رأيته وهو يجفل مرتعباً!

-"لماذا ترتعد؟"

دنوت لأستطلع السبب فإذا بجرادة ارتمت بين أرجله! كان خائفاً منها الى حد جعله ينتصب على قائمتيه. أية جرادة هذه لتسبب له كل هذا الرعب؟

لم أصدق في البداية أن هذا هو الأسد الذي يمتدح الناس شجاعته فطفقت أضحك منه. انزعج كثيراً وبان عليه الحزن. نظر الي بجبين مكفهر وسألني بجفاء:

-"لماذا تضحكُ عليّ؟"

قلت في نفسي ما كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، فهو يعرف جيداً سبب ضحكي منه:

-"ويحك، اسمك الأسد، والناس تسمي أطفالها باسمك وتضرب المثل بشجاعتك وذكائك، ورغم هذا تنفر وترتعد من جرادة؟!"

تأملني بطرف عينه وأجاب في هدوء:

-أنت تعرف بأنني أستطيع أن أسحق هذه الجرادة بقدمي وأسوّيها بالأرض. أنا لا أخشاها لأنها جرادة، لكنني أجفلت وخفت منها لأن لها معشراً غفيراً!"

...

وسط قطيع من الأبقار ثمة حصان منعزل يركض ويركض بين البراري والجبال، لم يستطع الناس الإمساك به وتهدئته رغم كل محاولاتهم. ظننته مجنوناً، توجهت له سائلاً:

-"ما بك يا حصان؟ علامَ تخاف وتواصل الفرار؟"

توقف لاهثاً والتفت الى الوراء ثم أجابني:

-"القُراد يطاردني!"

فكرت مع نفسي: القراد! ذلك المخلوق الضئيل؟ ثم سألته:

-"لكن الناس يتخذونك مقياساً للقوة، فأين ذاك المديح وأين تلك القوة؟"

نظر الي في غضب وأجاب:

-"هل أنت ساذج الى هذا الحد؟ ألا تعرف بأن للقراد معشراً غفيراً؟"

...

هل سمعتم بخبر الناس الذين احرقوا قريتهم بسبب البراغيث التي لم يستطيعوا ايجاد علاج لها فهجروا قريتهم وقالوا إن للبراغيث معشراً غفيراً، فلنحرقها لآخر قشة كي لا نترك بها برغوثة حيّة؟

ألم تنظروا للأبقار كيف تلف ذيولها فوق ظهرها وتركض ولا تلوي على شيء فراراً من الذباب الأزرق لأنه ذو معشر غفير؟

...

عند الحدود ثمة أرتال من الناس، وأنا ماضٍ معهم .. أين، الى أين؟ لا أحد يعلم، لكننا نستمر بالمسير.. الى أين نسير؟ هل يعلم أحد؟

أنظر الى هويتي لأعرف من أكون!

ونواصل المسير، الى أين؟ لا أحد يعلم!

ننظر الى السماء عسى أن نرى فيها بقعة صاحية.

ونفتش في كل زاوية من الأرض لعلنا نعثر على كسرة خبز.

ونفتش عن أيما سقفٍ يحمينا وعيالنا من وابل المطر والثلج.

نواصل سفرنا الذي لا ينتهي. لا يقدر أحد على إيقاف هذه القافلة.

وأعدت السؤال المعتاد مرة تلو مرة: الى أين نمضي؟

قالوا: قد ضاقت الدنيا حتى غدت أصغر من قشرة حبة بُطم[1].

وقال أحدهم: بعضهم سيتجه الى المخيمات، وآخرون قالوا سنذهب الى أوربا.

ونظرت الى دنيا فسيحة مشرعة. وتساءلت من هؤلاء الناس، من يكونون؟

فأجابني أحدهم بهدوء:

-"ألا تعرف من يكونون؟"

-"من أين لي أن أعرف؟"

قبل أن أتلقى الجواب أحسست برفسة سددها حراس الحدود الى بطني. تدحرجت وتدحرجت ولفتني دوامة من الريح لا نهاية لها. وسألت غاضباً للمرة اللا أدري كم:

-"من هؤلاء؟ من أي قوم هم؟"

---

[1] البطم: شجر يشبه شجر الفستق له صمغ ذو رائحة نفاذة وعناقيد ذات حب صغير (يدعى أحيانا الحبة الخضراء)

وجاءني الجواب:

-"هؤلاء أيضاً قوم ذوو معشرٍ غفير. وظلت تتراءى أمام عيني مثل الشبح صورة انسانٍ على هيئة وحش"

خيري بوزاني

قصص قصيرة جداً

بعد أن لحست الذئاب دميتها البلاستيكية، عضّتها، مزقتها إرباً إرباً.. أعادتها الى أحضانها، زيّنتها.. وعاشت معها

...

ثلاثة أطفال

-"حين أكبر سأصبح طبيباً"

-"وأنا سأصبح معلما حين أكبر"

-"أما أنا فسوف أصبح طياراً"

بعد عدة أشهر التقى الثلاثة في أزقة اللاجئين!

...

كل ما كان يريد معرفته هو إن كانت عذراء أم متزوجة أم أرملة أم مطلقة!! حين لم يستطع أن يعرف.. بصق على الأرض والسماء.

...

عندما أمسك بها الدواعش كانت تصرخ:

-"أماه نشدتك الله أن لا تتركيني"

عندما تحررت من قبضتهم صارت تقول لأمها:

-"غطي شعرك!"

...

وضع سكينه على رقبته وأخذ يروح ويجيء خلالها.

وبسم الله، أهلكَ ذاك الذي صنعه الله!

...

تحت الخيمة، ليلةً بعد أخرى، كانت تستسلم للنوم في أحضان أمها، وتنهض في الصباح:

-"رأسها على الأرض. وهي تحتضن الوسادة!"

رزكار صبحي

نحن القادمونَ من انعكاس الحياة

لم يكن متأكداً حتى الآن إلا من أمرٍ واحد: إنه يفكر، يفكر من صغره، ودون أن يعرف السبب! إنه مستغرق في تفكير دائب بكل الأشياء، صغيرها وكبيرها. رأسه مثل رحى تطحن كل شيء وتدفعه الى التفكير في تحولات الحياة وتحولات جسده العجيبة، دون أن يعلم شيئاً عن الحياة وعن الجسد. كثيراً ما ترددت هذه العبارة في خاطره:

-"لا شيء بمقدوره أن يمنح الانسان الإجابة الشافية عن الوجود"

إنه جالسٌ في غرفته، كتاب بين يديه، تتدلى فوق رأسه ساعة جدارية، على يمينه رف من الكتب، وعلى يساره نافذة. غرفته خليط من الشكوى والأحلام والوجوه السمر ورؤى الغد. يخال للمرء أنه طبع عليها بصمات الآلاف من الذكريات، وربما الآلاف من التساؤلات. إنها، وهذا المهم، ليست بالغرفة العادية. إنه ليشعر أحياناً بأنها تخفق في رأسه بكل ثقلها مثل أوراق تتقلب من جانب لآخر. ربما تكون بعض الأوراق الفارغة أو ربما أوراقاً رماها الآخرون في رأسه. في أحيان أخرى كان يبدو وكأنه يرغب في

امتلاك غرفة غيرها، غرفة ليست كهذه، غرفة كلما قال لها نعم أجابته بلا، وكلما نام هو استيقظت هي، وكلما استيقظ نامت. يحدث أحياناً أن يفتح عينيه على كتاب فيشعر بالضيق ويقول:

-"إن المرء ليظن بأن رؤية الجدران تحيل عقله الى جدار!"

لكنه، في أوقات أخرى، يذهب الى القول:

-"ربما كان الإنسان نفسه مجرد غرفة، لكن روحه يمكن أن تتحول الى طائر يحلق في أرجاء العالم"

كان يشعر منذ أمد طويل باعتلاله الذهني وتنتابه حالات من الاضطراب النفسي الشديد فيسأل نفسه:

-"هل من سبيل كي يدرك المرء سر الوجود؟"

ثم يجيب على سؤاله دون تردد:

-"كلا، لا سبيل!"

ومثل من شبع من كل شيء نظر الى الساعة وقال في نفسه:

-"أشعر بأن الساعات لا تمنح الانسان، في أغلب الأوقات، شيئاً يذكر. إنها لا تنسجم وأنماط حياتنا. إنها نقيض لكل طبائع

الانسان. الساعة شيء والوقت شيء آخر، شيء لا يعرف الانسان عنه شيئا!"

كان يشعر بأن الانسان لا يعرف شيئاً على وجه اليقين عن أيما شيء، لكن المشكلة تكمن في أن البعض لا يعلمون بأنهم لا يعلمون. غير أنه، من ناحية أخرى، كان يتذكر حديث أمه الذي طالما كررته:

-"كفَّ يا ولدي. سوف تقتلك هذه الكتب!"

وكان في كثير من الأحيان يهم بأن يجيبها:

-"نعم أمّاه. أنتِ أيضاً على صواب"

لكنه لا يدري لماذا لم تخرج هذه الإجابة من بين شفتيه ولو لمرة واحدة عن طريق الخطأ. ونظر الى الساعة. تأمل عقاربها: يعوزها القليل لتبلغ الخامسة، وأحس بأنه هو الأخر يعوزه الكثير، تنقصه الكثير من الأمور، بحاجة الى الكثير من الأمور. وتمنى لو استطاع أن يمتنع طويلا عن كتابة أي شيء، عن تلويث الصفحات دونما سبب. كان يشعر بأن البعض لا يفعلون شيئا حين يكتبون سوى تلطيخ الصفحات.

في أحيان أخرى يتوق الى القفز الى الصفحة الأخيرة من الكتاب، كما لو أنه يأمل في أن يمنحه كاتب ما جواباً شافياً في الصفحات الختامية. لكنه لم يعثر يوماً على بغيته، فكان يضع يده تحت ذقنه ويقول لنفسه:

-"لا أعرف إن كانت حقيقة الانسان كامنة في ما يُكتَب أم في ما لا يكتب!هل نحن، جميعا، لا نرى غير جانب واحد من الحقيقة، ونكون لذلك عرضة للصدمات المفاجئة؟"

وخرج من دائرة أفكاره، قام عن منضدته ودسَّ ورقة بين صفحات الكتاب، وتوجه صوب النافذة بإعياء وقلبٍ مثقل بالهموم. لم يكن يحب الشتاء، كان يرى أن ملامح الشتاء تشبه ملامحه، إنها مقطبة مثله. وتطلّع من الشباك الى الغيوم الماطرة:

-"عذراً يا فصل الثلوج؛ من الطبيعي ألّا يحبَّ المرء ما يشبهه. لكن لا تنسَ أن الإنسان لم ينل يوماً سوى ما لا يحب!"

في نافذة المنزل المقابل ثمة أم تحمل صغيرها، تحتضنه، تتحدث اليه، وتبسم له، وتمد أصابعها أحياناً خارج النافذة.

ارتسمت ابتسامة على شفتيه وتمتم قائلاً:

-"كأن هذه الأم لا تعلم بأن هذا الصغير يفوقها في معرفة العالم!"

وجثمت فكرة على رأسه الواجم:

-"أليس عجيباً أن أي رضيع لم يكد يبلغ بضعة أيام من العمر يتعرف على أمه حين تحتضنه كما لو أنهما سبق أن عاشا معاً في زمان غير هذا!"

وأمضى بعض الوقت في مراقبة تبسّم تلك الأم لصغيرها:

-"تُرى هل كان لأم ذلك الصغير سبب لإنجابه؟! يوماً ما سيكبر ذلك الطفل الجميل ويشهد كل هذا التكرار، لا أعرف ماذا ستكون إجاباته لو أنه جلس فجأة ذات يوم محاصرا بالتساؤلات؟ ترى ماذا سيقول عن الحياة؟ ترى هل سيفهم أن عليه ألاّ يفهم؟"

فجأة دخلت أمه الى الغرفة لتقول:

-"آه يا ولدي. ما أطيب رائحة هذا! ليتك لم تزل صغيراً!"

أدار رأسه على مهل ناحية صوت أمه، فوجدها مشغولة ببعض الأمور وبيدها ثوب من ثياب طفولته. نظر الى وجهها، ثمة

ابتسامة رقيقة ترتسم على محياها، ودون أن يضيف شيئا الى كلام أمه راح يتساءل بينه وبين نفسه:

-"ترى هل تعرف أمي لماذا جاءت بي لهذه الدنيا؟!"

ثم أجاب دون صوت:

-"يبدو أن أمي لا تعرف لماذا جاءت بي الى هذه الدنيا! حسنا، ولماذا تعود أمي بين فترة وأخرى الى ثيابي القديمة؟ لقد فعلت هذا مرارا وتكراراً"

ومضى في تساؤلاته مع نفسه:

-"أترى تبحث هي الأخرى عن بعض الأجوبة؟ هل كنا مجرد احتياجات مؤقتة بالنسبة لهم؟ هل كان مجيئنا لهذه الدنيا لمجرد إرضاء شهواتهم؟"

لكنه لم يكن، كما يبدو، يحب أسئلته، ترك أمه في خيالاتها اللذيذة وأدار رأسه صوب النافذة وأدرك أنه تمادى في السؤال.

-"لا، لا. ثمة أمور ينبغي ألاّ يعرفها الإنسان، أو من الأفضل ألاّ يشغل نفسه بها!"

خارج النافذة كان المطر يهطل في نعومة فوق كل شيء.

-"**أ يمكن أن نكون تصويراً خياليا تحركنا يد من وراء أرواحنا؟!**"

عرف أنه سيوجع رأسه بهذه الأفكار! كان أحد مصراعي النافذة مفتوحا والثاني مغلقا فمد اصبعه الى الضباب المتراكم على الزجاجة المغلقة وكتب "**الوجود!**"

بعد قليل بدأت آثار اصبعه تعود ضباباً على النافذة، فضحك من قلة الفهم وقال:

-"**عبثاً. الوجود نفسه شيء من هذا القبيل!**"

في ذلك الزقاق المليء بموسيقى أيام العمر، نظر بعيداً الى جمال المطر وهو يغسل كل شيء، الى البنايات البعيدة والمصابيح الصفر التي تتلألأ تحت قطرات المطر، الى البشر الذين يفرون من المطر وغيرهم ممن يتمتعون بالسير تحته، الى الأطفال الذين يتراكضون في الشارع متجهين نحو مظلات الباعة.

فجأة هبت على النافذة ريح ملأت رئتيه برائحة المطر العذبة فقال متحدثاً من أعماق قلبه:

-"**وحدها رائحة المطر لا تتماشى مع هذا العالم! المطر ليس مثلي، ولهذا أحبّه!**" ثم تنهد وقال "**إيه يا دنيا! كانت هي الأخرى**

تتماشى مع المطر، لكنها رحلت. لماذا ترحل كل الأشياء الجميلة ولا تخلّف وراءها غير موسيقى الوحشة في روحي؟! لو تأمل المرء مليّا لوجد العالم مليئاً بالموسيقى، فهل تأثر العالم بوحشة أرواحنا؟"

واستغرق في ذكريات أيام الحب وذينك الخطيبين اللذين كانا يروحان ويجيئان في مخيلته، يتخاصمان ويتصالحان، يعشقان ويكرهان. فابتسم وضجّ رأسه من جديد:

-"حسنا، هل يعرف المطر لماذا ينزل، أم إنه هو الآخر تدفعه يد ما مثل أرواحنا!"

وتوقف قليلاً ثم أردف:

-"هيا هيا. ما هذه الأسئلة من جديد؟!"

على وجهه بدت علامات الإنهاك من أفكاره تلك:

-"هيا. أنا أيضا أمضيت الوقت دون عمل، هل من داعٍ لأن أشغل نفسي بهذه الأفكار؟ لقد ازدردتُ دماغي!"

وأحس برغبة في الخروج من البيت، كثيرا ما فعل ذلك أيام المطر، ارتدى ثيابه وأمسك المظلة وخرج. بعد دقائق من السير

تحت المطر تغيرت سيماؤه كما لو أنه نفض غباراً جاثماً على روحه.

-"أظن أن المكان قادر على تغيير الانسان. ربما خلّف البعض عطره في ذلك المكان، ربما أخفى عاشق منية قلبه في ذلك المكان، ربما تركت فيه بصمات إنسان نبيل، أو ربما كان هو من يدفع بيده المطر ويدفع أرواحنا والعالم، يدفع رضيعاً لم تمض على ولاته غير بضعة أيام نحو حضن أمه ويدفع العالم الى التماهي معنا. لا أعرف ولكن يبدو لي مهمّا أن المكان نفسه جزء من قدر الانسان وجزء من تلك الإجابات التي نبحث عنها، لكن من الجائز أيضاً ألا يكون المكان سوى وهمٍ او أننا، نحن، المكان!"

من نافذة سيارة مارة ثمة طفل يبتسم في دهشة لكل الأشياء التي تمر من أمام ناظريه، له، للبنايات، للآخرين، للسيارات الأخرى. ومن بين دقات قلبه الذي غمره المطر قال:

-"لأي سبب وجدنا، لقد جئنا من انعكاس الحياة، بهذه الهيئة، بجراح الحياة هذي.. خُلِقنا من العدم!"

زارو دهوكي

اقتراح

أينما كنت وكيفما كنت، متعَباً أم مسترخيا، في اجتماع أو ندوة أو مؤتمر عسكري أو في خنادق القتال وجبهاته، لم يكن لديك غير اقتراح وحيد تشرحه للحاضرين بصوتك الشجيّ ولسانك العذب ومنطقك الأخّاذ.

كان الجميع يسارعون الى تأييدك، لكنها مناسبة تمرُّ وتُنسى، ولا يأخذ باقتراحك أحد. إذا أطلتَ يوماً وأزعجتهم كان واحدهم يلقيه برقبة الثاني ويتهرب الجميع من المسؤولية. كانوا إذن في كل مرة تعرض فيها اقتراحك يتناسونه من أوله الى آخره ويروحون وهم يسمعونك ينظر بعضهم في وجه بعض وهم يتضاحكون!

كنت تدعو الى أن ننشئ مقبرة لشهداء الحرب ضد داعش، ندفن فيها كل الشهداء دون تمييز. لا تقولوا هذا صغير وذاك جليل الشأن. لا تقولوا دين هذا أو قوميته يختلفان عن ذاك. إنهم جميعاً أبطال ضحوا بأنفسهم من اجل هذا الوطن وهذا التراب وعلينا أن ننظر إليهم بنفس التقدير والاحترام!

استدعُوا مهندسين مختصين أكفاء كي يرسموا تصميما جميلا متناسقا للمقبرة، ولنسحبَ اليها الماء ونعيّن لها بعض الجنائنيين،

نزرع فيها أشجار كردستان وأزهارها؛ لسنا بحاجة الى أزهار مستوردة. لنغلّف القبور كلها بألواح الرخام، وليكن جانب منها مخصصاً لسيرتهم والجانب الثاني لمقطع شعري ذي علاقة بالموضوع. ولنقم، إذا أمكن، عدداً من التماثيل لتكون رموزاً لتضحياتهم.

إذا لم تتبنَ الحكومةُ المشروعَ بذريعة الأزمة الاقتصادية فلتتبنها الأحزاب، وإذا لم تتبنها الأحزاب لأن (هذا من جماعتنا وذلك من جماعتهم) فليقم التجار وأصحاب رؤوس الأموال الذين أصبحوا في رمشة عين من أصحاب الملايين بتخصيص جزء من أرباحهم لبضعة أيام من أجل هذا المشروع.

أما إذا رفض هؤلاء أيضاً فلنفتح صندوقاً يتبرع له الشعب! وكما يتوجه المتطوعون الى جبهات القتال سنراهم ينتزعون لأجله لقمة الخبز من أفواه أطفالهم! ولكن يجب أن يشرف على العمل أناس نظاف نزيهون لا لصوص وثعالب ومهرجون!

فلنضع على جانبي بوابة المقبرة قوائم بأسماء الشهداء، ولنكتب أسماءهم حسب تواريخ شهادتهم؛ ليكن اسم أول شهيد على رأس القائمة، سواء كان جندياً أم جنرالاً! يجب أن تقدم المساعدات

وقطع الأراضي وتقام مراسم التبجيل والأربعينية ورأس السنة للجميع دون استثناء، وإلا فلا!!

ضعوا لوحة طويلة عريضة فوق البوابة وخطوا عليها بلغات عدّة: هذه مقبرة الشهداء الذين قاتلوا الارهاب نيابة عن العالم بأسره وقدموا أرواحهم قرباناً للإنسانية!

إذا أحيطت المقبرة بالعناية التي تولى للحدائق فسوف تكبر الأشجار والأزهار وتعلو بسرعة. ليطلق الناس على الأشجار ما تمليه قلوبهم من أسماء: فليسمِّ أحدهم شجرته بشجرة الشهداء العشاق، والآخر شجرة الأمنيات والثالث شجرة أطفال الشهداء وهكذا. بهذه الطريقة ستتحول المقبرة الى أثر تاريخي أو متحف طبيعي، وسوف يعرف كل وفد يزور بلادنا كم قدّم شعبنا من تضحيات وكم نحترم شهداءنا، وهذا أمر سيسجله لنا التاريخ.

...

قد بلغتَ مرادك. قد صرتَ فارس الفرسان في ساحة الوغى: قد سقطتَ شهيداً!

حملوك الى المقبرة، وتجمّعَ عند قبرك الصحابُ ورفاق السلاح. أُلقِيَت كلمات الساسة والقادة العسكريين، وتوجّه ابنُك بالشكر للمشيعين والحاضرين.

لكن لم يأتِ أحدٌ، لا من بعيد ولا من قريب، على ذكر مقبرة الشهداء!

انتحى كل واحد ناحيةً وألقى تحية الوداع ثم توجّه الى مشاغله وأعماله.

أما أنت واقتراحك فقد دُفِنتما.. عميقاً عميقاً.. تحتَ التراب!

زارو دهوكي

لم تمت !

كان يظن أنه سيبقى أميراً الى الأبد وأن الأمر والنهي سيظلان في يديه. في ظنه أن إنفاق الأموال وإصدار القرارات سيبقيان رهن كلماته، في ظنه أن عذراء لم تكد تبلغ ستجعل في كل ليلةٍ صدرها، الذي ما عبثت به يد، مرعىً لشفاهه وفمه ليهبها بعد أن يشبع منها هدية لرجل آخر. في ظنه أن كل آيةٍ أو حديث يخرج من فمه سيعقبهما الآخرون جميعاً بالتكبير. في ظنه أن ال (تي أن تي) والأحزمة الناسفة التي يشدها الى ظهور الأطفال الأبرياء بذريعة دخول الجنة ستحميه في يوم ما.. لقد جعل من نفسه وكيلاً لله على الأرض وشرع بإصدار الفتاوى من كل نوع!!

لكنه في النهاية نزع حزامه ورماه قبل الجميع! وأولئك الذين كانوا يصيحون بعده (تكبير، الله أكبر) انتهى بعضهم الى التمرغ في دمهم، وأضحت جحور الفئران قصوراً لبعضهم وجزّوا لحاهم بالسكاكين واختلطوا بالنازحين والمدنيين وسلموا أنفسهم للجيش.

أمتار قلائل تفصل بين النهر والمسجد الذي يختبئ فيه، لكنه ولعشرات المرات تمدد في السواقي ووجهه الى الأرض وزحف فيها مثل دجاجة تتمرغ بالتراب.

من قبل هذا كان يعرف بأن الإمارة التي أعلنها لنفسه مؤقتة ولن تدوم، ويعرف أن أولئك الأبالسة والدجالين المستترين باللحى سوف يفرون تاركينه دون معين، يعرف أن هذه الجنة التي صنعها لنفسه لن يطول بقاؤها وأنها ستستحيل جحيماً، لكنه لم يصدق بأن الأمر سيكون بهذه السهولة رغم أنه لم يفقد الأمل أبداً في مصيره الشخصي!

ثمة أنبوب للمجاري يمتد من المسجد الى النهر كان قد أمر بأن يحفروا تحت طرفه المنخفض كي يتسع لدخول شخص واحد واختبائه. وثمة خرطوم ماء طوله متران مربوط الى خشبة بالطول نفسه وإطار مطاطي مفرغ ومطوي وملقى في المكان. بعد أن خف إطلاق النار وأنسدل الظلام وجد فرصته مع حلول ساعة تناول العشاء، وفي هذه اللحظات القلائل رمى نفسه في أنبوب المجاري وبلغ الماء، وضع الخرطوم في فمه ورفع الخشبة وأخذ يسير في الماء على مهل واحتراس، فهو يعلم أن الكثيرين من قبله ألقوا أنفسهم في الماء لكنهم قتلوا أو غرقوا جميعاً. كان سباحاً ماهراً لكنه لم يقترب من منتصف النهر كي لا يستنفذ قواه بل ابتعد عن الضفة مسافة خمسة أمتار لا غير وصار يخوض في الماء مشياً على قدميه أغلب الوقت. زلت أقدامه مرات وسحبه الرمل مرات لكنه كان يستعيد توازنه وينتصب من جديد، وعندما

تميل الخشبة ويدخل بعض الماء الى فمه يسارع بالصعود واخراج رأسه ليسحب نفساً جديداً ثم يعاود الغطس. مضى وقت طويل حتى اقتنع بابتعاده عن المخاطر من كل الجهات، وعندها ازداد اقتراباً من الضفة وأخرج رأسه من الماء لكنه لم يغادره.

بعد ساعة أخرى من الخوض في الماء صعد الى اليابسة وجلس يسترد أنفاسه ثم نفخ الإطار المطاطي وركبه وأمسك الخشبة بيده وأخذ يشق طريقه في الماء. كان يعلم أن بعض المناطق في جنوب المدينة ما زالت في يد أصحابه وأنه سينجو بحياته حالما يصل اليهم. استمر بالتجذيف حتى انتصف الليل. وفجأة أبصر بصيصاً من الضوء فقال مع نفسه:

-"هذه ليست قرية، لا بد أنهم من أصحابنا، لأذهب اليهم وأتناول بعض الطعام قبل أن أهلك من الجوع"

خرج من الماء ودنا من النار على مهل، لكن سرباً من الكلاب أحاط به وأخذ ينبحه. نادى واستنجد حتى وقف ثلاثة مسلحين على رأسه وابعدوا الكلاب وأمسكوا به من كتفيه وأخذوه الى مخبئهم وناولوه خبزاً وحليباً وماء. دفّأ جسده أمام النار ونشف ثيابه وأعاد ارتداءها. تبين أنهم من البدو العرب رعاة الأغنام

والماعز. خاف منهم قليلاً لكنه لم يضطرب لعلمه أنهم لا يغدرون بضيوفهم! في الصبح سأله الأخ الأكبر:

-"من أنت ولماذا تبدو بهيئة الدراويش؟"

-"أنا هارب من الحرب، المرأة والعيال تشتت شملهم ولا أعرف إن كانوا أحياء أو أمواتاً!! وها أنا أجد نفسي ضيفاً لديكم."

هز الرجل رأسه وقال:

-"هذه الحرب خربت بيوتاً كثيرة ولم يسلم من أذاها أحد!"

كان الأخ الأكبر رجلاً ذكياً ذا خبرة في الحياة. فانفرد بإخوته بعيداً وقال لهم:

-"هذا واحد من الدواعش وهو يكذب علينا. ربما تلوثت يداه بدماء مئات الأبرياء. من الأفضل أن نسلمه الى أقرب نقطة عسكرية وإلا صار بلاءً علينا!"

وسلموك الى الجيش فنقلوك على الفور الى معتقل خاص ووضعوك في حجرة انفرادية وصاروا يرمون لك الطعام من تحت الباب كما الكلاب.

في كل ليلة يضعون رأسك في كيس أسود ويشدون يديك من الخلف ويتقاذفونك مثل الكرة.. اعترفتَ بكل التهم.. لكنك احتفظت بسرٍ واحد وكنت تعلم بأن الآخرين يعلمون من أين أنت!! المحققون أنفسهم لم يسألوك عن ذلك، فأنت تعرف المدينة حيّاً حياً وزقاقاً زقاقاً وجامعاً جامعاً وقد تعلمت اللهجة الموصلية حتى أجدتها لذا لم يتطرق اليهم الشك بكونك مقاتلاً أجنبياً!

لكنهم رغم اعترافك لم يحيلوك الى المحكمة.. فأولئك القائمون على تعذيبك كانوا أربعة أبطال للكمال الجسماني، وكانوا أربعتهم من المتطوعين للقتال؛ أحدهم مسيحي من قرقوش؛ الثاني يزيدي من شنكال؛ الثالث عربي من بادوش؛ والرابع كردي من زمّار. كل واحد منهم لديه حكاية لا تُنسى، كل واحد منهم في صدره ألم ونار لا تنطفئ !! لذا لم يريدوا لك أن تموت بسهولة ولم يستعجلوا بإحالتك الى المحاكمة، أرادوا لك أن تموت كل ليلة وتعود الى الحياة في النهار، أرادوا أن يتردد صدى أنينك وآهاتك في السجن، أرادوا لصرخاتك أن تكون بشرى لأهالي كل بريء أرهبته وقتلته.

لكن فرحة الأبطال الأربعة لم تدم للأسف !! فجأة حطّت طائرة سمتية في ساحة السجن ومثل (شعرة تخرج من إناء حليب) خلصوك من أيديهم!!

لم تمت فقد تبين أنك نغلّ لـ(هيلاري !!). يعلم الله الى أين سيأخذونك هذه المرة وأية بلاد ستدمَّر على يديك!!

شيركو بيكَس

القمرية الطائشة

(من أدب الأطفال الكوردي)

شرقيّ مدينة كركوك العريقة، وفي الحديقة الجميلة الغناء التي تحيط بمنزل "نرمين" ازدهرت أنواع وألوان من الورود والرياحين وكثير من الأشجار المثمرة من برتقال وليمون ورمان وتفاح ومشمش وغيرها. وسط تلك الروضة ثمة شجرة توت عجوز تشابكت أغصانها وفروعها وعلت حتى طاولت السماء. وفي تلك الشجرة، وبين فرعين كبيرين ملتفين أحدهما يابس متآكل تملؤه الثقوب العميقة بنى زوج من طيور القمري عشهما الصغير وزيناه على نحو جميل وأحكما نسجه بالقش والتبن وأعواد الشجر حتى غدا أشبه بسلة صغيرة تتمايل مع الريح.

كان والد نرمين تاجرا غنيا لكنه ممن عرفوا في المدينة بحب الخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين ولم يكن بخيلا طماعا مثل بعض الاغنياء الاخرين. وكانت اخته الكبيرة التي ينادونها "أبله" وهي امرأة عزباء متقدمة في السن تعيش معهم في البيت، في الغرفة العليا المخصصة لها. أحبت نرمين عمتها ولازمتها ملازمة تُعادِل، بل ربما تفوق، ملازمتها لأمها، واعتادت أن تصعد الى

غرفتها في الليل حيث تستقبلها بالابتسامات والأحضان وتروح تقص عليها بلسانها العذب وكلماتها الجميلة الكثير من القصص والحكايات الممتعة حتى تغط في النوم. كانت غرفة العمة تشرف على الحديقة كلها ولهذا دأبت نرمين على الوقوف عند شباكها والانصات الى هديل الحمائم وامتاع نظرها بتلك الورود والخمائل ومراقبة القمريات من بعيد وما تفعله في عشها أو في أوقات مغادرتها اياه ورجوعها اليه.

في ذلك العش الصغير عاش الأب والأم وقمريتان صغيرتان لم يكتمل ريش جناحيهما بعد، سميا الكبيرة (ترىَ) والصغيرة (تَرزه). كانت الصغيرة تتصف بالعجالة والطيش ولا يقر لها قرار في مكانها وتريد أن تتعلم الطيران وتغادر العش وتنطلق الى العالم الفسيح من قبل أن يكتمل ريشها ويشتد جناحاها. فكان هذا الطيش والتهور سببا في علوقها عدة مرات بين الاغصان المتشابكة وانحباسها هناك لساعات طوال حتى عودة أبيها وأمها وقت العصر وإنقاذها من ورطتها.

في الليل عندما يضعون رؤوسهم بعضها الى بعض استعدادا للنوم في عشهم الصغير كان الاب والأم لا يكفان عن نصح صغيرتيهما بأن تنتبها لنفسيهما في غيابهما وأن لا تحاولا الخروج من العش، وفي الصباح كانت الأم تخاطب تَرزه قائلة:

-"حبيبتي تَرزه. لا يجوز أن تكوني على هذا القدر من الطيش وكثرة الحراك. يعلم الله كيف أن قلبي يظل منشغلا عليكِ طوال النهار! أنت واختك ما زلتما صغيرتين ولم يسبق لكما الطيران، فعليكما أن تكونا حذرتين كي لا تؤذيكما الزواحف والحشرات. ثم إن الشجرة عجوز وملآى بالثقوب والأغصان اليابسة المتقصفة، ولهذا يجب أن تنتبها الى مواضع أقدامكما. غير أن الأسلم أن تسمعا كلام بابا وماما وأن لا تبارحا العش أصلا!"

كان الربيع قد حل بكل جماله ومسراته، وتلونت الأرجاء بالخضرة البهيجة وهب النسيم العليل وصفت السماء فلم تكن ترى فيها من غيمة. في ذلك الصباح استيقظت نرمين من نومها باكرا وأسندت مرفقيها على النافذة وراحت تتطلع الى الخارج. في تلك اللحظة وقفت القمريتان الكبيرتان على حافة العش ثم خفقتا أجنحتهما وحلقتا مبتعدتين في الهواء حتى غابتا عن انظار نرمين وغدتا مثل نقطتين صغيرتين في الأفق البعيد.

ابتسمت نرمين وقالت مع نفسها:

-"لقد ذهبتا الى العمل، تقول "أبله" انهما تسعيان لجلب الطعام لهما ولصغيريهما."

حين أوشك النهار على الانتصاف عاد الأب والأم محضرين معهما طعام الصغيرتين، ثم غادرا العش من جديد ساعة العصر، وما أن غابا عن الأنظار حتى قفزت ترزه مستعينة بجناحيها ووقفت على حافة العش. نادتها أختها كي تعود الى مكانها لكن دون جدوى، فقد واصلت عنادها وأرادت أن تحلق في السماء وتجوب الدنيا مثل الطيور البالغة.

-"توقفي يا حبيبتي توقفي! تذكري ما قاله والدانا الحبيبان!"

لكن ترزه تصرفت كما لو أنها لم تكن معهم فاندفعت بكل قوة وارتمت فوق الغصن اليابس ثم حاولت من جديد أن ترفرف بجناحيها القصيرين وتطير لكنها هوت ساقطة في إحدى الثقوب العميقة وغابت عن الأنظار، ولم يلبث أن اختفى صوت زقزقتها ورفرفة أجنحتها عن سمع تري فصار قلبها يخفق بقوة وسارعت الى إخراج رأسها من العش وعرفت ما حدث وبأن الأمور تعقدت كثيرا بسقوط أختها في ذلك الثقب العميق فتملكها حزن عميق وقالت في نفسها:

-"ليس في يدي حيلة! كيف لي أن أخرجها؟ يا إلهي، أين سقطت ترزه؟ لا أظن أن أبي وأمي يستطيعان فعل شيء!"

ومرت بضع دقائق قبل أن ترهف السمع من جديد فخيل لها أن أنين أختها وزقزقاتها الضعيفة تتناهى إليها من أعماق الشجرة فقالت:

-"الحمد لله. إنها ما زالت حية رغم أنها مصابة بجراح على الأغلب. ولكن ما بيدي حيلة. علي أن أنتظر عودة أمي وأبي. ليتهما يرجعان باكرا هذا اليوم."

في ساعة متأخرة من العصر أطلت نرمين من النافذة من جديد وتطلعت الى الحديقة والى شجرة التوت، لكنها لم تعرف شيئا عما حصل. ظلت تري حزينة مغمومة وكأنها تتقلب على الجمر، لكن والديها (لحسن الحظ) عادا ذلك المساء في وقت أبكر من المعتاد كما لو أن قلبيهما أخبرهما بحدوث أمر غير معتاد. ثم تأكدت مخاوفهما حين وجدا تري وحدها في العش! وما لبثت الأخيرة أن قصت عليهما ما حدث بصوت مرتعش باك. مضى الوالدان الى الفرع اليابس وألصقا أذنيهما الى الثقب الذي سقطت فيه ترزه. كان ثقباً شديد العمق وذا فوهة ضيقة، يبدو سليما من الخارج لكنه واسع متهرئ من الداخل، كما لو كان منحوتاً باليد. أمعنا النظر الى داخل الثقب، وتناهى الى سمعهما أنين الصغيرة القادم من الأعماق. كانا أكبر حجما من أن يعبرا الفوهة، وحتى لو نجحا في

عبوره والنزول الى أعماقها فمن سيضمن لهما الخروج؟! بعد برهة من الصمت والحيرة قالت الأم:

-"لم يسبق لي أن رأيت شجرة منخورة بهذا الشكل! من الجائز أن تكون مأوى للأفاعي والحشرات. لا أدري ما العمل. الثقب عميق وليس له غير منفذ وحيد. إنه ضيق من الأعلى وواسع من الأسفل. قد تكون ترزه عالقة في الوسط وربما هي جريحة أيضاً. ليس بمقدورنا فعل شيء!"

-"ولا بمقدور أحد غيرنا!" (علّق الأب)

-"وما العمل؟ يا إلهي، ما العمل؟! (أردفت تري)

-"آه تذكرت! عندي صديقة عزيزة ساعدتها ذات يوم وأنقذتها من الهلاك. عشها يقع في الحديقة المجاورة. لا أحد سواها يستطيع نجدتنا. هي من تستطيع فعل ذلك بمنقارها الحاد، فهي نقّارة خشب. عليّ أن أسرع اليها وأرجو منها أن تأتي لمساعدتنا."

وأطلقت جناحيها للريح وحين وصلت الى عش نقارة الخشب كانت الأخيرة قد عادت اليه لتوها. وعندما أخبرتها بما حدث أبدت استعدادها لمساعدتها على الفور وقالت لها:

-"على عيني ورأسي! لا تحملي همّا. أنا لن أنسى أبدا ما فعلته من أجلي. لولا الطعام الذي جلبتِه لي ولأطفالي في ذلك اليوم البارد لكنّا هلكنا من الجوع. وهذا الذي طلبتِه عمل سهل بالنسبة لي، وسوف أنجزه في دقائق معدودة، ما دام فرع الشجرة يابسا وهشا وخاليا من الرطوبة."

فرحت القمرية بما سمعته وانهالت على صديقتها نقارة الخشب بالقبلات.

-"تفضلي يا صديقتي، لنذهب."

وانطلقتا في حماس الى حيث عش القمريات. كان الأب المسكين حائرا لا يعرف ماذا يفعل، أما تري فقد غدت عيناها بركتين من الدم لكثرة البكاء! بدأت نقارة الخشب عملها بوضع أذنها على الفرع فسمعت صوت زقزقات ترزه المستغيثة وحددت مكانها:

-"هذا ثقب عجيب! (قالت نقارة الخشب) **لم يحدث لي في حياتي أن صادفت مثيلا له في التعقيد!"**

لكنها شرعت على الفور بحفر الشجرة في الموضع الذي حددته بمنقارها المدبب القوي. واصلت الحفر دون تعب أو توقف، نقرة

إثر نقرة حتى أحدثت ثقبا في الفرع، ثم توقفت كي تستريح قليلا والعرق يتصبب من جسمها لتعاود النقر من جديد. كان الأب والأم ينتظران على أحر من الجمر، أما تري فقد مدت عنقها من العش وهي تنتظر البشرى. لم يبق إلا القليل على غروب الشمس. أخذت نقارة الخشب بتوسيع الثقب الذي صنعته.. وأخيرا برز رأس ترزه، ثم ظهر جناحاها ثم خرج جسمها كلها فتلقفها الأب والأم ونقارة الخشب بالأحضان والقبلات وحملها الأب ورفعها الى العش، وراحت تري تقفز في مكانها وترفرف جناحيها في سعادة وقد انهمرت دموع الفرح من عينيها. كم مرة قبّلتها؟ لا أدري! ربما مئة قبلة أو أكثر!

والتفت الأسرة الى نقارة الخشب، وشكرتها من كل قلبها وطلبت منها أن تمكث عندهم قليلا، فشكرتهم واعتذرت لأن الوقت قد تأخر وعليها الرجوع الى بيتها، ثم أطلقت جناحيها للريح وحلّقت مبتعدة. احتفلت الأسرة في تلك الليلة بنجاة صغيرتها ترزه التي تعهدت لهم أن لا تحاول مجددا الابتعاد عن العش قبل أن تكبر ويكتمل جناحاها.

...

ومضت أيام وأيام على تلك المغامرة المخيفة. وفي إحدى الأمسيات وقفت نرمين عند شباك عمتها تتطلع كعادتها الى الجُنينة وأشجارها وورودها وقد دنا الغروب، فرأت فجأة أمرا غريبا: من ذلك العش الذي اعتادت النظر اليه لم يخرج الأب والأم وحدهما كي يحلقا في السماء، بل صاروا أربعة من الطيور التي راحت تدور وتدور في سماء الحديقة!

وامتلأ قلب نرمين بفرح غامر، وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، واستدارت الى الغرفة ونادت عمتها:

-"أنظري يا "أبله" لقد كبرت الصغيرتان وطارتا مع والديهما. ليتني كبرت أنا الأخرى بهذه السرعة! تعالي، تعالي يا "أبلتي" الحبيبة، تعالي انظري اليهما!"

شهلاء فيض الله

في الطريق

كان الجو مختلفا جدا عن بقية أيام الشتاء. أشجار الشارع تنفض قطرات الماء بعد ذلك المطر الغزير، والسماء منهمكة باستعادة صفائها شيئا فشيئا وهي تتخلص من تلك الغيوم المكفهرة المحمرة من الغضب والوعيد فينكشف من جديد سحر السماء وخضرة الزرع والشجر. عجّلت خطاها كي تصل الى المحطة في الوقت المناسب ولا تتأخر عن موعد قطارها. وصلت في موعدها وحين دنت من القطار نفضت في رقّة مظلتها المبللة ثم صعدت اليه واختارت لها مكانا للجلوس قرب النافذة. ثمة شاب ذو شعر باهت الصفرة يجلس في الكرسي المقابل. حيته بابتسامة وايماءة من رأسها فرد عليها التحية بنفس الطريقة. نزعت عن رأسها قبعتها الصوفية فانثال شعرها الفاحم الطويل مثل شلال منهمر على جيدها وكتفيها وتدلت خصلات منه فوق عينيها العسليتين وخديها الطريين ووجهها الرقيق، ثم انتزعت قفازيها ودستهما مع قبعتها في حقيبتها اليدوية ووضعت المظلة جنب ساقها. تحرك القطار، وبعد بضع دقائق رن هاتفها فمدت يدها البالغة الرقة الى حقيبتها وأخرجت الهاتف وشرعت بالرد:

-"نعم يا أمي الحبيبة هل تريدين شيئا؟ يبدو أنني نسيت شيئا في البيت لأنني خرجت مسرعة!"

-"لا لا يا غاليتي لم تنسي شيئا. اردت فقط أن أطمئن على وصولك."

-"لا تقلقي يا أمي الحبيبة لقد صعدت القطار وها أنا في الطريق. فديتكِ لا تقلقي. لست طفلة ذاهبة من مدينتنا الى مدينة أخرى. اطمئني سيكون كل شيء على ما يرام وسوف أتصل بك حالما أصل. لا تقلقي. اتفقنا؟"

-"حسنا يا ابنتي سأكون في الانتظار. أبلغيني حال وصولك. في أمان الله."

-"طيب يا أمي الحبيبة في أمان الله."

كانت تتطلع من خلال النافذة الى تلك المناظر الجميلة حيث الطريق المحاط بالجبال والاشجار والخضرة التي تراها أينما نظرت علاوة على القرى الجميلة النظيفة الخلابة التي تكاد لا تمت بصلة للقرى بل تبدو أشبه بالبلدات الجميلة! كان رذاذ من المطر الناعم الممتزج بضياء الشمس يهطل بين الفينة والأخرى ولا يلبث أن يتوقف ثم يعاود الهطول دون أن يترك فسحة للأرض والأشجار كي تنشف!

أحس الشاب بأن الفتاة تغمرها الدهشة والعجب وهي تنظر الى تلك المشاهد! يبدو بأنها ليست من أهل هذه البلاد. يظهر هذا جليا من سيمائها! لذلك بدأ يحدثها بالإنكليزية، كنوع من المساعدة، عن القرى والبلدات التي يمرون بها، فاستطاعت الفتاة هي الأخرى أن تتفاهم معه وتكلمه بالإنكليزية، وشيئا فشيئا انخرطا في الحديث عن الطبيعة الخلابة لتلك البلاد. بعد ساعة كاملة وصل القطار الى محطة المدينة فحمل كل منهما مظلته وحقيبته وودع أحدهما الآخر بنفس الابتسامة وإيماءة الرأس وكلمات الشكر ليمضي كل منهما نحو مقصده وعمله. ابتسمت وأخذت نفساً عميقا مطمئنا وحدثت نفسها:

-"هذه أول مرة أجلس فيها أمام رجل وأتكلم معه بكل حرية دون أن أشعر بالوجل والقلق! إنه لم يسألني حتى عن اسمي ولم أعرف أنا اسمه. لم يعرف بأنني كوردية! ولم يستفسر عن المكان الذي أقصده، ولم يطلب مني رقم هاتفي رغم أننا جلسنا متقابلين وتحدثنا لأكثر من ساعة دون أن يبدو عليّ أي تحفظ وحذر في طريقة جلوسي وحديثي وتعديل ملابسي! عجيب أن يكون رجلا شديد البساطة في ملبسه وكلامه وأن يستخدم القطار في السفر الى مدينة

ثانية مثل أي مواطن عادي رغم أنه (كما تكشف لي عرضا خلال حديثه) صاحب شركة ورجل أعمال!"

وواصلت الحديث مع نفسها:

-**"ليت هذا الأمان والاطمئنان موجودان في كل مكان!"**

سارت في الشارع لبعض الوقت وهي تطلع الى كل هؤلاء الناس. أحست بالتعب من ثقل حقيبتها فتوقفت قليلا فإذا بشخص يحملها عنها بقصد المساعدة. نظرت اليه فإذا هو شاب يقول لها مبتسما:

-**"لقد أحسست بأنك متعَبة لذا أردت مساعدتك."**

أجابته الفتاة بسعادة:

-**"أنت أيضا كوردي!؟ سررت بلقائك."**

ومضيا يسيران في الشارع دون كلام، لكنها كانت تحدث نفسها:

-**"كل البشر متشابهون أنقياء السرائر ساعة يولدون! لكن التربية والبيئة هما من يملكان الكلمة الفصل في تغييرهم!"**

ومرت حافلة في وسط الشارع فغابا عن الأنظار!

صبيح محمد حسن

ضجَر

في برهةٍ وجيزة، ارتفعت حدة ضجره بقدر كبير. لو وجِدت آلةٌ لقياس الضجر (ولطالما تعجّب من عدم وجودها) لكانت قد سجّلت أعلى الدرجات!

حين بلغ سن النضوج، وصار يعرف الدنيا وصروفها كما تقول جدته، كانت أمه تقول له:

-كنتَ يا ولدي لا تتجاوز الثانية من عمرك، وكنتُ أحملك على ظهري ونحن نولّي وجوهنا، مع الآخرين، صوب الجبال. وعندما كان أزيز الطائرات يدنو، كان القادرون منّا يرتمون على الأرض."

والآن، ها أنتَ ترى بعينك: الوقت يقترب من الظهيرة وثمة غيوم تتكاثف وتتراصف. أمك شديدة الاضطراب، لذلك تنظرُ الى السماء بين الفينة والأخرى، ثم تضربك بيدها بغتةً وتولي هاربة. هكذا هو الأمر دوماً يا ولدي.

أحسَّ في إحدى المناسبات بانكسار عظيم. وتوصل الى نتيجة مفادها أن ناسَنا لا يؤمنون بشيءٍ خارج حدود البؤس والشقاء، أو

أنهم، وهو الأصح والأرجح، غير قادرين على رؤية شيء عداهما. كان يفكر بأن هذا هو حال الدنيا على الدوام؛ البعض أقوياء وكل شيء ملك يمينهم. وفي المقابل هناك الآخرون الذين ينبغي أن يلزموا الصمت ويفرّوا على الدوام صوبَ البراري والجبال. وتوقف هنا قليلا، وتذكَرَ الفقرة التي قرأها مرةً في أحد كتب التاريخ القديمة

-"إذا دخلتم بلدةً صار كلّ ما فيها ملك يمينكم: النساء، الأطفال، الأغنام.. فإن لم يُسلِموا لكم القياد فأغرقوا البيوت والأزقة بالدم"

وازداد ضجرا. أراد أن يوجه وجهه نحو مكان ينسيه بعضاً من ذكرياته وتجاربه المريرة، لكن لم يكن يرى، أنّى استدار، سوى تلكم الأماكن التي تذكِّرِه بأيام الشقاء. العجيب أن أمه فقط كانت تقصُّ عليه تلك الذكريات. إنه لا يتذكر قيام أبيه يوماً برواية إحدى الذكريات أو الأحداث العائلية. وعندما تفكّر في الأمر اكتشف السبب: في هذه البلاد ينبغي أن تكون كل الأمور الحسنة والمحمودة من نصيب الرجال، وكل ما هو مرتبط بالخيبة والانكسار من نصيب النساء. ولهذا تحولت النساء الى مخيَّمات تتكدس فيها الأخطاء والنقائص والفضائح، حبالا يعلقون عليها كلَّ خطاياهم.

في كثير من الأحيان، عندما يتجول في السوق، كان يتأمل أسماء الأطباء وتخصصاتهم. كان يتوق الى أن يرى واحداً منهم وقد كتب تحت اسمه: أخصائي بالضجر.

لم يكن هذا حاله باستمرار، فقد كان في بعض الأحيان، يتخفف من أحماله وينسى كل شيء. ولم يكن ذلك، في الحقيقة، بالأمر اليسير: أن يجلس جانباً ولا يتدخل في شيء. وكان في كل مرة يعزم على هجر الستلايت والراديو والانترنت الذين غيروا حياته وصدّعوا رأسه. اعتاد الناس على الاستفادة من هذه الأشياء لتحسين حياتهم غير أنه كلما فتح موقعاً أو استمع الى نشرة للأخبار أجفل واعتراه الصداع!

-"ليلة أمس قام أحد الأشخاص بتفجير نفسه في مجلس للعزاء."

- "عُثِر صباح هذا اليوم على خمسين جثة مجهولة الهوية."

-"مقتل خمسين امرأة في إحدى البنايات يوم أمس."

-"القصف يسفر عن مقتل مائة مسلح."

الى آخر ذلك.

كان يرغب برؤية مانشيتات أخرى:

-"كيف تنام نوماً عميقاً؟"

-"كيف تمسح ذاكرتك تماماً؟"

-"كيف يمكنك زرع الأمل في نفسك؟"

-"كيف تنجح في الاحتفاظ بآدميتك وسط آلاف الحمير!؟"

لكنه لم يرَ شيئاً من هذا. كثيراً ما يقول لنفسه:

-"لماذا أثقل على نفسي بهذا الشكل؟ لماذا لا أكون مثل الآخرين؟ إنهم ينظرون ببساطة الى كل ما يدور، وعندما يرون مانشيتاً متوحشاً أو كريها تراهم يسرعون الى التخلص منه والتحول الى سماع أغنية أو مشاهدة برامج التسلية أو المسابقات"

واحد من أصدقائه قال له مرة:

-"لا يذهب ظنك الى أن هؤلاء الناس جهلة لا يفقهون شيئاً. كل ما في الأمر أنهم فقدوا الأمل بأي تحول كبير يغير حياتهم ويضفي عليها السعادة والهناء، لذلك تراهم يبحثون عن لذّات مؤقتة بسبب يأسهم من متع كبيرةٍ ودائمةّ!"

أدخل هذا الشرح الفلسفي الحكيم الكثير من السرور على نفسه. وتذكر من جديد كلاماً ظل في باله لأحد أبطال قصة ما، قصة لا يعرف إن كان قد قرأها حقاً في مكان ما أو أنها لم تُكتَب بعد:

-"تتشكل حياة أغلب الأمم من مراحل عديدة تختلف كل واحدة عما سبقها، حتى يجد في النهاية كلُّ رأس من رؤوسهم متكأً يستند اليه ثم يتوجه كلٌّ الى عمله، فترتفع بناياتهم الى عنان السماء، ويبلغون بعلمهم النجوم، بلدانهم نظيفة براقة وأهلها شبعون ناضرون يطوون المراحل. لكن حياة هذه الأمة تتشكل من مرحلة واحدة لا غير: تبدأ بالقتل والسلب والنهب وتنتهي بهما فلا ينتظرون تحولاً أو انعطافاً جديداً"

وطفق يفكر بعض الوقت. حسنا، لو كان الأمر كذلك، فلماذا يتعب هؤلاء المفكرون والكتّاب أنفسهم بالبحث عن حلول وأفكار ونظريات؟ إن المرء ليضحك، بل ويبكي من بيئة هذه البلاد ومن أجوائها التي لم تستنشق يوماً رائحة أطيبَ من رائحة الدخان والقتل والتهجير.

وفي لحظة مليئة بالغرابة اتخذ قراره بأن يصبح مثل غيره ولا يظل على حاله. وأخذ يتأمل الدكاكين والحسناوات، وراح يقرأ الإعلانات المعلقة على الجدران:

-"لا تفوت الفرصة. أسرع انترنت في العراق!"

-"عباءات خليجية بأسعار مناسبة"

-"جميع أجهزتنا بالتقسيط"

-"لدينا جبن محلي. سعر الكيلوغرام ٨ آلاف دينار"

-"زوج من الأحذية بـ ١٠ آلاف دينار"

وأراد أن ينظر للسماء فوقعت عيناه على سقف اصطناعي. ثم فكر في أن يتفرج على أشياء تنسيه ضجره، لكنه لم يعرف إن كان قد أحس حقاً بأي تغيير، مؤقتاً كان أم غيره! وأخذ يقلب في رأسه القرار الذي اتخذه للتو. وغالَبَ ضحكة ارتسمت ظلالها على شفتيه، وتذكر حواراً في قصة ما:

-"لا تنسَ يا صديقي. إننا نعيش في بلاد يسهل فيها اتخاذ القرارات، لكن من العسير تنفيذها!"

عادل عبد المجيد

المهد الثالث

فرغَ من بناء السفينة. وضع فيها كل مستلزمات الحياة. فرش الحجرات بالقش والأفرشة والمؤونة. لم يبقَ إلا أن يحلّ الليل كي يُركِب فيها الحيوانات التي لم تزل فراخاً ويبدأ رحلته. طالما دارت أفكاره في جوهرها حول هذا العالم، كان يريد على الدوام أن يجتازه في صمت كي يحقق فكرته التي عزم على جعلها حقيقة واقعة. تثاءبت الشمس وتدلّت نحو المغيب، وفتح الليلُ أعينه، حلّت ساعةُ الصفر. جلب الحيوانات وأدخلها في حجرات المركب، تلك الحيوانات صغيرة، صغيرة الى درجة أنها لم تكن قادرة بعدُ على الانتصاب على أقدامها. تلألأت النجوم وهبَّت ريحٌ لطيفة، البحر ساجٍ كأنه سجادة مفروشة تتثنى قليلاً هنا أو هناك. أطلق أشرعة السفينة وبدأ رحلته.

يتفحص الحيوانات بين الفينة والفينة، ويطعمها، كلأً وطعامه، وتنتعشُ آماله كلما أبصر أنها لم تزل حية. كان يذهب الى حافة السفينة ويتنشق الهواء ملء صدره، هذا هو الصمت الذي طالما داعب أحلامه.

كانت السفينة تشق عنان البحر في انسياب، أبدا لم يبلغ صراع الريح والأمواج حداً يدعوه الى القلق على سفينته. في أغنياته كان يردد (في هدأة البحر أشعلُ سيجارة وأدخنُها..) لكن سيجارته صارت الآن شمساً صغيرة فوق هذا البحر.

أبصر البرَّ، أراد أن يصرخ، أن يرقص، أن ينادي (ها قد وصلت الى ملجئي) أراد أن.. أسرع الى الحيوانات وقدم لها مزيداً من الطعام، عاد الى حافة السفينة. انتشر الضياء، شراذم الليل تنحسر، الطيور تنقض على صفحة الماء وتلتقط السمك. بلغت السفينةُ اليابسةَ وتوقفت، نجح بطريقة أو بأخرى في سحبها على الرمل.

مع انبلاج الفجر شرع بزرع الحنطة والشعير ولوازم الغذاء، وحوّل مساحةً أبعد قليلاً الى ساحة نقل اليها الحيوانات، كان يُخرِجها واحدا واحداً من أقفاصها كي تتمرن وتتعرض للشمس. كان يجمعها في ساعات الظهيرة قبالة الأرض التي زرعها حين ينشغل بسقايتها وتنظيفها، ويصحبها في أوقات العصر، حين يرغب بالصيد، الى ساحل البحر، وفي الليل يدربها على الاستئناس معه بالنار وعدم الخوف منها، وعندما ينتصف الليل يذهبون معاً الى السفينة حيث ينامون.

مضت عدة أيام على هذه الشاكلة تعلمت الحيوانات بعدها أن تعرّض نفسها لأشعة الشمس في الصباح وأن تصطف في الظهيرة قرب الأرض المزروعة وأن تتوجه ساعة العصر الى ساحل البحر وتدنو في الليل من النار ثم تذهب الى السفينة. وكبرت الحيوانات شيئاً فشيئاً، وبلغ من تدريبه لها أنها اكتسبت مشاعر وأحاسيس، أحس كل منها بوجود الآخرين، وصل الكلب الى قناعة بأن الدب إذا لم يصطد السمك من البحر وقت العصر فأنه لن يحظى في الليل بتناول السمك. وعندما كان يحرث الأرض أمامهم ويطعم الحمام والبلابل من سنابل القمح تعلمت هي الأخرى أن تقلّب الأرض بمخالبها.

شرع بتعليم الحيوانات منذ صغرها وإنجاز أعماله أمام أعينها، كان يحلب العنزة بمشهد من الدب ويسقيه من حليبها ثم يقدم لها الحشيش، فتعلم الدب أن يجلب للعنزة الحشيش الأخضر أينما وجده. علّم الكلبَ من صغره أن يربط الحبل المشدود الى يد درّاسة الحبوب حول رقبته ويدور حولها. كان يطحن القمح ويعجن الخبز ويخبز العجين ويأكل منه ويطعم العنزة بعضاً منه. حفظت العنزة هذا المشهد حتى وصلت الى مرحلة أنها إذا لم ترَ الكلب حركت بفمها حبل الدرّاسة حتى يشعر بها ويقدم لها الخبز.

هكذا صاروا يعملون مثل الداينمو، يسعى أحدهم لتوفير احتياجات الثاني. كانوا يشعرون بحاجة بعضهم لبعض، بأن واحدهم يكمل الثاني. وعندما بلغوا هذا الحد حررها، أطلقها كي تقوم بأعمالها بنفسها. وحين أحال فكرته الى عمل ملموس وصل الى قناعة بأن كل شيء ممكن.

في دفتره سجّل كل شيء، من ابتداء تفكيره بهذا العالم الى بناء السفينة، من أول عمل الى آخر عمل: كيف علّم الحيوانات، كيف زرع فيها المشاعر، كيف علمها أن بعضها يحتاج لبعض، كيف وكيف! كتب بدقة كل شيء.

الكتاب والحيوانات هم الآن في السفينة. قادمون نحونا. لكنني لا أعرف إن كانوا سيصلون سالمين أم أن طوفاناً آخر سيغمرهم؟!

عبد الخالق سلطان

خورشيد الكاتب

لزم الصمتَ. لم يستطع أن يخلِّصَ نفسه من أمواج الخوف الذي كان ينتابه بين الفينة والأخرى. حاول، مثل كل مرة، أن يصمد أمام هذا الخوف الذي حطَّ عليه، لكن لونه تغير وامتقع وجهه من جديد. أراد (ميرزا) أن يمسح بأطراف أصابعه العرقَ الذي تصبب من جبينه، لكنه لم يشأ أن يمنحَ مَن حوله فرصةً إضافية ليكشفوا ما يعتمل في دواخله.

قبل ساعةٍ لا غير كان يشعر وكأن الحياة كرةٌ بين أصابعه وبأنه يستطيع أن ينال كل ما يريد عن طريق اتصالاته ومناصبه وامواله. مفاتيح سيارة المونيكا[١] في قعر جيبه كانت، هي الأخرى، تشعر بالغربة والضياع! لم تستطع أصابعه أن تعبث بها وتُرقصها كما في كل مرة. كان ذاهلاً كمن هوى وسط دوامةٍ عاتية، وتراءى له العالم مثل حلقات تدور وتدور دون نهاية.

-**"هذا ليس صحيحا! أنا في عالمٍ آخر!"**

---

١ اسم محلي يطلق على نوع من السيارات الفارهة الرباعية الدفع.

تفوّه بهذه الكلمات دون إرادته. حاول أن يُخرج نفسه من هذه الدوامة ويعود الى دنياه والى تلاعبه بأحاسيس الضعفاء من حوله. منذ طفولته كان مغرماً بتعذيب الذين يعملون معه ويعتمدون عليه، كان يرغب على الدوام في إراقة ماء جبينهم كي يراهم منكسرين مهمومين أمامه، لذا لم يلتف حوله إلا الذين يرفعون شعار "الكافرون هم أصحاب الملاعق الأعلى"

فرح ميرزا كثيراً عندما بدأ (خورشيد) بالتقرب منه وقال في نفسه:

-"سوف يكون خورشيد خير عون لي، فهو رجلٌ مثقف وصاحب قلمٍ مرهفٍ ولاذع، وقد ينجح في تغيير نظرة الكثيرين إليّ، خصوصاً إذا واظب على حضور مجالسي"

حظي خورشيد الكاتب بشهرة طيبة في مدينته، بل إن عدداً من الصحف والمجلات في المدن القريبة اتصلت به ليكتب لها بعض المقالات بسبب الأفكار الجديدة والجريئة التي كان يملأ بها صفحات الجرائد والمجلات.

كان ميرزا قد تهيأ لاستقبال الكاتب البطل خورشيد، وأمر مستخدميه بتهيئة أفضل الطعام والشراب من أجله، ذلك لأن خورشيد لم يكن بالشخص الهين، إنه صاحب القلم المرهف

والكلمات النارية. مضى وقت طويل على صحبتهما، ونجح خورشيد في أن يكون مستشاراً عزّ نظيره: كانت كلماته مطاعة، ولم يكن يقدم على صغيرة أو كبيرة دون علمه!

مضت أشهر ثلاثة دون أن يكتب خورشيد مقالة واحدة، لكنه، بعد أربعة أشهر، نشر مقالةً هزيلة في كبرى صحف المدينة أطنب فيها بمدح ميرزا ودوره في الحفاظ على المصلحة العامة ومشاركته لمواطني المدينة في أفراحهم ومآتمهم ، ثم ختمها بالدعوة الى ضرورة عدم تجاهل الرجال الشجعان ذوي المروءة من أمثال ميرزا.

في غضون ستة أشهر لا غير نجح خورشيد في أن يرسم لميرزا في ذهن رجل الشارع صورة الشخصية الفولاذية العظيمة، مخترعاً له العديد من الصفات البطولية الأسطورية. وكان من نتيجة هذه الحملة التي قام بها خورشيد أن ترشح ميرزا لمنصب قائمقام المدينة وصار يصدق بأنه ذلك البطل الصنديد الذي يستطيع الوقوف بوجه الجبال وليِّ الحديد البارد بيديه المجردتين!

وفاز ميرزا في الانتخابات، وارتفع معه نجم خورشيد، ونسي مقالاته، لم يعد يعرف ليله من نهاره: صار يسلخ النهار مع ميرزا

في الاستقبالات والزيارات، ويقضي الليالي مع أصدقاء ميرزا وأصحابه في طرب وسرور يدومان حتى انتصاف الليل.

-"هل قُتِل خورشيد حقاً؟ ومن قتله؟!"

علا صراخ ميرزا، لكن أحداً من مستخدميه لم ينبس ببنت شفة. ودنا من جثة خورشيد، وقف على رأسها وسأل من جديد:

-"ولماذا قتلوه؟"

لم يكن مهموما لموت خورشيد بقدر انشغاله بمن سيسد فراغه ويقوم بعمله ويخفي عيوبه التي لا نهاية لها.

ومثل دوامةٍ لا قرار لها، دارت الدنيا أمام ناظريه.

ومثل طفل تاه عن أمه في زحمة السوق، انهمرت الدموع من عينيه.. قطرةً بعد قطرة!

عبد الخالق سلطان

قافلة الرؤوس

أحس بأن جمجمته ارتفعت عن بدنه. حاول أن يفتح عينيه المتعبتين، لكنه نجح بالكاد في فعل ذلك بسبب الضوء الشديد الذي يملأ كل الأرجاء من حوله. أراد أن يتذكر اسمه وعشيرته ومدينته لكن الكلمات تبعثرت في ذهنه فلم يستطع أن يلملم شتاتها ويصنع منها جملة مفيدة واحدة، وتاهت المعاني في عقله واختلطت برغم محاولته نبش ذاكرته والبحث فيها عسى أن يعرف شيئا عن نفسه!

مضى بعض الوقت قبل أن تتقيأ ذاكرته صورة نصف معتمة اتضحت ملامحها شيئا فشيئا: رؤوس تتبدى سائرة في إثر رأس بعينه، ثم أخذت تزداد عددا. كلها متعَبٌ، جباه بعضها سفعتها الشمس، بينما غطى الثلج وجوها أخريات! ضفائر بعض النساء تدلت فوق أثدائهن. أنهم يسلكون ذلك الطريق صامتين مطأطئين. كان الطريق يستحيل أحيانا الى تراب ناعم أحمر ويستحيل مرات الى تراب أبيض يتصاعد منه الغبار أو يضحي حصى نائتا يدمي الأقدام، ظلت رؤوس أهل القافلة متهدلة محنية رغم أن الطريق يتبدل أحيانا صعودا ونزولا ويتلوى مثل أفعى تجرجر أذيالها فوق

العشب ولا يستقيم تماما إلا لوهلة هنا أو هناك، وكان خط السائرين في تلك القافلة يبدو من بعيد مثل خيط من النمل. قال في نفسه:

-"ترى الى أين يمضي هؤلاء؟ وأين سينتهي بهم المطاف؟"

وحاول أن يدنو من بعضهم، لكن عدد مَن في المشهد صار يزداد ويزداد. وانفتحت عيناه على مصراعيهما حين أبصر بينهم (حَمو) الطبيب، ثم ابن عمه (سَفو) عاريا كما ولدته أمه! وتقدم اليه ليكلمه، غير أنه غاب بين الجموع. وأبصر جارتهم (ريناس) ذات الأطفال الخمسة في الجانب الآخر من المشهد، لكنها لم تكن جميلة كعادتها، ولم يكن العطر يفوح منها كدأبها، إذ غطى التراب شعرها الأشعث وهي تسير وقد لفت جسدها المنحني بثوب ممزق حائل السواد. وعلى مسافة منها بدا (سلو) الموسيقار وقد اكتفى بشورتٍ قصير وهو يمضي كما الجميع وقد طأطأ رأسه الذي علاه شعره غير المصبوغ! ثم رأى مدير مدرسته الابتدائية. نعم الاستاذ هادي الذي كان الكل يحلفون برأسه، وها هو الآن ليس عليه سوى قميص وربطة عنق وهو يمضي محني الهامة كما الآخرين! ومن بعيد ظهر قحف (شيركو) المسؤول عن ساكني الحي الذي يخشاه الجميع ويرسمون على شفاههم ابتسامة مرغمة ساعة يمرون به. كان جانب من شواربه فاحم السواد فيما

بدا الجانب الثاني ناصع البياض، ولم يكن يلبس شيئا خلا حذاء جزراوي، ثم غاب هو الآخر وسط زحام الخلق.

وفغر فمه في دهشة عندما أبصر عمته (هيري) التي سبق أن أدت الحج لمرة والعمرة لثلاث مرات! شعرها أشعث كأنه شهد معركة دجاجات وديوك! كانت عارية إلا من قميص نوم داخلي أحمر! حاول أن يدنو منها لكنها سرعان ما اندست في القافلة وغابت عن الأنظار!

وتناهى الى سمعه دبيب أقدام يعرفها: إنه الملا (خمو) الذي لم يتوقف قط عن وعظ الناس من الصباح حتى انتصاف الليل. مر به سريعا مثل شهاب بلحيته المحلوقة بالموسى وصلعته المكشوفة والـ"فانيلة" البيضاء المتهرئة، ثم انضم الى حشد البشر المطأطئين! وفي منتصف القافلة أبصر (حسكو) عضو البرلمان وقد رفع إحدى صوره ومضى عاريا محني الرأس وسط القافلة. وعلى مبعدة منه كان (شندو) الاستاذ الجامعي يتطاوح في سيره لينضم الى القافلة، لا يغطي جسده سوى فردة جورب في قدمه اليسرى!

عجز عقله عن تفسير ما يراه ومن يراهم. وهاجت في دواخله عشرات الأسئلة: من أين يأتي هذا الحشد؟ والى أين يمضون؟ لا

جواب، الكل صامتون! كلّهم منشغلون بأنفسهم وقد نسوا كل شيء، إنهم يمضون سراعاً والقافلة تكبر وتكبر! حاول أن يعرف غايتهم وماذا فعلوا وماذا ينتظرهم وما هذا الذي يحدث لهم. أنهم ليسوا، على كل حال، ممن يستخف بمكانتهم في المجتمع؛ فبعضهم من أصحاب السلطة والنفوذ ممن يسير وراءهم الآلاف من الأتباع والمريدين! لكن أشد ما أثار دهشته أنهم جميعا مطأطئون عراة عاجزون عن نطق كلمة واحدة!

ثم حانت لحظة فغر فيها فاه وجحظت عيناه إذ أبصر نفسه بين هؤلاء! عارياً حافيا مهرولا للانضمام الى القافلة!

ووصلت القافلة أخيرا الى صحراء شاسعة. وسمع فجأة صوت ينادي:

-**"هذا يوم جزاء الخائنين البائعين أنفسهم"**

وجاءته ضربة كما البرق ما بين عينيه وحاجبيه ثم نزلت الى عنقه وفصلت رأسه عن جسده. وحين فتح عينيه رأى جثته راقدة تحت رأسه!

عبد الرحمن بامرني

التابوت

أكثر من أربع ساعات مضت وأنا ممدد في هذا التابوت. ها هي أيام عمري كلها تمر أمام ناظري في هذه الساعات الأربع مثل شريط سينمائي بارد الأحاسيس. هذا هو قراري: أن لا أترك ورائي غير الأحاسيس الباردة والعيون المتقيحة والضحكات العابثة.

أربع ساعات داخل هذا التابوت ولم يفلح شيء في تغيير أفكاري، الحياة عندي غدت عديمة المعنى، وحياة دون معنى تشبه شجرةً يابسة، لا تفرش فيأها على ما حولها ولا تعطي ثماراً. بعض البشر تنتهي حياتهم في التابوت، لكنني اتخذت قراري: سأبحث عن الحياة بعد محطة التابوت!

هذا التابوت شديد الضيق، حاولت مراراً أن أتقلب بداخله لكن رأس مسمارٍ حديدي ينغرز في كتفي ويرغمني على الرجوع الى التمدد على ظهري. لماذا لم يبلغ أحد شكواه من أن مسامير التابوت لم يجر ثني رؤوسها المدببة؟! لا أعرف كم من الناس جرحهم هذا المسمار قبلي. لكن من يعلم؟ من يدلف الى هذا التابوت لن يرى الضوء بعدها. إنه ميت، ميت، ومنذ متى صار

للموتى حق التشكي، ومن يحسب لهم حساب؟ ها، تذكرت شيئاً: أنت أيها المحسن فاعل الخير. قد صنعت هذا التابوت ووضعته في المسجد لتكسب الثواب. حسنا، كم سنة انصرمت على هذا الثواب، وكم جنازة حُملت فيه الى المقابر!؟ كفاك هذا، أبيضة ديكٍ ثوابك هذا؟ ألم يحن الوقت لتصنعَ تابوتاً أفضل وتوليَ عناية أكبر بعملك؟!

لا أعرف لماذا طرقت هذه الفكرة رأسي، لم تكن من طريقة غيرها لأبعد برود الحس عن نفسي. حسنا، هذا أيضا لا يهم، هذا أيضاً واحد من مظاهر قلة العقل عندي، لقد اخترت التابوت، أما من أحد يقول لي أوقف إضرابك، سوف يسألون عن شكواك، ألا يهتم أحد لشكواي، ألست واحداً من مواطني هذه المدينة؟

حسناً يا جناب مدير البلدية، يا جناب المحسن. هذا التابوت الذي أضطجع فيه الآن، أليس التابوت الذي ننقل فيه موتانا الى المقبرة. نعرف أنكم قد رميتم خدمة الأحياء خلف ظهوركم. ولكن ألا يقولون إن مؤخرة الميت دواء؟ فلماذا لا تحترمون موتاكم؟!

بقائي لأكثر من أربع ساعات داخل هذا التابوت ذكّرني بالجوع والعطش. من سيجلب لي الماء والطعام؟ الكل يعرف أن دخول المرء في التابوت آخر محطات حياته. الجوع ذكرني بالموت.

انتبهت الى أنني ما زلت في التابوت محمولاً على أكتاف بعضهم، يعلم الله الى أين. لكنني متيقن أيضاً بأن الوقت لم يزل مبكراً على موتي وحملي الى المقبرة وبأنني ما زلت أشعر بجسدي وبأن يدي لم تزل قادرة على الحركة. الشك ساورني إن كنت حقاً من الأحياء أو الأموات. أشعر بشيء واحد يعلمني بأنني ما زلت على قيد الحياة: أصوات (رحمه الله) تقرع آذاني. لكن هذه الأصوات أخافتني، فهذا الذي رحمه الله ليس إلاي!

حسنا يا جناب كل شيء! أنت تعلم بأن لا أحد يقدر أن يجهر بمطالبه، وإنك لا تفعل شيئاً لأجل المواطن؟ كان التابوت آخر طريقة لي كي أوصل شكاواي اليك، وها أنت تجعله مستقرا لآخر أنفاسي وتريد أن تسوقني أنا وشكاواي صوب المقبرة.

توقفوا. أخرجوني من التابوت. لا أريد أن أموت الآن! ما زال أمامي الكثير لأقوله وأفعله. وأول ما أبدأُ به هو هذا المسمار! يظن المحسن أنه سينال الأجر والثواب اذا صنع تابوته كيفما اتفق. كل الناس في هذه المدينة يعملون كيفما اتفق لكنهم يُثابون بدلاً من أن ينالوا العقاب.

تنتصب آذاني لقعقعة مفتاح ما. لا أتذكر أن أحداً سبق أن وضع تابوتاً في مكانٍ مقفل. أحسست بأنني انزلتُ وتابوتي على

الأرض ثم أُقفِل الباب واختفت الأصوات التي كانت تتسلل الي.
أرفع غطاء التابوت فإذا بكل ما حولي حاجات قديمة لكنها مرتبة بطريقة جميلة: ثمة جرة ماء هناك، وعلى مسافة منها هاون حجري والى جانبه منجل بمقبض طويل وفي زاوية أخرى مزمار مزدوج يذكّرني بسعدي الزمّار عندما كان يعزف لحن (كولشيني شيني) ونهزّ أكتافنا معه.

ولكن ماذا يفعل تابوتٌ هنا؟ قد زرت هذا المتحف عشرات المرات. كل من خدم طويلاً يحال الى التقاعد في هذه البناية ولا يسمحون بأن تمسّه ذرة غبار. وهذا التابوت، مثله مثل الميسورين غلاظ الرقاب في مدينتي، عندما تنكشف سرقاتهم وفسادهم يتم تكريمهم ويحالون الى التقاعد بكل تقدير واحترام. لكن التابوت!

لا أتذكر أنني، بعد أن تركت ورائي باب المتحف والتابوت، قد خطوتُ، ولو لمرة واحدة، بمناسبة أو دون مناسبة، داخل هذا المتحف!

عبد الرحمن بامرني

قارب الموت

-خمسة وعشرون ألف دولار. كل منكم يدفع خمسة وعشرين ألف دولار. كم مرة كررتُ هذا؟

أعاد الكلام على مسامع تلك المرأة الشابة التي كانت تصحب أخاها وتتوسل اليه كي يتنازل له عن بضع مئات من الدولارات لا كتخفيض على أجرة ركوب القارب بل لكي يتبقى لديها بعض المال حتى تجتاز حدود البلد.

أخرجتُ مئتي دولار من جيبي ووضعتها في يد أخيها وقلت للمهرب:

-تأخر الوقت. امضِ بنا.

لم أفعل هذا لأنها شابة وجميلة وأرغب بأن تتقرب مني أثناء الرحلة، أو لأنني قلق على أخيها وأخشى أن يتشرد في أزقة هذا البلد الغريب، بل لأن كل يوم نتأخر فيه حتى نظفر بمهرب آخر يعني لنا إنفاق المزيد من النقود في الفنادق والمطاعم علاوة على التهرب من رجال الشرطة.

صعدنا الى القارب وانطلقنا في البحر. ثلاث مرات نقترب من حدود اليونان لكن المهرب يعود بنا الى عرض البحر متذرعاً بخفر السواحل. في المرة الرابعة شرع الجالسون في منتصف القارب بالصراخ. لقد تسلل الماء الى القارب. أخذ البعض بالدعاء والتضرع للسماء والصراخ طلباً للنجدة، فيما انهمك آخرون بكل ما أوتوا من قوة في محاولة لإفراغه. أما المهرب فقد ارتدى سترة النجاة ولف حاجاته الثمينة حول جسده وقفز الى الماء.

القارب يغوص. الذين يملكون ستر النجاة طافوا على صفحة الماء، ومن لا يملكون واحدة من أمثالي وكذلك الأطفال وكبار السن لم يملكوا غير التضرع والعويل. تركتهم وقفزت نحو سترة المهرب. تشبثتُ بعاتقه ونزلت وإياه تحت الماء. حاول الصعود وأخذ يرفسني بقوة ويحاول التخلص مني.. عليَّ وعلى أعدائي! غصت معه ولم أفلت يدي من سترته ولم أسمح له برفع رأسه فوق الماء أو إدخال شهقة من هواء الى رئتيه حتى نفدت أنفاسه وصار جثة هامدة. انتزعت السترة وصعدت الى السطح. تطلعت الى من حولي: كانت الجثث متناثرة على صفحة الماء مثل دجاجات نافقة وقد تدلت رؤوسهم على الأكتاف. لبثنا لساعات وسط هذه الظلمة الحالكة والأمواج الباردة حتى جاءنا قارب انقاذ وانتشلنا؛ الأحياء منا والموتى ونصف الأحياء!

وما زال المهرب يقول: كل من يسافر، كبيراً كان أم صغيراً، عليه أن يدفع خمسة وعشرين ألف دولار. وما زالت تلك المرأة الشابة تلحُ وتلحُ كي يترك لها بعض النقود حتى يعود شقيقها الى بلاده، وأخرج من جيبي مئتي دولار، أضعها في يد أخيها وأقول للمهرب: تأخر الوقت، انطلق بالقارب! لا أفعل هذا لأنها شابة وجميلة وأرغب بأن تتقرب مني أثناء الرحلة، أو لأنني قلق على أخيها وأخشى أن يتشرد في أزقة هذا البلد الغريب، بل لأنني أعرف تمام المعرفة بأنها رحلة أموات، وبأن هؤلاء الذين تحلقوا حول القارب يتراءون أمام ناظري: أحياء.. موتى.. وأنصاف أحياء!

عبد الرحمن فرهادي

مغامرات السيد تعيس في أسبوع

لم أكد أغادر بيتي في الصباح الباكر لأول أيام الاسبوع حتى نادتني زوجتي طالبة مني أن أجلب معي ماسحة حين أعود، لأن ماسحة البيت مكسورة. عندما مضيت في طريقي قلت لنفسي:

-"قد أنسى جلبها معي عند رجوعي. من الأفضل أن أشتري واحدة قبل أن أذهب الى عملي."

عرجت في الطريق على شارع الشهيد سمكو واشتريت من أحد الميني ماركتات رأس ماسحة وعودها الخشبي بثلاثة آلاف دينار. نظرت الى ساعتي فوجدت متسعاً من الوقت لأعود الى البيت كي تغسل زوجتي بلاط صحن الدار الذي اكتسى لونا نارنجيا بسبب المطر الطيني الذي هطل الليلة البارحة. وصلت الى البيت ونزعت الغطاء النايلوني للماسحة وشرعت بشد العود اليها فلم تمسك به؛ كانت فتحة الماسحة أكبر بكثير من سُمك العود، أو لنقل أن العود كان أرفع من فتحة الماسحة. حاولت كثيرا وأدرتها يمينا وشمالا لكن دون جدوى، فاضطررت أن أعود القهقرى وأدب الى الميني ماركت فوجد ولدا صغيرا جالسا في مكان أبيه الذي اشتريت منه الماسحة وأفهمته أن عود الماسحة لا يناسب فتحة

رأسها، لكنه طلب مني أن أنتظر حتى يعود والده فانصعت على مضض ووقفت نصف ساعة تحت الشمس المنهكة حتى عاد الأب بيشماغه وسترته وسرواله المختلفين في اللون وأبدل لي الماسحة بعد طول مماطلة. لم أنطق بشيء لكنه ظل يردد على مسامعي:

-"**موادنا كلها أصلية. تأمل بنفسك!**"

وعدت الى البيت من جديد، وحتى أوصلت الماسحة وبلغت عملي كان شطر من الدوام قد انقضى.

..

في صباح اليوم التالي ارتميت في الحمام كي أغتسل كما في كل يوم قبل الذهاب الى العمل، فرأيت الطست البلاستيكي الذي اشتريته قبل ثلاثة أعوام وقد انثقب وأخذ الماء يتسرب منه. عندما خرجت من البيت توجهت من فوري الى الدوام وذكرت نفسي بأن علي أن أقتني، عند رجوعي، طستا جديداً للحمام. خرجت قبل انتهاء الدوام بساعة ومررت في طريق رجوعي بدكان بائع الحاجات البلاستيكية واشتريت طستا أبيض جديداً ما زال في غلافه النايلوني، وصلت الى البيت ووضعته في الحمام ورفعت القديم وألقيته في القمامة التي أمام باب البيت. استيقظت في

الصباح الباكر ودلفت الى الحمام من جديد لألقي على جسدي بعض الماء قبل الخروج الى العمل وحين سحبت الطست سمعت صوت طقطقة تخرج منه وشعرت بأنه مكسور في مكان ما، بحثت عن مكان الكسر فاكتشفت فيه فطراً عموديا طويلا. ندبت سوء حظي ولم أدر كيف اغتسلت! خرجت من البيت أنا والطست وكان الجيران يتفرجون علي ويتساءلون في استغراب: ترى أين يريد أخذه!

وصلت الى بائع الحاجات البلاستيكية وأفهمته أن الطست مثقوب وطلبت منه ابداله بواحد سليم. صاحبنا كان شديد البخل، لكنه أذعن أخيرا وعلى مضض وبعد أن أقسمت له بأن الطست كان مكسورا عندما اشتريته، ولم ينس هو الآخر أن يقول لي:

-"نحن يا أستاذ لا نتعامل مع البضائع العادية والمكسورة، موادنا كلها أصلية تماما!"

..

استيقظت في الصباح الباكر وهممت بأن أغتسل كما في كل يوم. جرك! ضغطت على زر مصباح الحمام، ومع تلك الضغطة خرج وهج قوي من المصباح ثم احترق. لم يمض اكثر من شهر على شرائي له وبضمانة أصلية. انهمكت بالاغتسال وسط تلك

العتمة ولم أدر كيف دلكت الليفة بالصابون لكنني أفلحت في اتمام حمامي كيفما اتفق وركبت سيارتي وتوجهت الى العمل. ناديت فراشي (شوكت) ووضعت في يده عشرة آلاف دينار وطلبت منه أن يذهب، عندما يسنح له مجال، الى دكاكين شارع (سيتاقان) ويشتري لي مصباحا لولبيا أصليا بمؤخرة مبرومة من ماركة (فستل) وأن يحتفظ بالباقي. عاد شوكت حوالي الساعة الواحدة ومعه المصباح وأخبرني بأنه أصلي ومن الدرجة الأولى فشكرته بحراره. عندما رجعت الى البيت ذهبت الى الحمام فور انتهائي من الغداء كي أغير المصباح. رميت القديم في سلة المهملات وشددت الجديد بشكل جميل ومحكم، ثم: جرك! ضغطت على زر الكهرباء، لكن المصباح لم يعط ولو ومضة من نور، وتبين لي أن المصباح الجديد محترق هو الاخر. انتابني الغم وصببت اللعنات على حظي التعيس. في اليوم التالي استحممت في الظلمة من جديد، وفور وصولي الى الدوام ناديت على (شوكت) وأفهمته بأن المصباح معطوب وطلبت منه أن يذهب ويبدله بواحد آخر، لكنه أخذ يتذمر ويحاول التملص فاضطررت، لكي أهدئه، الى دس خمسة آلاف أخرى في جيبه.

بعد ساعة كاملة عاد شوكت ليقول لي:

-"أستاذ. صاحبنا مالك الدكان رفض تبديل المصباح. قال لي اذهب وأحضر أسطتك."

-"ومن هو أسطتك؟"

-"جنابك، إنه يقصدك."

لم يكن لي مناص سوى أن أتوجه مع شوكت الى صاحب الدكان وأطلب منه أن يبدله لي. غضب صاحب الدكان وتطاير الشرر من عينيه، لكنني أفلحت، بعد طول مداورة وتذمر، في إقناعه بأن المصباح كان معطوبا من وقت شرائي له. غير أنه واصل تأكيداته:

-"بضاعة هذا المحل تساوي ٥٠٠ الف دولار. ليس فيها مادة واحدة غير أصلية. هذه أول مرة يحدث فيها شيء من هذا القبيل. موادنا كلها أصلية."

..

يوم الثلاثاء عدت من عملي في ساعة متأخرة من الظهيرة، رغبت في أن أنال قسطا من الراحة ولا أخرج من البيت بل أمكث لأطالع كتابا ما. لكن ولدي تقدم مني بعد الغروب وبادرني قائلا:

-"أبي. يجب أن تأخذني الى بائع الموبايلات في الشارع الستيني. درع هاتفي امتلأ بالخدوش ولا بد من إبداله."

لم يكن لي من مناص سوى تشغيل سيارتي والتوجه الى بائع الموبايلات الذي نفذ ما طلب منه بكل دقة وانتظام لنعود بعدها الى البيت. ولكن قبل أن يمر وقت طويل على رجوعي من صلاة العشاء وحال انهماكي بقراءة رواية ل (خسرو الجاف) تصاعد الصياح ما بين ولديّ الاثنين اللذين لم يتوقفا يوما عن العراك والخلاف ولم يتفقا مرة على شيء. لقد ولد أحدهما بعد الاخر، ولهذا لم يكونا ليتركا البيت ينعم بساعة من السلام. كم نصحتهما ولكن دون جدوى. كان الأول الذي أصلحت له الهاتف يصيح بأخيه ويتهمه بأنه كسر هاتفه فيما كان الثاني يصعد لعنان السماء وينزل أرضا ويؤكد له:

-"لم أكسر موبايلك. إن درعه من النوع العادي ولا بد بأنه ارتطم بشيء وانكسر!"

تدخلت بينهما لكي أهدئ الاوضاع، وأمرتهما بالسكوت، وجرجروني في هذا الوقت من الليل الى بائع الموبايلات كي ابدل درع الهاتف من جديد. عندما وصلنا اليه كان البائع منهمكا بإقفال دكانه فتباطأ قليلا عندما رآنا ، فبادره ابني:

-"عمو. الدرع الذي وضعته لنا من النوع العادي، ليتك تبدله لنا بواحد أصلي."

عندما سمع ذلك صعدت عينا صاحبنا وراء رأسه وصاح به:

-"هل تعني أنني أبيع حاجات عادية؟ اذهب فطلبك ليس عندي!"

تمكنت من تهدئته بشق الأنفس، لكنه واصل النقيق والتذمر والادعاء بأنه يذهب الى الصين شخصيا لاستيراد هذه المواد، غير أنه، وفقط بعد أن نفحناه ثمن درع جديد، التفت الى ابني عابسا وقال له:

-"لا تتكلم معي بمثل هذا مرة أخرى، قل هذا براحتك لمن تريد، لكن ليس لي. أترى دكاني هذا؟ لم تدخله بضاعة عادية منذ أن وجد. موادي كلها أصلية!"

اضطررنا على كل حال، الى شكره بحراره وعدنا أدراجنا.

..

في الليلة البارحة لم يطرق النوم عينيّ بسبب ألم سني. عجبا! لم يمض أسبوع على قيامي بحشوه بالبلاتين ودفعي مئة دولار للطبيب العربي الذي يقال بأنه أفضل أطباء المدينة، لكن الألم لم

يبارحني فما كان علي إلا أن أتوجه منذ الصباح الى مستشفى أهلي على طريق (كويه) يعمل فيه زميل لي من أيام المدرسة لم أره منذ عشرين عاما واسمه الدكتور شمال. قطعت تذكرة المراجعة ودخلت الى غرفته عندما حان دوري. فرح الدكتور شمال برؤيتي وأبدى لي احتراما كبيراً. عرضت عليه السن الموجوع ففحصه بعناية ثم قال:

-"أستاذ. حشوة البلاتين التي وضعها لك طبيبك من النوع الرديء ولم تلتصق بالسن جيدا. أنا أمارس تقويم الاسنان حاليا لكنني سأرسلك الى الغرفة المجاورة حيث الدكتور حميد. إنه مختص بحشوات البلاتين الأصلية."

وأحالني الى الدكتور حميد، وبعد ساعة من الشد والجذب والحفر والصليل الذي يرج الدماغ أخرج الدكتور حميد البلاتين العادي ووضع لي بلاتينا أصليا من الباب الاول بمئة وخمسين دولار وهو يعيد ويعيد:

-"هذا البلاتين الذي أضعه لك من نوع فاخر وأنا مسؤول أمامك إن وجدت فيه عيبا خلال سنة كاملة."

..

استيقظت مبكرا في اليوم التالي. كان الجو باردا جدا. دلفت الى الحمام وادرت مقبض الماء الساخن وانتظرت نزوله كي اسكبه على رأسي وجسمي، لكنه ظل باردا ولم تنزل قطرة من الماء الساخن. تبين لي أن ملف التسخين الاوتوماتيكي للسخان الكهربائي معطوب دون شك. اضطررت الى ارتداء ثيابي من جديد. هذه أول مرة أرغم فيها، خلال الأعوام العشرة الأخيرة، على الخروج من البيت دون اغتسال، فكنت أشعر طوال الدوام بأن جسدي كله يحكني. عرجت عند عودتي على سوق المواقد واشتريت ملف تسخين اصليا مع كفالة عشرة أعوام بمبلغ عشرة آلاف دينار، ولم يفت صاحب الدكان أن يقول لي:

-**"لا تحمل هما يا أستاذ، هذه أصلية تماماً."**

عندي في البيت مفك (سبانة) كبيرة تصلح لتبديل ملف التسخين فجلبتها بعد الغداء وفككت الملف المعطوب، ملأ الماء المكان وتبللت من رأسي حتى أقدامي. من حسن حظي أن الملف الجديد دخل في مكانه بسهولة فانهمكت في شده بإحكام. وصل الملف الى آخر نقطة واتخذ مكانه بإحكام، لكنني ظللت أشد وأشد. كنت أخشى أن يتسرب الماء منه فنزلت عليه بكل قوتي حتى تصبب العرق مني في هذا الشتاء البارد. قلت لنفسي: نصف دورة أخيرة وينتهي الأمر. فجأة خرجت منه قرقعة. آه لقد انكسر الملف من

عنقه وبقيت أسنانه محشورة في فتحة السخان. يا للمصيبة! بالله عليك يا تعيس أفندي، منذ متى صار هذا شغلك؟ ألم يكن من الأجدر بك أن تستعين بأسطى خبير؟ عجيب! نظرت الى الملف. كان محطما بطريقة لن نتمكن فيها، لا أنا ولا أبي، من إصلاحه! شغلت سيارتي عند العصر وانطلقت لأبحث عن مصلح المواسير القريب، لكنه أخبرني بأنه مشغول للغاية ولا وقت لديه للذهاب معي الى البيت. غير أنه أعطاني رقم هاتف مصلح ثان اسمه الأسطى سردار. اتصلت بالأسطى سردار وأفهمته بما أريد. بعد ساعة كان سردار أمام باب البيت. عندما رأى حال السخان سألني بانزعاج:

-"**من الحيوان الذي كسره بهذا الشكل!؟**"

أجبته بأن نسيبي الوغد قد ربطه بهذا الشكل وبأنني غضبت منه ولم أسمح له بأن يستمر بالعبث به! على كل حال، خرج سردار وفتح صندوق سيارته وأخرج ملف تسخين جديد وقال لي:

استاذ، هذا نوع ايطالي أصلي من الدرجة الأولى وسوف أشده الى سخانك بضمانة عام كامل، لكن كلفته مرتفعة بعض الشيء ثلاثون ألفا، مع الربط، إذ أن سعره لوحده عشرون ألف دينار.

ما العمل؟ هززت رأسي مذعنا فباشر عمله، وعندما دنا المغرب صار الماء دافئا نوعا ما فوضعت نفسي تحت رشاش الماء ثم دخلت غرفتي وغططت في النوم.

..

صباح اليوم التالي نظرت في ساعتي فوجدت أنها تجاوزت التاسعة. فرحت كثيرا لأن اليوم هو الجمعة وسأنال قسطا من الراحة. حوالي الساعة الحادية عشرة طلبت مني زوجتي أن أذهب الى الفرن لجلب الخبز، فأخبرتها بأنني أشتهي بعض الكباب المقلي والعدس على الغداء. عندما خرجت كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة. دنوت من مخبز العم وهاب وركنت السيارة وانتظرت على جنب ريثما خف الازدحام ثم اشتريت ثمانية أرغفة وصعدت الى سيارتي. أعطال سيارتي ليست وليدة اليوم بل عمرها مئة سنة! تعبت أكتافي لكثر ما أدرت (السلف). يا الهي هل كتب علينا نحن الكورد أن نقضي حياتنا في البرم والتدوير؟ نبرم اليشماغات، نبرم لفافات الخصر، نبرم لفافات السيقان، نبرم الفطائر المحشوة. وفي حياتنا لا نكف عن البرم ونحن نستعمل آلاتنا وحاجاتنا: تبديل ملف سخان الماء يحتاج الى برم. تغيير المصباح، تبديل الماسحة، تبديل مضخة الزيت، تشغيل السِلف.. البرم صار مثل الخبز والماء والهواء عند الكورد. أدرت السلف

مرة أخرى، لكن المحرك ظل على عناده. أخرجت موبايلي واتصلت بولدي (رَوَند) فوصل الي بعد دقيقة واكتشفنا أن مضخة الزيت معطوبة! يا الهي العزيز، متى تحل هذه الأعطاب عن خناقي؟ عطب المصباح، عطب السخان، عطب مضخة الزيت. ماذا بقي دون عطب يا تعيس أفندي المحترق الأوراق! كان روند يحتفظ برقم موبايل واحد من مبدلي مضخات الزيت المتنقلين فاتصل به. جاء صاحبنا بعد عشرين دقيقة وأخرج لنا عدة أنواع من المضخات وبين لنا أن النوع الأصلي من الدرجة الأولى يكلف سبعين ألفا مع أجرة التبديل، والنوع المتوسط بستين ألفا بينما لا يزيد الأقل جودة عن أربعين ألفا. اتفقنا بعد الأخذ والرد على أن يركب لنا النوع الأصلي بخمسة وستين. استغرق عمله نصف ساعة كان يواصل خلالها التغني بمضخته ويقول:

-**"هذا النوع أصلي رقم واحد ولا يتوفر عند أحد غيري."**

هذه هي الجمعة التي يفترض فيها ألا أغادر البيت، لكننا لم نعد الى البيت إلا قرب الساعة الثانية ظهرا!

عبد الرحمن فرهادي

شكيب خرخاشه

كان شكيب خرخاشة موظفاً حكوميا ذا منصبٍ مرموق. إنه رجل غليظ العنق، مربع الرأس، ذو أنف أفطس يشبه أنف الكبش وأذنين كأنهما دفّين وشفتين ثخينتين وشعر وحواجب وشوارب مصبوغة على الدوام. أما هذا الاسم فقد أطلقه عليه أصدقاؤه لأنه كان مغرماً، أثناء وجوده في البيت، بملاعبة أحفاده (من بناته الثلاث) بالخرخاشة.

كان لشكيب ثلاث بنات زوّجهن جميعا ليفرغ المنزل الكبير له ولزوجته (مامز). هو شخص متنفذ، علاقاته واسعة مع كبار المسؤولين، ينقل خطواته في الليل من هذا الوزير الى ذاك المسؤول الحزبي الرفيع. تجده صباحا في مكتبه الحكومي، لكنه يتوجه عصرا نحو مقرات الحزب حيث يتصدى لأنواع الأحاديث السياسية وتعلو ثرثراته على كل الأصوات.

لم يبق لـ"شكو" سوى اسبوع واحد قبل أن يحال الى التقاعد حسب قرار البرلمان لأنه سيتم الثالثة والستين. مسألة التقاعد هذه أزعجته وأقضّت مضجعه، فلقد كان (برغم امتلاكه لتسع عمارات كبيرة في (الشارع الستيني) بأربيل والدخل الذي يأتيه رأس كل

شهر من صفوف الدكاكين التي يؤجرها للناس في (مدينة الأحلام) إنساناً شحيحا بخيلا لئيما طماعاً يعض على النقود بأسنانه، حتى إنه، إذا ما اضطر يوما الى إنفاق مبلغ تافه من المال، يظل حتى الليل حزينا مغموماً متفكرا كمن يحمل هموم الدنيا على كاهله

وهكذا، وبدلا من أن يشعر بالراحة لتحرره من أعباء الوظيفة، وبدلا من أن يتفرغ لقضاء حياته الطبيعية أسوة بكل البشر، ضاقت الدنيا به. لقد كان إنسانا لا يعرف الشبع، ولذلك لم يبال بمشقة الساعة الكاملة التي كان عليه إنفاقها كل يوم للانتقال من بيته الى دائرته، بل ظل يفكر بطريقة لتمديد خدمته لسنة أخرى، الأمر الذي يقع ضمن صلاحيات رئيس الوزراء الذي لم يلبث أن حصل على موعد في مكتبه وحظي بمقابلة جنابه وترجاه أن يمدد له خدمته لسنة إضافية خلاف باقي الموظفين، فرفع رئيس الوزراء قلمه على الفور وكتب على قصاصة ورق أمراً باستثنائه من القانون وإعادته الى دائرته.

في صباح اليوم التالي، وقبل الذهاب الى عمله، قرر شكيب خرخاشة أن يدعو جميع موظفي دائرته الى جلسة شراب في الهواء الطلق، وما أن حل العصر حتى ملأ صندوق سيارته بقناني العرق والويسكي والبيرة والفودكا، لكنه، وكما اعتاد أن يفعل

من زمن طويل، أتفق مع محاسب الدائرة المدعو بابكر (وهو المتواطئ معه على الدوام في أمور المال والإنفاق) على أن يسجل تكاليف الطعام والشراب في فواتير الاحتياجات الضرورية للدائرة!

وهكذا أمضى شكو وأصدقاؤه وبصحبة عدد من المسؤولين يوم الجمعة التالي في نزهة سعيدة بأحضان (كورداوه) وراحوا يعبون الكأس تلك الأخرى بأفواهٍ لا تتوقف عن النقاش وترديد أغلظ الأيمان بتراب كوردستان المقدس وأرواح الشهداء والمواقف الرجولية النزيهة ضد الفساد والفاسدين!

والتحق شكو بالدوام. وفي اليوم الثالث بعد رجوعه لعمله اصطدموا في طريق عودتهم بسيارة حمل وأصيب شكو بجراح بليغة فقرر الحزب ورئيس الوزراء ارساله الى ألمانيا لغرض العلاج، لكنه وهب روحه من أجل تراب كوردستان الطاهر بعد أسبوع واحد من إدخاله الى إحدى مستشفيات هانوفر فقررت الحكومة إدراج اسمه في قوائم الشهداء ومنحت زوجته لقب زوجة الشهيد!

بعد أسبوع من إقامة مجلس العزاء اعتلى أصهار شكو الثلاث خشبة المسرح واتفقوا بيسر ودون عناء على كيفية توزيع واردات

الدكاكين والعمارات وقرأوا الفاتحة مع الصلوات على روح المرحوم ثم قرروا إقامة مولود نبوي كبير في جامع جليل خياط يدعون اليه كبار القوم وأشراف أربيل وما حولها. آه، ليت شكو يقوم من قبرة ويتفرج عليه!

عصمت محمد بدل

الـفـخ

لم تبقَ غير مائة خطوة كي يصلَ الى مقصده. أفكاره تتضارب وتذهب كل مذهب، ثم تثبت أنظارُه باتجاه واحد وتشرع قدماه الخفيفتان مثل السنجاب باجتياز تلكم الخطوات المائة، وتدنوان من باب البناية التي يجتمعون فيها، كان قد هيأ كل شيء في ذهنه، واختار كلماته كلها،وتدرب عشرات المرات على طريقة تقديمها؛ فاليوم هو دوره في إلقاء محاضرته أمام رفاق الدرب.

مضى زمن طويل وهو يستعد للأمر. قلّبَ العشرات من الكتب والجرائد والمجلات حتى يتمكن من تقديم محاضرة قيّمة ينير فيها بعض الزوايا والثغرات المعتمة في مسيرتهم المقدسة، ويقترح خلالها طرقاً جديدة في أساليب النضال. هو يدرك أنها فرصته الذهبية كي يحزم أمره ويتخلص من تردده هذا. إنه يشعر منذ بعض الوقت باغترابه عن هذه المجموعة، وكان يجد نفسه، في بعض الأحيان التي يطرح فيها رفاقه مثل هذه المواضيع، المنصتَ الوحيد، ويشارك أحياناً في المناقشات. ولقد أفاد، خلال إعداده لموضوعه، من كل تلك المواضيع والمناقشات التي دارت حولها.

لم يكن، في كثير من الأحيان، يتفق في مداخلاته مع آراء وأفكار العديد من رفاقه؛ الأمر الذي عرّضه للعتاب واللوم. إنهم أناسٌ متصلبون، ينظرون الى نصوص القادة بتقديس مطلق، ويحفظون كلماتهم مثل قوالب يابسة ويرددونها بمناسبة ودون مناسبة. لكنه، في محاضرته التي أعدها وسيلقيها اليوم، لن يستشهد بنصوص من أحاديث أي من القادة، فكل ما كتبه عصارة لفكره الحر، بعد فهم متعمق للأوضاع وقراءة للكثير من النظريات والمعلومات. إنه يدرك مقدار الدهشة التي سيسببها لهم. ولا يستبعد اتهامهم له بالانحراف عن خط التنظيم المقدس ولا إدانتهم له بالخيانة، ولكن فليكن ما يكون. إنه، من الآن فصاعداً، لن يتبنى إلا ما يؤمن به، وهو مؤمن بأن مسيرتهم سيكتب لها النجاح عندما يفكر الجميع بطريقة متحررة لا يحدّها إطار إلا استعادة كرامة الإنسان وإقرار المساواة والعدالة الاجتماعية والقضاء على الظلم والجور بجميع أشكالهما.

خلال إعداد محاضرته وكتابتها كان ينصهر معها، فتنهمر الدموع من عينيه أحيانا، ويغمره التفاؤل أحياناً اخرى فيرى نفسه متربعاً في صدر الديوان وأوراقه في يده وهو يتلو منها بإلقاء معبّر وصوت كله لهفة وحماس، فيذوب رفاقه هم أيضا مع صوته، فقد

استخدم كل الأدوات البديعية للغة والكثير من الأمثلة المناسبة لواقع الحال كي يتمكن من التأثير فيهم ويقنعهم بآرائه.

في تلك الخطوات القليلة التي تفصله عن موعد الاجتماع الأسبوعي السري كان يضع في ذهنه اللمسات الأخيرة على كلمته التي ركّز فيها كثيراً على رسالة السلام والابتعاد عن العنف واحترام كل الآراء والمعتقدات وحماية حقوق الانسان، تلك المبادئ التي لم يكن الكثير من رفاقه يولونها اهتماما، فقد كانوا على يقين بأن أفكارهم ومبادئهم ومعتقداتهم هي وحدها الصحيحة وأما ما يخالفها فهي مخطئة من الأساس ولا ينبغي إفساح المجال أمامها. إنه ليجد نفسه في كثير من الأحيان متباينا عنهم، وهم أيضا كانوا ينظرون اليه في اغلب الأحيان نظرة ملؤها الشك والريبة، حتى أن بعضهم كان يمقته ويطالب بطرده، لكنه كان واثقاً من قدرته على تحويل دفة التنظيم نحو الأهداف العظيمة التي تأسس من أجلها، إنه اليوم مفعم بالأمل في قدرته على إقناعهم بآرائه عن طريق ما سيسوقه في كلمته المؤثرة المعززة بالأدلة القوية المقنعة، وإلا فإنها قد تكون آخر مرة يأتي فيها، إذا لم يجد في عقولهم شيئاً من المرونة.

خطواته تدنيه من الباب. السماء آفلٌ قمرُها، النجوم غائرة خلف الغمام، وصمت مخيف يجثم على المدينة، الأزقة مقفرة، إنه ينظر

في كل اتجاه فلا يلفت نظره شيء مريب، وها هو مثل كل اللقاءات الأسبوعية السابقة ينظر الى هندامه، يقف عند الباب، يتطلع الى ما حوله من جديد، ثم يطرق الباب أربعة طرقات ذات إيقاع خاص، وتمضي لحظات قلائل لكنها مثل عبءٍ ثقيل، ثم يفتح الباب ولكن ليس بسرعة وصمت ودون تأخير كما في كل مرة. إنه، في هذه المرة، يتأخر ويتراخى ويصحبه لغط وضجيج. الرجل الذي يفتح الباب لا يشبههم في شيء، إنه يلف وجهه بكوفية لا يظهر من خلفها سوى عينيه. ينتابه الارتباك ويفكر في أنه قد يكون أخطأ البيت، يلتفت من جديد وينظر الى الباب.

-"**خيرا؟ ماذا جرى؟**" يقول لنفسه "**حتى لو كان هذا عضواً جديداً فلا بد أن يخضع للترتيب المتفق عليه ولا يسمح له بفتح الباب. أيحتمل أنني أخطأت في يوم الاجتماع؟ كلا. لا أظنني أخطئ في أمورٍ كهذه**".

يلبث لحظات أخرى أمام الباب، واجماً، متيبساً دون حراك. يخاطبه صاحب الكوفية بصوت يحاول أن يجعله هادئاً:

-"**تفضل، الرفاق بانتظارك**"

سكن روعه قليلاً، لكن الشك لم يبرح قلبه، فكر في التراجع والفرار، لكن كان عليه أن يعرف شيئاً:

-"من أنت؟"

لم يشأ أن يطرح هذا السؤال، لكنه فعل، وسرعان ما ندم على ذلك. كان عليه أن يتخذ قرارا أما بالدخول أو النكوص على عقبيه، لكنه اختار الدخول. الباحة خاوية، مظلمة، ليست بالترتيب المعهود. أمسك خوف عظيم بتلابيبه. أسرع صاحب الكوفية بإغلاق الباب وجاء في أثره، حثه على التقدم وفتح له باب الغرفة:

-"تفضَّل"

دخل الغرفة، كان هناك ما يقارب تسعة الى عشرة من الرجال. كانوا هم أيضا ملثمين ومنتصبين على أقدامهم. جفَّ ريقه وتساءل مع نفسه:

-"أيمكن أن يكون هؤلاء أصدقاءه وقد لفوا وجوههم، عجيب"

حاول أن يستجمع رباطه جأشه وأن يسيطر على أقواله وأفعاله فبدأهم بالسلام:

-"مساء الخير"

وجاءه الرد بهجوم مفاجئ: أوثقوا يديه ورجليه وفمه وعينيه، ثم لم يعد يشعر بنفسه!

عصمت محمد بدل

المتمرد البريء

كنتُ حاضرا في الصف بجسدي فقط، لكن خيالي كان يحلّق بي من عالمٍ مليء بالصور الجميلة الى عالم آخر، يسرقني من دنياي المظلمة الى دنيا من السعادة، لم أكن أشعر بالدرس وصياح المعلم ولا أشعر بأنني في غرفة الصف، حانت مني نظرة الى "شيمو" الذي يجلس متقدماً عليَّ بثلاثة صفوف، تذكرت ما قام به قبل بضعة أيام عندما أخذ يسير خلف المعلم ويصفق بيده دون صوت. تلك الذكرى السخيفة جعلتني أقاوم بالكاد رغبة عارمة بالضحك، لكن ابتسامة صغيرة ارتسمت على شفاهي رغماً عني، فإذا بالمعلم يراني فيرفع خيزرانته من فوق الرحلة الأمامية ويسرع نحوي والشرر يتطاير من عينيه ليصرخ بوجهي في غضب:

-**"لماذا تضحك؟"**

تغير لوني، وانعقد لساني وجف ريقي "كيف سأخبره بسبب ابتسامي، لسوف يضربنا أنا وشيمو حتى الموت، كيف أقول له إنني ابتسمت بسبب شيمو ورقصه من خلفك عندما وليّتنا ظهرك وتوجهت نحو السبورة"

-"قم وافتح كفيك"

فتحت كفّي الاثنتين، أمسك كفي اليمنى وقلبها وجها لظهر ورفع عصاه ثم هوى بها بكل قوته. صحت متوجعاً وحاولت أن أسحب كفي الصغيرة الباردة من كفه الكبيرة الدافئة، لكنه صار يضغط عليها بقوة أكبر ويواصل التعذيب، وغرق التلاميذ في صمتٍ قاتل، وحوّمَت الرهبة والخوف فوق رؤوسهم مثل مخلوقٍ خرافي. لم يكن بيدي حيلة غير أن أتضرع إليه:

-"ناشدتك الله يا سيدي، سامحني هذه المرة يا سيدي"

-"يجب أن تخبرني لماذا تضحك"

وتدافعت في عيني الدموع، وغص حلقي بالنشيج، ومضيت في توسلاتي دون فائدة "ماذا أقول له؟ كل ذنبي أن خاطراً طفوليا مر برأسي فابتسمتُ دون إرادة مني" في هذه الأثناء وبينما هذا الجَرُّ والعزّ في ذروته، طُرِق الباب ثم فُتح على الفور، وظهر المدير الذي كان يمر قريبا من الباب وسمع آهاتي فدخل الصف. ورغم أن دخوله أنقذني من المعلم لكنني سرعان ما وجدت نفسي في غرفته متهماً خائفاً. نزل المدير عليّ بكل ما يعرف من شتائم وسباب وأنا منكس الرأس أحاول أن أبحث دون جدوى عن مبرر لتصرفي البريء، لكنه لم يُتِح لي فرصة فلم أنبس ببنت شفة.

امتلأ قلبي بالحقد، تمنيت في تلكم اللحظة أن أنقلب الى واحد من أبطال الأساطير التي كان جدي يرويها لنا، أن أتحول الى سوبرمان وأجرجره من رقبته، لكن رنين الهاتف أنقذني من شتائمه فقال لي:

-"إذهب الى البيت ولا تعد الى المدرسة إلا بعد حضور أبيك"

سررت كثيراً لتخلصي من هذا الموقف الكريه فتراجعت وفتحت الباب وخرجت، لكنني، وأنا أهمُ بإغلاقه، أبصرت المفتاح. أوصدتُ الباب وخطرت في ذهني فكرة شيطانية "**فلأنتقم لنفسي!**" مددت يدي الى المفتاح وأدرته في هدوء مرة ومرتين ثم أخرجته وأخفيته في راحتي، لم يكن الفراش، لحسن الحظ، قريبا من الباب. كنت أعرف أن السيد المدير منشغل بهاتفه، فأطلقت ساقيّ للريح متجها نحو باب المدرسة الخارجي، شعرتُ بأنني سجينٌ صدر أمر إطلاق سراحه. حين بلغت رأس الشارع أحسست، برغم تيار الهواء البارد، بحرية لذيذة، يداي متحررتان، لا كتاب ولا حقيبة، زدت سرعتي، وصلت الى رأس الجسر، أشرفت على النهر وقذفت المفتاح من يدي التي كانت مطبقة عليه. أخذت نفسا عميقا ثم أطلقته بعمق، وقعت عيني على الخطوط الحمر على ظاهر كفي. مضيت في مسير أشبه بالرقص. في الطرف الثاني من الجسر، على جانب الشارع ثمة حديقة دون عشب أو أزهار،

تراكمت فيها الأزبال، يلعب فيها عدد من الأطفال المقاربين لي في العمر. دلفت اليها ودنوت منهم وأخذت ألعب معهم. لم أفكر ببيت ولا مدرسة، أردتُ أن أنسى كل شيء، أن أعيش حرا ولو لبرهة وجيزة. قال لي أكبر الأطفال:

-"يبدو عليك من ثيابك أنك تلميذ"

-"ها.. نعم.. كنتُ تلميذا، لكنني تركت!"

صاح الجميع معاً:

-"هي ي ي مبارك عليك!"

بقيت معهم حتى وقت متأخر، ثم تذكرتُ أمي فسرت الى البيت، حين وصلت كانت الشمس توشك على المغيب، ورأيت أمي جالسة عند الباب وهي تبكي.

-"لماذا تبكين يا أمي؟"

رفعت رأسها وقامت وهوت على وجهي بصفعة من يدها اليمنى.

-"أين كنت يا ولد؟ لقد مت من الخوف. ظننت أن مكروهاً قد أصابك"

انخرطتُ في البكاء، لكنها ضمتني الى صدرها وأدخلتني الى البيت، غير أن بكائي ازداد وأنا على صدرها، ثم زال عني الخوف والحزن:

-"أين كتبك؟"

-"في المدرسة"

-"وماذا تفعل هناك؟"

-"المدير طردني"

-"لماذا طردك"

-"لأنني ابتسمت أثناء الدرس. أنظري: ضربني المعلم بالعصا"

وأريتها الخطوط الحمر على ظاهر كفي ثم قلت:

-"دخل المدير الى الصف وأخذني الى غرفته وأمرني بإحضار أبي وإلا لن يسمح لي بالدوام. لم أقل له أنني دون أب"

ورأيت حزناً عميقاً يرتسم على وجه أمي.

في اليوم التالي، وعندما أيقظتني أمي، كنت أحلم بأنني تائه، رأيت رجلاً وجهه يمطر بالحنان، كانوا ينادونه "يا أبتاه" فأخذت أنا أيضا أناديه "يا أبتاه"، ضمني الى صدره وأخذ يقبلني ويقدم لي

هدايا جميلة. فتحتُ عيني، كانت أمي تقبل وجهي، رفعتني واحتضنتني:

-"**انهض يا ولدي وتناول إفطارك، ستذهب الى المدرسة**"

فركت عيني وأجبتها:

-"**قال لي المدير لا تأتِ إلا إذا حضر أبوك**"

-"**انهض، أنا سآتي معك**"

لم أجرؤ على إخبارها بقصة المفتاح. مضيت معها.. وكنت طوال الطريق أشعر بأنني أتوجه نحو السجن من جديد!

عصمت محمد بدل

وأنا أيضاً أحلقُ كالطيور

كانت لي يدان، كانتا جميلتين صغيرتين ناعمتين. لم استخدمهما يوماً في عملٍ شاق، فأنا الأخ الأصغر، أنا مدلل أمي وأبي وأخوتي وأخواتي. لم يكن أبي يصطحبني الى البستان أو يكلفني بعمل ما، وإذا ما حدث وأخذني معه فلأجل المتعة واللهو، فهناك أيضاً لم أكن افعل شيئاً غير اللعب. كنت أقضي أيامي في مدرسة القرية الصغيرة أو داخل البيت أو خارجه مع بقية الأطفال. كل أعمالي ومشاغلي كنت أنجزها بيديَّ الجميلتين: كنت آكلُ بيديَّ، أمشط بهما شعري، أكتب بهما دروسي، وبهما أتصارع مع رفاقي وألعب. نعم، كنت أنجز بهما كل أعمالي. كنت أحيا في سعادة وسط أمي وأبي وأخوتي وأخواتي وأخرج الى اللعب مع أصدقائي، لا هموم عندي، لا أحزان.

وفجأةً اندلعت الحرب في بلادنا. لم نعرف، نحن الأطفال، سوى أنها الحرب. من المتحاربون؟ لماذا يتقاتلون؟ كان الخوف الذي نراه في عيون الكبار يصيبنا بعدواه أحياناً. لكننا، لفرط براءتنا، واظبنا على الخروج كما في الأيام المعتادة، فنتجمع في القرية أو حولها لنمارس ألعابنا.

أخذت الحرب آباءنا، أخذت أخوتنا الكبار، أخذت أعمامنا وأخوالنا، ضيّعت آثار بعضهم، قتلت بعضهم وأسرت بعضهم. طالت الحرب واتسعت دائرتها. اقتربت من منطقتنا، ثم من قريتنا، زرعوا أطراف القرية وأنهارها وأزقتها بالألغام. حاصرونا في قرانا، حبسونا فيها. أصوات المدافع والطائرات أطارت النوم من أعيننا وزرعت الخوف في قلوبنا. لكننا نحن الأطفال حاولنا أن ننأى بأنفسنا عن كل هذا. وحين يخفت هدير الحرب بين فترة وأخرى كنا نعصي أوامر آبائنا وأمهاتنا بالمكوث في المنزل ونجدها فرصة سانحة للخروج وسط القرية أو أطرافها أحياناً لنمارس ألعابنا وننسى رعب الحرب ونقضي أوقاتنا كما نحب.

كانت لي يدان، وبهما رفعت ذلك الجسم الغريب الذي يشبه اللعبة. لم أعرف ما هو. أصدقائي أيضاً لم يعرفوا ما هو، لكننا تعاركنا عليه، أخذتُهُ وهربت، لكن صوتاً هادراً مزق طبلتي أذني. أغمي علينا كلنا، وحين عدت الى وعيي وجدت نفسي راقداً في سريرٍ وقد لُفَّ جسدي كله بالقطن والضمادات البيضاء. تمكنت من رؤية خاصرة أمي فوق رأسي، أردت أن أمدّ يديّ اليها لكنهما لم ترتفعا. كنت أشعر بهما، اشعر بوجع شديد فيهما، وجع يتصاعد كاللهيب. لكنهما لم تتحركا. أردت أن أنادي أمي، لكن صوتي اختنق في حنجرتي.. وامتلأت عيناي بالدموع.

انهمرت قبلات أمي على جبيني، كانت تخنق بكاءها، وتصلّب أجفانها. أردت أن احضنها بيديّ الاثنتين لكنهما لم ترتفعا. أردت أن أنهض على قدمي لكنني عجزت عن تحريك جسدي المثخن بالجراح. كنا نلعب في أطراف القرية. أبصرنا ذلك الشيء الأخضر الغريب اللامع تحت الشمس. لم يعرف أحد منا ما هو، لكن كل منا انطلق راكضاً نحوه كي يسبق الآخرين ويضمه الى ممتلكاته. حين وصلت اليه قبلهم، لسوء حظي، ابصرت شيئاً غريباً مثل جناحين بينهما أنبوب. وقفت أمامه ولم أمد له يدي. وصل رفاقي ، كل واحد منهم قال شيئاً، لكنهم أخطأوا جميعاً. عندما رأوا انني لم المسه لم يجرؤوا على لمسه. ثم وصل (نيزو)، ليتك لم تأتِ يا نيزو، لا أعرف من أين أتيتَ في تلك اللحظة:

-"إب..إببب تتتعدوا.. لا تتت لمممسسـ..."

ظننت أن نيزو الذي يكبرنا ببضعة أعوام، سيدّعي امتلاك ذلك الشيء الغريب ويستأثر به، فلم انتظر حتى يكمل كلامه. أحطت ذلك الشيء بيدي ورفعته عن الأرض وهربت، ولاحقني الجميع.. لكن لم تمضِ سوى بضع ثوان حتى أظلمت الدنيا بعيني. أصدقائي أصيبوا كلهم بجراح مختلفة لكن لم يفقد أحد منهم يديه، لم يخسر أحد عضواً من جسمه. أنا وحدي فقدت يديَّ الصغيرتين الجميلتين البيضاوين؛ واحدة من تحت المرفق والثانية من فوق

المرفق. أصبت في جبيني كذلك، لكنه شفي الآن. ليتني فقدتُ يداً واحدة فقط كي أتمكن من تمشية أموري باليد الثانية، كي أكتب دروسي بها، كي ألعب بها، كي أحك جسدي بها.

بعد فترة، حين التأمت جراحه، زارني نيزو في المستشفى بمعية أمه. وتحدث من جديد بلسانه المتأتئ:

-"أرررردتُ أننن أأأ قول لكم لاا تمددددوا يدكم اليه. إنننننه لغم، لكننكم لممم تننننتظروني!"

يوم أخرجوني من المستشفى وأعادوني الى المنزل انقلب البيت الى مجلس عزاء. بكت أمي وأخواتي وخالاتي وعماتي. تألمت لحالي كثيراً؛ كيف سأتناول طعامي؟ كيف أكتب دروسي؟ كيف أذهب للمرافق؟ كيف أغتسل؟

تنتهي الحروب ثم تبدأ من جديد. تأخذ منا الكثير من أحبتنا، تفسد حياتنا، تحيل أفراحنا مآتم وأحزان، تنزع آباءنا، أخوتنا الكبار، أعمامنا وأخوالنا، ثم تجهز علينا. أخذت الحرب أبي، تركتني دون يدين، حرمتني من الدراسة، بددت أحلامي.

كانت لي يدان. ما زلت أذكر كيف كنت أكتب دروسي بهما، أمشط شعري بهما، وأقوم بأعمال كثيرة. لكنني اضطررت أن

أدرب نفسي شيئاً فشيئاً على إنجاز كثير من أعمالي بواسطة قدميّ، وأن أواصل حياتي وأتكيف مع وضعي الجديد.

كانت لي يدان. لكنني الآن موقن بأن يديَّ، أحلامي، والكثير الكثير من الأشياء الأخرى غدت ضحايا لأهواء الكبار الوحشية الجنونية. ما زلت للآن أخرج مع أصدقائي، طفلاً دون يدين. انظر اليهم، أنظر الى أيديهم، أرى نظراتهم المشفقة نحوي، لكنني أحاول تجاهل الأمر، أحاول أن أتصرف مثلهم، ألعب مثلهم، أضحك مثلهم، أنظر مثلهم للحياة، وأعلل نفسي بالآمال.

في منحدر التلة المجاورة لقريتنا يرفع الصغار أيديهم الى الجانبين، يمدونها على طولها ويركضون، ينظرون للطيور، يحاولون التحليق مثلها فأنسى نفسي، أركض مثلهم، أحس بيديَ تتحركان، ترتفعان.. أطير مثلهم كما الطيور!

فاضل عمر

مقتل قاص عجوز

في بداية كل قصة يقوم كاتبها بتعريف أبطاله، عبر رسم شخصياتهم وآراءهم وأفكارهم وتقديمهم للقارئ. لكنني أنا بطل هذه القصة، وأظن أنكم، كما الآخرون، تعرفونني تمام المعرفة وتدركون جيداً أهميتي وأهمية دوري في الحياة، لذا لا حاجة لي، بأي شكل من الأشكال، الى تقديم نفسي. أما من يفكر منكم بأن تعريف البطل قد يكون ذا فائدة لقراء المستقبل فأقول له:

-"كن مطمئنا فأنا هو المستقبل.. لسوف يؤلفون الكتب عن حياتي وأعمالي ولن يخلو وقت في المستقبل من ذكري."

فلأبدأ إذن من ذلك اليوم في مقر الجريدة، حين نهضت بمساعدة عكازي. هب الجالسون في الديوان قائمين احتراما لي وابدى كل منهم محبته وعرفانه بطريقة أو بأخرى:

-"لا تحرمنا من زياراتك يا أستاذ!"

-"زياراتك تزيدنا شرفاً يا أستاذ !"

ورافقني الجميع حتى الباب الخارجي.

قلت لنفسي فلأقطع الطريق مشياً كي أتخلص من بعض الكولسترول. كنت في كل خطوة أخطوها أفكر بإحدى نتاجاتي وأعمالي وآثارها المستقبلية وأدير في رأسي مشروعاً جديداً:

-"من الضروري أن تظهر أعمالي على الانترنت وأن يطلع عليها الأوربيون.. غداً، لماذا غداً؟ سأشرع بذلك عصر هذا اليوم. ومع انتشار أفكاري واعمالي في العالم ستبدأ حقاً نهاية التاريخ!

على كل حال، مضيت صوب البيت في سرعة السلحفاة وأنا مستند على عكازتي الثلاثية. كنت أواجه مصاعب ومشاكل جديدة مع كل خطوة. فجأة، وأنا أعبر الجسر، تناهى الى سمعي ضجيج ثلة من الشباب. كانوا قادمين من الجانب المعاكس وهم منهمكون في دعاباتهم ونقاشاتهم الحادة. كنت ذاهباً وكانوا قادمين. توقفوا في منتصف الجسر وواصلت سيري..

كأنهم يدبرون شيئاً.

الشباب، فورة القوة البدنية.. وخمود العقل!

لكنني مضيت في طريقي متطلعاً اليهم وقد تصاعدت من عقلي حسرات على شبيبة اخرى.

-"لا تخطئوا فهمي. لا أقف عند رأس الزقاق في انتظار الفتيات، ما أطمح اليه هو أن أعيش بصحة أفضل لأجل المستقبل."

كنت ذاهباً وكانوا قادمين... فجأة وقبل أن يصلوا الي قال واحد منهم:

-"لولا الشيوخ لجرت كل الأمور على أحسن ما يرام!"

فقال الثاني:

-"أنظروا الى هذا. ما الذي سيفعله إن كان حياً أو ميتاً؟ أنه زائد على الدنيا ووجوده فيها مثل غيابه!"

-"يا جد!"

كنت على وشك أن أقول له:

-"يا عين جدك، ماذا تريد؟!"

لكن لساني لم يتحرك، وبقيت متفكراً في صياغة جمل مناسبة. إنهم متهورون سريعو الغضب، كأن ناراً تتأجج من بين أقدامهم. لم ينتظروا ما أقول، لم ينتظروا ردّي. انبرى الثالث قائلاً:

-"ما قولك في طيران البشر؟"

من الطبيعي لشخص مثلي أن يدرك ما وراء ظواهر الأمور، ففكرت على الفور باتخاذ موقف دفاعي، لكن أي الأسلحة هو الأفضل؟ .. سلاح الضعف والوهن، مع بعض النصائح.

-"يا ولدي العزيز. أين أنا وأين الطيران؟ أنا رجل عجوز لا أكاد أقوى على المشي. الطيران لكم أنتم الشباب."

ضحك الجميع وقال احدهم:

-"الجد يقول الحقيقة: نحن سنطير الى الأعلى وهو الى الأسفل!"

التفت الى الوراء: ما من أحد، ثم نظرت الى الأمام: لا أحد. يبدو أن الأمور تتجه نحو السوء!

-"أمضوا في طريقكم يا أولادي أصلحكم الله."

-"وهل أصلحنا غيره يا جد؟"

حاولت أن أتنحى كي أدعهم يمرون، لكنهم ضيقوا علي الخناق وأحاطوا بي من كل جانب. انتزع أحدهم عكازتي وهتف آخر:

-"كما تشاء. يمكنك أن تطير إن أحببت، ويمكننا أن نجعلك تطير."

تضرعت اليهم وحاولت أن أقنعهم بأنني رجل مهم وفريد، بأنني مشيّد مستقبلهم وبأنهم سيضيعون من دوني. لكن عبثاً. حملوني وألقوني من الجسر. في تلك الثواني التي استغرقها طيراني أبصرت بهتان مستقبلي ولا جدوى خدماتي وخواء هؤلاء الشباب. وانتصبت أمام ناظري وأنا أهبط قلعة من الكراهية والأحقاد، وقبل أن أرتطم بالأرض صحت بهم:

-"**أنتم أيضاً ستشيخون.**"

لكن ندائي ظل كما يبدو حبيس صدري ولم يشعر به أحد سواي!

فرات جوَري

نجمة تهوي من سمائنا

بعد انتهائي من مشاهدة برنامج تلفزيوني ارتقيت السلالم بنفس مثقلة وتوجهت نحو سطح المنزل. كان النوم على السطح أحد الأمور التي تقت اليها كثيراً خلال السنوات العشر التي مرت علي في اوروبا. في وطني كنت أعشق النوم على السطح وأحب أن أستلقي على فراشي كل يوم من العصر حتى انتصاف الليل، وأضع يديّ تحت رأسي وأروح أتأمل نجوم بلادي.

في تلك الليلة فعلت الشيء نفسه. فتمددت على سريري دون أن أنزع ثيابي ووضعت يدي تحت رأسي ورحت أنظر لنجوم السماء تحت هذا النسيم الخريفي الهادئ المنعش. ترى هل كانت سماء بلادي مزدحمة هكذا بالنجوم؟ ما أجملها من نجوم! ما أشد بريقها! في تلك البرهة فكرت بليلى والمجنون[١] وأبصرتهما، ثم وقعت عيني على درب التبانة، وتطلعت فيها. حدقت طويلا في ليلى والمجنون، منتظرا أن يتبادلا القبلات. لو كنت رأيتهما وهما يقبلان بعضهما لتمنيت أشياء أردت أن تتحقق لي. هذا ما كنا

---

١ إحدى التشكيلات النجمية التي سميت نسبة الى العاشقين المعروفين.

نؤمن به في طفولتنا على الأقل؛ كنا نبقى يقظين حتى وقت متأخر من الليل على أمل رؤية تلك القبلة ثم نغط في نومنا ونحن على تلك الحال. العجيب أنني في كل مرة أفكر فيها بأيام طفولتي ينتابني إحساس شبيه بإحساس طفل.

بريق النجوم في السماء يأخذني الى سنوات طفولتي. في تلك السنوات كنت أعجب بالأنوار الكهربائية لمدينة ميردين[1]. أتساءل يا أصدقاء إن كنتم بلغتم يوماً أطراف ميردين في الليل؟ إن ضياء المدينة في تلك الساعات لشديد الدفء، شديد الحميمية والوداد والمدينة تبلغ من الارتفاع ما يدفعك الى التفكير بأنها تزاحم نجوم السماء وتتحداها. كانت الدهشة تغمرني من هكذا سماء شاهقة دون عمد وكنت في تلك الأوقات مستعداً، لولا صوت أمي، للبقاء ساعات وساعات في ذلك العالم الخيالي قبل أن أعود الى دنيا الواقع

-"ألا ترغب يا ولدي بشرب جرعة من اللبن المخيض؟"

أجفلت من صوت أمي، تناولت من يدها وعاء اللبن الذي لم يذب ثلجه بعد واحتسيت منه عدة مرات قبل أن أضعه على الدكة

---

[1] إحدى مدن كوردستان تركيا.

الحجرية عند رأسي وعدت لأضطجع على ظهري وأتطلع الى السماء التي لا تحد ونجومها البراقة اللامعة حتى استسلمت للنعاس.

لم أعرف كم مضى من الوقت. استيقظت على صوت انفجار مزق سكون الليل وهدوءه، وحين أفقت تماماً اكتشفت ان النجمة التي تجاور ليلى والمجنون قد هوت الى الأرض.

...

في الصباح الباكر تناهت الى أسماعنا أصوات تهليل وتصفيق قادمة من بيت الجيران. سألت أمي فأجابت:

-"ثمة نجمة هوت من سمائنا، ابنة جيراننا التي كانت في سن الزواج سقطت شهيدة!"

...

ومع ارتفاع الشمس في كبد السماء غدت أصوات الفرح والتهليل أعلى وأعلى.

قَيران فرج

عقرب الله

جلس مطلاً على الشرفة، فوق حادلة السطح، دفع طاقيته الى الخلف وفرك جبينه، ظل يهز رأسه ويعضُّ على شفتيه، عين على المقبرة وعين على الحقل المربع وذيل البقرة.

المقبرة لأنه اليوم الأربعون بعد دفن أبيه، والحقل المربع هو ذاك الذي خلّفه أبوه، مع بقرة وحمار.

تاه في دوامة أفكاره، سحب كيس التبغ من محزمه القماشي ولف سيجارة. أربعون يوما مضت على موت أبيه، سيبدأ أهل القرية بالتذمر، إن لم يتحدث أحد فإن الملا سيأتي على ذكر الموضوع، ربما تحدث معي حوله قائلا:

-"لقد مات والدكم، أخوك قد كبر وبلغ الثامنة عشرة وآن الأوان لكي تعطيه حصته من الميراث."

آخ، أوخ! حين كان الوالد حياً كان الأمر والنهي بيدي، كان أخي مثل غلام تحت أقدامي. وماذا ترك الوالد لنا؟ حقلاً، بقرة، وحمارا! فيمَ بقائي في القرية إذا أعطيته الحقل؟! إذا أعطيته البقرة سيكون علي أن أسكت في المضيف ولا أقول بقرتي فعلت كذا

وكذا. وإذا أعطيته الحمار فإنني كمن يقطع يديه ورجليه، ماذا أقول لأولادي إذا صرت أباً في الغد؟ هل أريهم مِقوَده وأقول لهم كان هذا مقود حمار أبيكم، أو أريهم –إذا ذهبت البقرة– الوعاءَ الذي كان يوماً طافحاً بالحليب وأقول لهم: هل ترون هذا الوعاء؟ لقد كان في يوم مضى مليئاً بحليب بقرة أبيكم!

ولفَّ سيجارةً أخرى..

أفي هذه الظروف يظهر لنا الإخوان!! حقاً، ما الأخوةُ وما نفعهم؟

يا لها من بلوى حلّت على رأسي! ليته كان فتاةً فزوجتها لعريس يبعد سبع قرى! لكنتُ قبضتُ منه مهراً معتبراً ولأزداد ما عندي بدلاً من أن ينقص النصف.

أين أخو النبي عيسى؟ أين أخو النبي محمد؟ لو كنت أنا أيضا وحيداً لما ابتليت بوجع الرأس هذا، لما تعرضت لهذا النهب.

هذا ليس ذنبي. إنه ذنب أبي وأمي، كان عليهم أن يفكروا بمثل هذا اليوم.

ولف سيجارة أخرى..

لو فتحتُ موضوعَ القسمة فقد يصل الأمر الى ثياب أبي. ماذا أفعل عندها؟ أقول له لك القميص ولي السروال؟ ولمن ستكون تكة السروال؟! اعتصر عقب السيجارة بين أصابعه ودسّها بين شفتيه اليابستين وسحب دخانها الى أعماقه.

لسوف يقول البعض إن أباكم كان يملك مسبحةً جميلة! وماذا سأفعل حيالها: خرزة لي.. خرزة له.. خرزة لي.. خرزة له! حسناً، وماذا سنفعل برأسها؟ ينبغي أن تكون من حصتي، فأنا الأخ الأكبر، هذا حقي. لكن ربما أفتى بعض كبار القرية بأن عليَ أن أعطيه ثلاث خرزات إضافية تعويضاً عن الرأس! حسنا، وماذا أفعل بحذاء أبي؟ هل أعطيه فردة وأحتفظ بفردة؟

ولف سيجارة أخرى.

ورطةٌ لا مخرج منها! أنجدوني يا ناس فمصيبتي كبيرة، حملي ثقيل، وصبري قد نفد! كيف أستطيع النوم؟ كيف يعرف النوم سبيلا الى عيني؟

يوماً بعد يوم يزداد فتوّة وذكاء. لا أعرف، هل أشيعُ في القريةِ أن أخي قد جُنّ؟ فيسخر منه أهل القرية حتى يصبح مجنوناً حقاً؟ لكن من سيصدقني إذا قلت إنه قد جن؟ ليس فيه شيء من طباع المجانين.

حسناً، ثمة فتيات من القرية يسعين خلفك ويتحلقن حولك. أفلا تزلُّ قدمك؟ ألا تُخدَع يوما؟ أو يدفعك إبليس لتخدعَ إحداهن؟ ألست رجلاً ولديك مشاعر يا ولد؟ أما عندك "ذاك الشيء"!؟

أهٍ لو ندَّت صرخةٌ عن احداهن ورأتك القرية واجتمعت عليك! لأخرجتُ سيف الإمام علي من غمده وأقدمتُ عليك بكل غلٍّ وحقد وما سمحت لأحد بالاقتراب منك وفعلت بك، بيدي، ما لم يفعله رستم بن زال، إذن لتخلصتُ منك وأصبحت في نظر القرويين رجلا شهماً فاضلاً يخشى العار، وخرجت منها بوجهٍ أبيض. ولكن آخ.. لستَ رجلا كما يبدو!

ولفّ سيجارة أخرى..

حسنا. تورّطْ يوماً في عراك! خاطب قروياً بكلمتين قبيحتين. توجّه يوماً الى الوادي الذي تغتسل فيه النسوة ويغسلن الثياب، وحيث تتعرى بعضهن كمثل سمكة في الماء!

تعملُ من الفجر حتى الغروب، لا تتوقف للحظةٍ. ألا يتوقف قلبك مرة وأنت تتحرك هكذا؟ ألا تنزلق فقرات ظهرك؟ وحين لا يكون لديك ما تعمله تروح تنظف طريق القرية من الأغصان والحصى والحجارة. وأنت تقضي كل هذا الوقت بين الحشائش والأدغال، ألا يلدغك ثعبان ما؟ ألا يقرصك عقربٌ قاتل؟ وأنت

تقفز كالماعز الجبلي من هذه الصخرة لتلك، ألا تهوي يوماً من احداها؟ ليت هذا يحدث لكي أظهر أمام أهل القرية حزني على هذا المصاب، لأرضى بمشيئة الله وأقول هذا قضاؤه وقدره!

يداه تتحدثان وهزّات رأسه تجيب.

ولفّ سيجارة أخرى..

في حالك الظلام تذهب لسقاية الزرع وليس في سروالك ولو سكين صغيرة، ألا تقع يوماً بين أنيابِ قطيع من الذئاب؟ فلتجعلك الذئاب عريسا ويقمن حفل زفافك. تلك الذئاب التي تبقر بطون القرويين في وضح النهار.

ليت مصرانك الأعور فتَح عينيه مرة على وسعهما وارتفع صراخك كي أقول لك لا بأس عليك يا أخي، الأمر لا يستدعي دواء أو طبيب. إنه مجرد ألم سرعان ما يهدأ. حتى ينفجر مصرانك وتموت. آخ آخ، وهذا أيضا ليس في اليد!

كيف أقسم الحقل المربع نصفين؟ ستصبح حقول القرويين أكبر من حقلي بمرتين. وأي جانب من الحقل أعطيه وفي أحد جانبيه شجرتي جوز؟ ولو فرضنا أننا قسمنا الأرض، فكيف سنقسم

البقرة؟! من الأذنين أم من الضرع؟ والحمار، هل سيأخذه إذا صار من نصيبه، مع البردعة أم بدونها؟

ولفّ سيجارة أخرى..

أخ؟ هذا ليس أخاً. هذا عدوٌّ مبيّتُ ثأرٍ، موتور.

أنا راضٍ بأن أكون طالبَ ثأر ولا يكون لي هذا الأخ أو أتخلص من بلائه. ليت أحدهم قتله! أقسم بالله أنني سأقبّله، طائعا، من جبينه. سأقيم الدنيا وأقلبها بالطبع. سأذرف الدموع وألطم على رأسي كي يقول أهل القرية أن قلبه محروق على أخيه. وسيأتي الى بيتي رجالٌ يعرضون ديّةً كبيرة فأدعّي الغضب وسط الرجال، أصير أميراً، أسداً، أقول لن أترك ثأر أخي ولو على جثتي. إنه أخي، أخي. ليس حقلاً أو بقرةً أو حماراً، ولا سبحةَ يد. إنه ابن أبي وأمي. إنه دم مهجتي. قطعة من جسدي. لن تعيدوا لي أخي ولو وهبتموني مال الدنيا. ليتني قُتلتُ دونكَ يا أخي. ليتني فديتك يا أخي!

ولفّ سيجارة أخرى..

آخٍ آخ.. أين من يقتل لي هذا الشقيق العدو، كي أظهر لأهل القرية رجولتي وشهامتي!

بالأمس ذهبتُ الى مضيف كبير القرية. كررتُ على مسامعه ثلاثاً أن أخي يشتم ابنَك فلا تؤاخذه واحسبها عليّ! لم يسألني أين ومتى وكيف، كي أعمل على تأجيج غضبه، بل قال: إنهما صديقان وما يقولانه شأن يخصهما.

قلت لزينل حاذروا على اختكم كي لا تلومونني غدا، لكنه أجابني: بل حاذر أنت على أخيك كي لا تفتري عليه إحدى بنات القرية!

ولفّ سيجارة أخرى..

وظهر على الطريق صاعداً من أسفل القرية، يتقدم منحنياً وهو يزيح الأغصان والأحجار المتساقطة على الطريق، حِملٌ من الحطب على ظهر الحمار وهو يمشي على الأثر. وصل الى أسفل شرفة الدار وأنزل الحمل، وضع البردعة على كومة من الأحجار وربط زمام الحمار الى شجرة التوت، قدم له العلف ثم أمسك بالفأس وشرع بتقطيع الحطب.

ما زال الأخ الكبير جالساً فوق الحادلة غارقاً في دوامة أفكاره، مد يده الى كيس التبغ الملقى أمام قدميه كي يلف لنفسه سيجارة أخيرة مما تبقى فيه من تبغ. أطلق حسرة من أعماق قلبه. ليتني استطعت أن أمسك عقرباً أو صِلاً وتلبثتُ حتى سمعت شخيرك

المتعَب وتأكدتُ من أنك تغطُّ في سابع نومةٍ ثم دسستها في فراشك!

مدّ يده المرتعشة في قعر الكيس وراح يبحث برؤوس أصابعه في زواياه عن آخر حفنة من التبغ. آذانه مشرعة، عيناه مفتوحتان على آخرهما: عين على الفأس في يد أخيه الأصغر والأخرى تنظر تارة الى الجانب الظليل من القرية حيث الحقل المربع وتارة الى ذيل البقرة وبردعة الحمار.

فجأة نفض الكيس من يده فملأ غبار التبغ المحرق عينيه، كان عقرب أسود قد أطبق على سبّابته وأنشب نابه في ذلك الوريد الغليظ.

مع صيحة استغاثته هوى من الشرفة العلوية وارتطمت مؤخرة عينه اليمنى بحجارة الموقد.. تلك التي تربع فوقها وعاءُ الحليب!

كوثر شوكت

قبل الرجوع الى المحجر

كانت مجنونة غير عادية. قطعت الأزقة كلها على قدميها دون أن ينتابها الإعياء. بحثت عن بيتها حتى وصلت الزقاق الصحيح فتوقفت هناك وراح عقلها الصغير يتساءل إن كان هذا المنزل الذي وقفت قبالته هو بيتها أم لا!

هربت من المحجر منذ نصف ساعة، عندما كان الجميع؛ بدءاً بالمدير وانتهاء بالحرس يتفرجون بأعين مفتوحة على آخرها على الاجتماع ذي الرقم لا أدري كم. ما كانوا يشعرون بما يدور حولهم. أمنيتهم الكبرى في تلك اللحظات كانت وصول المجتمعين الى نتيجةٍ ما، أن يتفقوا كي ينقذوا البلاد من هذه الأزمات ويريحوا الناس.

هي واحدة من مجانين هذا المحجر. وجدتْ في هذا الهرج والمرج فرصتها السانحة للهرب فلم تتأخر؛ استجمعت كل ما تملك من عقل وركزته على إيجاد طريقة للفرار. لم تكن تلك الاجتماعات وما يصاحبها من هرج أهم عندها من الهروب. لا يعنيها وصولهم الى اتفاق من عدمه؛ ليست تاجرة كي تؤثر الأزمات على عملها، وليست معلمة تنتظر راتبها مرة كل ثلاثة

أشهر![1] همّها الأكبر كان ألا تتدلى خصلات شعرها على عينيها وهي تجري، وكيف تشد بأسنانها على أذيال ثوبها كي لا تعيقها عن الاسراع في الاختفاء عن الأعين.

من خطواتها العجلى والتفاتها الدائم بين مسافة وأخرى يستطيع المرء أن يعرف أنها تريد أن تنقذ نفسها من تلك الجدران الأربعة وأن لا تقع بين أيديهم من جديد. كانت تخشى أن ينتهي الاجتماع سريعاً ويراها أحد الحراس ويكتشفوا فرارها ويبدأوا بالبحث عنها كي يرجعوها الى تلك الحجرة حيث ترغم على سماع خطابات الأطباء وأحاديثهم.

مع كل خطوة تخطوها كانت تحدث نفسها:

-"واو.. هل مرّ كل هذا الوقت منذ أن فقدتُ عقلي؟! هل انقضى كل هذا الزمن مذ فقدت إحساسي بالأشياء حتى لم أعد أعرف سبب هذا الحزن والصمت والسأم الذين خيّموا على البلاد؟"

---

[1] إشارة الى الأزمة المالية الطاحنة في إقليم كوردستان التي بدأت عام ١٩١٤ وأثرت على رواتب مئات الألوف من الموظفين والمتعاقدين.

وصلت الى باب دارهم القديمة وهي غارقة في تلك الأفكار. وقبل أن تنظر الى الباب وتمد يدها الى الجرس أبصرت قطعة قماش خط عليها: الدار للبيع!

وتنازعتها الشكوك، لم تعرف ما جرى! واقتربت على مهلٍ وهي تومئ بحركاتها المجنونة الغضبى نحو الدكان المجاور للبيت. لم يشعر الحاج العجوز بمقدمها فقد كان هو الآخر منشغلاً بالتفرج على الاجتماع الخماسي! وسألته بكلمات متقطعة خرجت بصعوبة من فمها المتعثر:

-"أين بيتنا؟ لماذا هو خالٍ؟ لماذا بيتنا معروض للبيع؟"

وأجابها الحاج:

-"أهلُكِ كلهم هاجروا عن طريق التهريب!"

انتابها غضبٌ شديد، واستدارت بسرعة ودخلت البيت وهي تناجي نفسها:

-"وهل صارت البلاد ناراً كي يفروا منها؟!"

وكما لو أن الوضع السياسي ألقى بثقله على المرأة المجنونة، سارعت فور دخولها الى التلفزيون وضغطت على زر الكهرباء

فأضاءت الشاشة: إنها واحدة من القنوات الاخبارية، ولهذا شرع المذيعون من فورهم بقراءة الأنباء:

-"انتهى الاجتماع دون التوصل الى نتيجة، وقررت الأطراف الخمسة تأجيل الاجتماعات الى وقت آخر!"

وقبل أن تعرف إن كانت تلك الأخبار سارة أم محبطة، دخلت غرفتها فوقعت عيناها على السلاسل المربوطة الى السرير، وتذكرت جنونها وقيام أخيها بضربها وربطها وحبسها لأشهر طوال عندما عرف باتصالاتها الهاتفية مع حبيبها في الجامعة.

لم تتحمل النظر الى تلكم المشاهد فهرعت نحو الباب.

من يومها لم يُسمَع عنها شيء: كان أهلها يظنون أنها في محجر المجانين، والذين هناك يظنون أنها تركت البلاد مع أهلها عن طريق المهربين!

كيفي عارف

قصص قصيرة جدا

محطة اليأس

قال لي ذات مرة: انفضي نفسك وتعالَي إليّ. لملمي نعش الأشواق بيديك وتعالي. هزّ كتفيَّ وأزاح ستارة الخجل وأداف أسقام السنين الماضية بالريح وأطلقها. هلمّي نحوي كي آتيك أنا أيضا ماشيا على قمم الجبال، طاويا كالطير صفحات السماء، دانيا من الشمس، كي ابدع لك نشيداً أنهاره قصيدة رائقة وأجيء اليك. منذ ذلك اليوم وأنا أقبع في محطة أملٍ ضائع، لابثة على سرير أنيني، منتظرة رحلة الخلود.

انتظار ضائع

سئمتُ من انتظارٍ دون جواب، من اضطجاع على رصيف الصمت، من سعادةٍ تضطرب منها أفكاري، من رغبةٍ في عناق بلا أمل، هذه أسباب صغاري، اضطراب قرارتي. كيف تنام عيناي ووسادتي تكفر بالليل؟ كيف يموت الصمت في صوت البكاء؟ كيف أحبك والرجال في الحب دروب، وأنا تائهة ما بين الأشواق وبين انسانٍ لفّه الضياع؟

سأم

خلف قضبان الوقت المتأرجح، في أعماق أوجاعي اتخذ مسكناً، في قرارة نفسي ألّفَ حكاية بحروف مثلومةٍ، أرواح لا أعرفها تمتزج بروحي، شوق لا أحبه، زعيق مكتوم يخرق الآذان، أوجاع وصرخات خرساء تدفعني لحربٍ مع نفسي. لا أعلم أهذه لذة الموت.. أم ماذا؟

لقمان ئاسيهي

محمي الدخيل

ما كاد يغلق الباب حتى شبكها بقوة وألقاها تحته وراح يمطرها بقبلات في فمها وشفاهها وتحت أقراطها. ارتخت بين يديه وكأن جسدها كله خلا من عظمة واحدة. أرادت أن تقول له: أحبك جدا، لا أستطيع العيش من دونك. سمعتْ طرقاتٍ على الباب فسارعت الى تخليص نفسها من تحت جسده الضخم ونظرت في حيرة الى وجهه. وطُرق الباب من جديد..

لم يقم محمي، حتى مات، بالاستحمام ولو لمرة واحدة. حين يمر بأحدهم كان الأخير يضطر الى تغطية أنفه بطرف يشماغه. كان مجنوناً أو نصف مجنون. أحياناً، وقبل أن يشرع المُلاّ بأذان العصر، كان يجلس عند حائط المسجد ويتحلق من حوله الصبية اليافعون وتتصاعد ضحكاتهم وثرثراتهم عن القرية. لكنه في أحيان أخرى يجلس وحيداً في إحدى زوايا المسجد ليبكي حتى الصباح.

ما زلت أتذكر ذلك اليوم كما في الأحلام. لم يبق أحد إلا وحضر. كان الدخان الأسود والنار يتصاعدان من الشبابيك. لم يتدخل أحد حتى أتت النار على آخر قشة في البيت. في اليوم التالي كان محمي جالساً وسط القرية يغني أغنية ملؤها الانكسار.

حتى هذا اليوم، لن يعرفه أحد إلا إذا قلت "بيت محمي الدخيل". قصته معروفة مشهورة بين أهل قريتنا. لا أظن أن أحداً لا يلمّ بطرف منها رغم أن البعض يقتطع أحياناً بعض تفاصيلها. كان الليل قد أرخى جناحيه على الأرض، تردد في أرجاء القرية عواء الكلاب القادم من بيت "عمو الأعمى". مر بعض الوقت ثم ارتفعت حدة العواء. عندما حل الصباح كانت أخبارُ مَقدمِ ذلك الرجل الغريب الذي بين العشرين والثلاثين مع أخته وابنه الصغير تتصدر كل الأخبار.

كان ابنه ولداً شقيّاً منفلتاً نزل مثل بلاء على رأس صبية القرية، لم يمضِ يوم واحد دون أن نسمع بأنه ضرب أحدهم، تراه على الدوام يضرب الأطفال ثم يفر خوفاً من أبيه محمي الى المرتفعات المشرفة على القرية. أتذكر جيداً ذلك الصباح الباكر عندما هب أهل القرية متسلقين ذاك الجبل. لقد مضى يومان مذ شجَّ رأس ابن "رَشو" ثم هرب خوفاً من أبيه ملتجئاً الى الجبل. كان عمره يومها بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة. حينها راح كل واحد يقول شيئاً بحقه، لكن أسوأ ما قيل عنه هو ما أشيع في القرية من أنه لم يهرب بسبب أبيه. كانوا يقولون إنه أخفى نفسه في مكانٍ قريب لا تعرفه سوى "كولو" ابنة "حسن فاتي"، وإنهما ضربا موعداً كي يخطفها ويهربان معا. وكان رد فعل الوالد أنه ربط البنت المسكينة

البريئة في مخزن التبن ولم يفك وثاقها إلا بعد رجع الفتى من الجبل من تلقاء نفسه.

لم أره من قبل على هذه الهيئة، كان في أتم الأناقة ويضع خيزانةً تحت إبطه مثل ضابط مقدام. تحدث بصوتٍ عال:

-"لماذا تنظرون اليّ كما لو كنت طفلا، لقد كبرت، أنا رجل مثلكم ولا أقل عنكم شأناً"

أمسكه أبوه محمي من يده، وحاول معه لكنه لم يتزحزح عن مكانه:

-"ما زلتم تنظرون لي هكذا، أنا ابن هذا الفقير، هذا الذي ما زال معكم منذ سنوات لكنكم تدعونه محمي الدخيل. من اليوم فصاعدا إذا أقدم أحدكم على تسميته بهذا اللقب سأقلع لسانه من جذوره!"

وضع خيزرانته على كتفه وشق طريقه من بين الجمع ولم يجرؤ أحد على أن يقول له على عينك حاجب!

كنت أنظر من بين مفاصل الباب. ألقى بكل جثته فوق بدنها، لم يكن خيط رفيع ليمر بينهما. ولكي لا أكون كاذبا سأقول إنها كانت ترتدي ثوبا داخلياً بنفسجياً، غير أنه كان هو الآخر قد

تطوى وارتفع حتى ثدييها. كانت تشبك يديها من خلف ظهره وتضغطه الى جسدها، أما هو فقد غمس إحدى يديه في شعرها وأخذ يروح بها ويجيء أما يده الأخرى فقد كانت في الجانب الثاني فلم أستطع رؤيتها.

كانت الأرض والسماء ترسلان مطراً مدراراً، ساقهُ مربوطة بحبلٍ أسود غليظ وبغل برأس أسود يسحلُهُ نحو أسفل القرية. أتذكر كيف أنّ خِرقاً من قماش ثيابه مصحوبة بقطع من لحمه أخذت تنفصل عن جسده فيجرفها سيل الماء وتختفي فيه. كان المطر يزداد غزارةً والبغل يبتعد ويبتعد حتى يصغر في عين الناظر. يومها خلتُ أن جسد محمي وقطع لحمه لم يسقطا في السيل معه فحسب، بل إن وجوده كله قد انجرف مع السيل، هو ومعه البغل. وكان الناس يقولون: لو كان لديه قليل من الشرف والغيرة لما أمطر الله عليه غضبه وزال اسمه من الوجود واحترق منزله!

ماجد الحيدر

لعبة الخُطّار

(في ذكرى "الخال رضا" .. الرجل/الملاك)

-"**دَگ ... دَگ .. دووگ!**"

-"**من؟**"

-"**أنا!**"

-"**جِق فِق ! أهلا بكم يا عيوني! تفضلوا!**"

هكذا كانت تبدأ اللعبة. المرة تلو المرة: يعتمر الصبي "سدارة" الجد البنية القديمة ويضع على كتفيه سترته الكحلية ذات النقاط الحمر الشبيهة بحب الرمان فتنسدل على جسده الصغير حتى تصل الأقدام ويحمل كيساً من الورق الأسمر يضع فيه برتقالة أو تفاحة ورغيف خبز ويقف قبالةَ بابٍ وهمي ويحاكي صوت الطرقات لتسأله الصغيرة الجالسة أمام طاقم الشاي -اللعبة وقد لفت جسدها بعباءة أمها السوداء عمن يكون، ثم تفتح الباب الوهمي محاكيةً صوت فتح الأقفال ليدخل الخطار وتبدأ اللعبة. اللعبة التي لا يملان من تكرارها رغم تبدل الأدوار ودخول صغار آخرين من الزائرين وأطفال الجيران في بعض الأحيان، ضيوفَ شرفٍ في لعبة الخطار.

كان العجوز راقداً في سريره النحاسي اللامع في غرفته التي يغمرها الى النصف ضوء الشمس القادم من الشباك المفتوح.

-**"إنه ليسَ مريضاً"** هكذا قال الطبيب **"إنها الشيخوخة فقط. اتركوه ليرتاح، ليرحل بهدوءٍ وسلام"**

كان يصغي الى أصوات الصغار القادمة من الجهة الأخرى. أما حفيدته التي كانت تعد الشاي للأقرباء الذين خرجوا للتو من غرفة الشيخ ليجلسوا حول السدرة الكبيرة التي تفرش ظلها على الباحة المفتوحة فلم تلح كثيراً على طفليها كي يخفضوا أصواتهم. هي تعلم أن الجد لا ينزعج أبداً من أصوات الصغار مهما علت. ثم إنها كانت تعرف أن الجد قد ضعف سمعه الى حد كبير.

لكنه في هذا الصباح بالتحديد، كان يسمع كل شيء بوضوح عجيب: زقزقة العصافير، صوت المروحة المنضدية القديمة التي تدير رأسها يميناً ويساراً وكأنها أم حانية تطمئن على من في الغرفة، ثرثرة الضيوف الذين انصرفوا الى أحاديثهم المعتادة، وصوت الصغار اللاهين تحت شباكه.

لا لم يزعجه صوت الصغار **"وهل ينزعج إنسان من صوت ملاك؟!"** كان هذا ما يقوله في كل مرة يُنهرُ فيها صغيرٌ ويُطالَبُ بالسكوت لكي لا يقلق راحة الرجل العجوز.

هذان الصغيران الهادئان الوديعان هما الحلقة الأخيرة في أجيال وأجيال من الصغار الذين حملهم فوق كفه الكبيرة السمراء، وقبّل جبينهم،وسّمى عليهم وعوّذهم من الحسد، وحلق لهم رؤوسهم واشترى لهم الدمى والحلوى والثياب، وحملهم الى مدن الألعاب والحدائق العامة ودور السينما الصيفية. وعلى يديه ذاقوا أول وجبات الكباب عند رأس الجسر القديم، وعلى كتفيه صعدوا ليشاهدوا مواكب التشابيه الحسينية في أزقة الكاظمية الضيقة، وبيديه هو كان يشد أول حذاءٍ مدرسي على أقدامهم الصغيرة، وأول شريطٍ أبيض على الضفائر الصغيرة المتأرجحة في حبور، وأول هدية نجاح وهدية عرس.

كان أطفال الأسرة الكبيرة: أبناء وبنات أبناء العم وأبناء العمة وبنات الخال والخالة والعدلاء والأنسباء الأبعدين يعشقون هذا الشيخ القصير المفتول العضلات، بوجهه الأسمر الذي تشابكت عليه عشرات التجاعيد وكفيه الخشنتين المعروقتين الدافئتين أبداً، وجيوبه العميقة التي كانت مثل مخزن لا ينتهي للدراهم وحبات الليمون والجوز وقطع الحلوى.. الحلوى ذات الرائحة المدوخة العجيبة التي لم تعد موجودة في هذه الأيام، الملفوفة في ورق ملون جميل، ورقٍ يلمع بطريقة ما عاد أحد يراها.

لكن أياً منهم، من هؤلاء الصبية والصبايا الذين أحبهم وأحبوه، هؤلاء الصبية والصبايا الذين يحفظ أسماءهم وميولهم وألقاب دلالهم واحداً واحداً، لم يكن من صُلبه؛ فهو، كما يعرف الجميع، لم يتزوج قَط. حتى حفيدته هذه، التي أصر يوم ولادتها على تسميتها بهذا الاسم القديم الغريب، هذه التي يلعب صغارها الآن تحت شباكه، لم تكن سوى ابنة ابنة أخيه.

كان أخوه قد غاب قبل أربعين عاماً، أخذته دورية حدودية عندما كان يرعى أغنامه على مشارف قريته النائية، ثم حملوه الى العاصمة، الى قصر النهاية، المكان الذي تقشعر من ذكره الأبدان واتهموه، هو الأمي الساذج البسيط الذي تكاد تشم في ثيابه رائحة العشب وروث الأغنام، اتهموه بالتجسس والتخابر مع دولةٍ أجنبية!

وسافر الأخ الكبير من فوره الى القرية. وجد ابنة أخيه الوحيدة قابعة في زاويةٍ من الكوخ الطيني وهي ترتجف وتهذي من الجوع والحمى فحملها الى العاصمة، وتعهد برعايتها حتى استعادت شيئاً من عافيتها ثم انطلق في رحلة البحث عن أخيه وسؤال هذا وذاك والتوسط هنا وهناك حتى طلب منه أحد المخبرين الذين يترددون على القصر الرهيب أن يكف عن البحث:

-"لقد رأيته بأم عيني. ضربوه وضربوه وهم يسألونه عن شركائه وهو يجيب متوسلاً بعبارة واحدة "عمو.. الله دخيل.. أَرَبي ما يعرف[1]" ثم سكت، خمدت أنفاسه فلفّوه في بطانيةٍ عسكرية وشدوه الى "بلوك" من الأسمنت ورموه في النهر مثل الآخرين!"

لم يخبر أحداً بما سمع، ولم تجرؤ الفتاة على سؤاله عن أبيها، لكنها لبست السواد ولم تنزعه منذ ذلك اليوم. وبعد عامين زوَّجها الى عامل شهم من أقاربه كان هو الآخر ممن تشرّبوا بحنانه، واشترى له ولهما هذا البيت الشرقي القديم، وزرع في "الحوش" المكشوف هذه السدرة الوارفة. وأنجب الولدان حفنة من الأبناء والبنين غادروا المنزل واحداً بعد الآخر ولم تبق غير هذه الحفيدة الصغرى وزوجها المسافر وهذين الصغيرين، آخر العنقود اللذيذ!

كانت السدرة تكبر وتكبر. وفي أمسيات الخميس كان يشعل شمعتين ويضع طاساً فضياً مملوءاً بماء الورد وبضعة أغصان من الآس في كوّة صغيرة بجذع الشجرة ويقرأ الفاتحة. وحين يسألهُ الصغار عن الشمعتين يجيب بهدوء:

-"هذه الشمعة لروح جدكم، أخي المسكين"

---

١ أي لا أعرف العربية.

وحين يسألونه عن الشمعة الثانية كان يكتفي بالصمت وتترقرق في عينه دمعة صغيرة فيكف الصغار عن السؤال.

لكن الكبار، الشيوخ الذين عاصروا الجد، كانوا يعرفون سر تلك الشمعة الثانية: إنها لـ "خانم" حبيبته.. خطيبته التي أبعدوه عنها قبل الزفاف بيومين وساقوه الى الحرب، الى "السفربرلك"، قبل سنين لا عد لها. وغاب الرجل طويلاً حتى قيل انه لن يعود، فأرغمها أهلها على الزواج من تاجر حبوب جوّال شدّها –مرغمةً– على بغلته وأخذها الى حيث لا يعلم أحد.

-"آه يا "خانم". يا ذات العيون العسلية والفم الصغير الذي يبدو على الدوام وكأنه يغالبُ –حياءً– ضحكةً مجلجلةً مرحة! كنتِ تعرفين بأنني حي، وبأنني سأعود الى قريتنا. ولهذا جززتِ جدائلك الشقراء وشققتِ ثوبكِ حتى بان كتفاك ونحرك الذي مثل قطنٍ مندوفٍ وحاولتِ أن تقتلي نفسك مرتين، ولهذا كان آخر ما سمعه أهلك وأنتِ تبتعدين:"سأقتل نفسي. سأقتل نفسي قبل أن يمسني رجلٌ غيره!"

أما هو فلم يتزوج أبداً. عرضوا عليه الفكرة مرة ومرتين لكنه رفض في حزمٍ جعلهم يكفّون عن الإصرار. لم يشكُ همَّه لأحد. لم يَثُر أو يحتج. كان شبحاً ضامراً عائداً من الموت، من الحرب

التي لم يكثر من الحديث عنها. كان يرفض الحديث عن وقائعها ومغامراته فيها رغم انه عاد بإصبعين مبتورين وندبة جرح طويلٍ غائر في خده الأيمن، ندبةٍ لم تزده إلا وسامةً ورجولة. وفي ليالي العشر الأوائل من محرم، حين كان الناس يولولون أو يستمعون في ترقبٍ وإثارة الى وقائع المعركة وتفاصيلها كان يبتعد عن الآخرين ويجلس وحيداً بقميصه الأسود الذي يزيده أناقةً، ويبكي.. يبكي بصمت ويربت بهدوء على صدره الأشيب المفتول، وبين الحين والآخر يهمس بلوعةٍ تكاد تشق رئتيه:

-"آخ يا مظلوم!"

....

وتلكأت المروحة وكأنها تريد أن تطيل النظر اليه وتمسح العرق عن هذا الوجه الأسمر وهذه التجاعيد الغائرة. وأرسلت نسمةً أخيرة من هواء عليل ثم استدارت في أسفٍ لتكمل دورتها الأبدية.

وضعفت أنفاس العجوز، لكنه لم يشعر بأي ضيق أو اختناق، وأخذت دقات قلبه تضعف شيئاً فشيئاً ...

ورأى نفسه فوق أرض طريةٍ كالغمام. ولاحت أمامه في الضباب اللازوردي بوابة صغيرة من فضة تفوحُ بالبخور اشتبكت عليها

أغصان اللبلاب. وتقدم منها وكأنه يسير على الماء، توقف قبالتها لكنه لم يطرق الباب بل همس بصوت خفيض:

-"دَگ ... دَگ .. دووگ!"

ورد صوت من وراء الباب، صوتٌ خاله أليفاً، صوت كطعم العسل الجبلي:

-"مَن؟"

فأجاب بصوت لم يستطع أن يغالب تكسره:

-"أنا!"

-"چِق فِق!"

وانفتح الباب فانهمر منه شلال من الضوء العجيب أضطره لتفاديه بيده، يده التي لم يلاحظ بأنها صارت ناعمةً بيضاء كالثلج.

وأبعد يده رويداً رويداً فإذا بوجهِ صبيةٍ بعيونٍ عسليةٍ لم يخلق الله أجمل منها..

-"يا ربَّ العِزة والجلال! أهذه أنتِ.. هذه أنتِ أخيراً ! خا....؟"

وانفرجت الشفتان الكرزيتان عن زقزقة لذيذة:

-"أهلا بكم يا عيوني!"

وتهدج صوتها، لم يعرف إن كانت تغالب ضحكة أم شهقةَ بكاء..

-"أهلا بكم يا عيوني.. تفضلوا"

وغمر الضوءُ والعطرُ كل شيء!

محسن عبد الرحمن

العهد

هذا خامسُ خميس يأتي فيه الى استعلامات جنابه في الموعد المحدد دون أن يحظى بمقابلته؛ يتهيأ للحضور، وبعينين حائرتين وقلبٍ يملؤه القلق والترقب ينظر الى السكرتيرة الشابة التي كلما خرجت من غرفة الأستاذ ظن أنها ستقول له:

-"تفضل. الأستاذ في انتظارك"

لكنها تلقي عليه نظرةً باهته ثم تجلس في مكانها. يوشك الدوام على الانتهاء. إيقاع عكازته على رخام الأرضية يعكس كل شيء، انعكاس ندمٍ على عمرٍ أضاع الفرصة تلو الأخرى!

بنهمٍ وجوع يستعرض الاستاذ جسد السكرتيرة المهمومة المتعكرة المزاج، من أظفار قدميها الى قمة رأسها، ويروح يلثمه ويلعقه. وفي ذروة ثمالته يقول:

-"لماذا لا تحفظ العاهرات عهودهن في الليل؟"

-"من أكثر عهراً، وإخلافاً للعهود؛ أنا المرغمة على إشباع رغباتك القذرة نظير مبلغ تافه، أم أنت الذي منحك الناخبُ صوته وثقته، ثم تتهربُ من لقائه؟!"

محسن عبد الرحمن

صيام

مع إعلام المترقبين برؤية الهلال وبدء شهر السموات؛ أدخلت البشارة المدينةَ في حالة من الاضطراب، الجميع منهمكون، متعجلون للبيع والشراء، هارعون لحشو البطون، زنابير ينهش بعضها البعض، لا يفعلون شيئاً، لا يقولون شيئا، إنهم صائمون..أفواههم وعيونهم مربوطة، الأطفال المدللون واجمون. المشاة يتحججون بالركاب، وكلاهما يشتم السائقين، المواد المنتهية الصلاحية تفترش الأرصفة، تلاعب في كل وزن وقياس، الغش والاحتيال يعمّان السوق، من أجل دينار واحد يمطرونك بمائة قسم ويمين، وفي واجهة السوق ثمة شخص يلتهم بنظراته الجائعة امرأة غريبة ويسأل صاحبه:

-"هل يعد اللحم النيء من المفطرات؟!"

قبل الإفطار، بعد التراويح، في الطريق الى البيت، عيون الورِعين الخارجين من المساجد مسمّرة على مؤخرات النساء مثل ذئاب تعوي. المؤمنون يذوبون من التقوى، وعلى الأرصفة يخنق الشباب انكساراتهم في دخان الناركيلات، ويطحنون في مطحنة

الفتوى-أوله طاعة، أوسطه رحمة وآخره عتق من النار- كل ذنوبهم!

محسن عبد الرحمن

عصافير نافكور[1]

كان "إيزدين" يحث الخطى لأجل اللحاق بصلاة الجمعة عندما استدار حول المزار متجها نحو سور المسجد فالتقى صدرا بصدر مع "تيلي" الذي كان يلهث ويتصبب عرقاً.

-"خيرا يا عم تيلي. كأن عارضا ما قد أخرك؟!"

عند الدرجات العشر وقفا على الأجران الثلاثة التي يتدفق منها الماء الزلال.

-"إنها تلك العصافير يا ابن أخي. لقد أتت على كل الدخن في حقلي! حتى الفزاعة لم تعد قادرة على طردها، يبدو أن جوع العصافير قد دجنها!"

-"وهل تهاجم العصافير حقلك أيضاً برغم كل دهائك!؟"

وفي أثناء الوضوء:

---

١ نافكور: سهل يقع في منطقة ئاكري (عقرة) يعد من اخصب السهول في كردستان وأعظمها إنتاجا لمختلف المحاصيل الشتوية والصيفية

-"صدقني يا إيزدين، لو أن عصفورين تشاجرا في سهل نافكور لأضحى حقلي في سفوح جبل متين ساحة لمعركتهما!

...

راح تيلي يسرد، في سخرية ممزوجة بالمرارة والغضب، ما جرى لجده أيام مجاعة الخنزير العثماني فيما راح ايزدين، الذي انهكته المظالم، يصغي في ضجر دفعه أخيرا الى القول:

-"كان هذا قبل قرن من الزمان، عندما أتت العصافير على دخن جدك، حكيم زيوه وفيلسوفها، فما ذنبي أنا كي تصدع رأسي بهذه الحكاية ونحن نتخبط في أزمتنا؟!"

-"إنه الأمر ذاته، فكما استحال حقل جدي الى ميدان لمعارك عصافير نافكور، الآن أيضا حين يتعارك عقالان في الصحراء، أو زوج من خنازير توران، أو رهط من الرهبان الكاثوليك أو القساوسة البروتستانت في أي مكان ولأيما سبب كان ستجد أن سنابل دخن تيلي هي من ستدفع ثمن التفريق بينهم!!

-"أي دخن وأي تيلي؟ عم تتحدث؟"

-"العصافير هم الأخوة الألداء. نحن الدخن، والميدان الذي لا صاحب له هو أرض الشمس، الأرض التي لا تكفكف فيها

الدموع، ولا تضمد فيها الجروح، والبسمات هي تلك الآمال التي لا تنسى!"

ووضع اصبعه على صدره!

محمد عبد الله

مكالمة هاتفية

دخل الغرفة دون أن يلقي التحية واتخذ ركناً قَصيا ثم أشعل سيجارة. وأساريره متغضنة مثل من لدغه عقرب بين عينيه. كان وجهه ممتقعا من الغضب والشرر يتطاير من عينيه ولا يقر له قرار، فيجلس مرة ثم يقوم مرة أخرى ليذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، ثم يغادرها ويضع هاتفه على أذنه دون أن يتلقى ردا، فيعود الى الغرفة من جديد.

عيناه تشيان بأنه في مشكلةٍ كبيرة. لكن أحداً لم يكن ليجرؤ على سؤاله بسبب لسانه السليط، فهو في لحظات غضبه يحرق الأخضر واليابس ويتجاوز كل محظور؛ ولهذا يتحاشاه زملاؤه، رغم أنهم ظلوا يبدون له الاحترام، فقد كان واحداً من "مثقفي المدينة ومفكريها" المعدودين.

أطبق الصمت على الغرفة ولم تسمع فيها همسة واحدة. كان الجميع يتبادلون النظرات بأطراف أعينهم. وأخيراً لم يطق (آزاد) صبرا واستجمع شجاعته وقال:

-"خيراً يا أستاذ (هوشنك) ما لي أراك غاضباً بهذا الشكل؟ هل بمقدورنا أن نقدم لك أية مساعدة؟"

استدار (هوشنك) وقد اتقدت عيناه وأجاب:

-"أي خير هذا؟ وهل تأملُ خيراً من هذا المجتمع الجاهل المريض؟! ونريد أن نصبح دولة ونلحق بالمجتمع الأوربي! أوهوو، أوهوو.. لو بقينا على هذا المنوال علينا أن نقطع كل رجاء !"

ثم عاد، بعد أن نفّس قليلا عن غضبه وبلّ فؤاده بكلماته الحانقة، واستدار ليقول:

-"كنت أتنزّه مع صديقتي في أطراف المدينة، وفجأة تلقّت مكالمةً هاتفية تهددها بالقتل. هذا هو المجتمع الأوربي الذي يريدون اللحاق به!!"

وازدادت حُميّاه مثل خطباء المساجد. وطفق يتحدث عن الحرية الشخصية وحقوق المرأة. وفجأة رن هاتفه، فشحب وجهه، وانهمر الخوف من جبينه وقد توقع أنها مكالمة من بيت صديقته وأن أهلها يبحثون عنه.

سارع لإخراج الهاتف من جيبه، وحين رأى رقم المتصل هدأ قليلا وتنفس الصعداء. غير أنه سرعان ما ضرب الأرض بقدمه وانتصب غاضبا وهو يصرخ في هاتفه:

-"لم يبقَ إلا هذا!؟ لم يبق إلا أن تقع هذه البلوى على رأسي؟!
أن تجعلني "هوزان" مُضغةً في أفواه الناس؟ أهكذا ربيتها؟ تخرج بحجة الجامعة ليراها أصدقائي وهي تتجول في البراري مع أحد أبناء الشوارع؟ حسناً إذن. أقسم بأنها لن ترى الجامعة بعينيها بعد اليوم!"

محمد عبد الله

الصياد

علق بندقيته على كتفه ودسَّ قدمه في حذائه ونظر بزاوية عينيه الى زوجته وقال:

-"الى أن تسخّني الشاي وتعدي خبزاً طازجاً للإفطار سأخرج الى هذا السفح الظليل المطل على القرية لعلني أحظى بصيد حسن آتيكِ به"

ومضى يجتاز وهدة بعد أخرى قبل أن يبلغ طرف الوادي. فجأةً أبصر نمراً عظيماً مرقطاً نائماً بين فرعي شجرة كبيرة. قال "أحمو" مع نفسه:

-"آه.. نمر! أنمر هنا؟ أهنا نمر؟! لا أصدق أن ثمة نمور في جبالنا! إممم، قبل سنوات عندما قال "حسو" المسكين إنه سمع صوت نمر في السفح الظليل وراء القرية سخر منه أهل القرية ولقبوه بالكذاب وقال الجميع إنه جبان رعديد يخال أصوات الثعالب والأرانب أصوات أسودٍ ونمور.. يبدو أن حسو المسكين كان صادقاً. سأبيّن لأهل القرية جميعاً صدق قولك وأنه كان حقاً صوت نمرٍ. سأجعل من فطيسته فزّاعة أمام أعين أهل القرية

وسأنصبه في حقل الرز كي لا تقربه الخنازير والضواري.. همم.. إذن فهذا الكبير الرأس هو من يأكل دجاجنا وماعزنا.. عهداً عليَّ لأخرجنَّ لحومهم من أنفك!"

ألقم بندقيته خرطوشةَ خنازير وشرع يزحف على بطنه رويداً رويداً صوب النمر حتى صار في مدى سلاحه. تمترس خلف صخرة وصوب الرصاصة نحو جبهته. ارتفع الدويّ وخرَّ النمر هاوياً الى الجانب الثاني من الشجرة. أسرع الى رفع بندقيته وتقدم نحو الشجرة في حذر متذكراً قول أبيه:

-"إذا ما جرحتَ وحشاً فاحذر الاقتراب منه لئلا افترسك وخاصة وحوش كالنمر"

وأخذ يحدّث نفسه:

-"خيرٌ لي أن أعود الى القرية وأحذر أهلها.. لا، لا أنا من أقدم على هذا العمل الرجولي ويجب أن يبقى مقترناً باسمي. غداً سيعرف كل أهالي المنطقة بأن (محو) قد اصطاد نمراً.. يكفيني هذا. ستكون هذه مفخرةً عظيمةً لعشيرتي كلها. ولكن ماذا لو ذهبت اليه وتبين أنه جريح وهجم عليَّ؟ سيقول الناس: هل جنَّ الرجل؟ كيف يقترب من نمرٍ جريح؟ لكن من المؤكد بأنني، إذا

ما ذهبت اليه وجررت جثته الى القرية، سأكون في نظرهم (خانى لَب زيرين) ثانياً[1]"

تقدم صوب النمر ودنا نحو جذع الشجرة في حذر تسبقه ماسورة البندقية. رفع رأسه على مهلٍ ونظر الى فرعي الشجرة. وجّه الفوهة نحو المكان الذي سقط فيه النمر. كان قلبه يخفق بسرعة هائلة والبندقية تهتز مثل قصبةٍ في الماء، وفي رأسه يتردد ألف لحن:

-"حسناً. وما الذي يرغمني على السعي وراء المصائب؟ من سيربّي أطفالي؟ لكن لا تنس يا أحمو أن هذا سيكون لك ذكراً

---

١ أمير كوردي يعني اسمه "الخان ذو الكف الذهبية" اشتهر الامير بشجاعته وكرمه اللامحدود وتَذكُر الروايات أن سبب هذه التسمية هي أن الشاه عباس الصفوي تنكر مرة بزي تاجر ومر على خيمة الامير قرب أورمية وحين أراد أن يشعل غليونه ولم يجد شئ ليحمل به الجمر قام الأمير بحمل الجمر على كف يده ووضعه على غليون الشاه اكراماً لضيفه ، وأحترقت نتيجةً لذلك كف الأمير فكافأه الشاه بكيس من الذهب وضعه في كفه المُحترق. وتشير رواية أخرى بأن زمرة من قطاع الطرق هاجمت خيول الشاه المذكور فدافع الأمير عنها وقاتلهم وتمكن من قتل معظمهم لكن كفه قُطِعت في القتال فأمر الشاه بصب كف من الذهب له تثميناً لبطولته.

أبدياً. أما أنت أو أنا يا ذا الرأس الكبير. ها قد جئتك ولن أرتد على أعقابي حتى لو قال أهل القرية أنه تصدى لنمر فافترسه"

وسط القش والحشيش رأى شبح النمر فعاجله بإطلاقة أخرى جعلته يتقلب مرتين وثلاث.. اقترب رويداً رويداً.. وضع يديه على خاصرته وقال في أسىً:

-"آه. يا للأسف. لقد مزقتُ بطانية راعي القرية!"

محمد علي ياسين طه

شوكولاتة العيد

هي نفسها النبرة التي خوطبتُ بها قبل الآن وأنا أقود سيارتي جنوباً:

-"أيها الشاب. هل يمكنك أن تُقِل هذين الرجلين معك؟"

لم أكن قادرا وقتها على الامتثال لطلب حارس نقطة التفتيش. لكن الصوت نفسه سألني هذه المرة وأنا في طريقي إلى الشمال:

-"أيها الشاب، هل يمكنك أن تقلّ هذا الصبيَّ معك؟"

ورأيت صبياً صغيراً تنبعث من جسده رائحة عرق قوية. فتح باب السيارة ثم جلس الى جانبي. تأملته: كان العرق المتيبس قد صلّب خصلات شعره المعقوفة حول أذنيه.

ومضينا في طريقنا. وهناك بعد مسافة ما، لوّح لي رجل ملتح كي أتوقف لأجله ففعلت. جلس في المقعد الخلفي، وسرعان ما ملأت رائحة العطور التي يجلبها الحجاج جو السيارة.

-"السلام عليكم."

كان هذا كل ما سمعاه منه باستثناء صوت مسبحته التي ينقّل حباتها بين أصابعه وهو يغمغم أو يرفع صوته بين الفينة والأخرى:

-"سبحان الله!"

التفتُّ إلى الصبي:

-"من اين اتيت؟"

-"من العمل."

-"وماذا تعمل؟"

-"أنقل "البلوك."

-"هل انت في المدرسة؟"

-"لقد تركتها."

-"لماذا؟"

-"لم أعد أذهب اليها بعد مقتل والدي."

-"وأين قتل؟"

-"بين الجنوب والشمال."

-"ماذا كان يعمل؟"

-"كان بيشمركة."

-"**إنّا لله وإنا اليه راجعون** (ردد الحاج الجالس في الخلف بصوت مسموع فالتفت اليه الصغير ثم عاد ليجيب على أسئلتي)

-"**إذن فوالدك شهيد؟**"

-"**لا هو ليس كذلك. ليست لديه هوية شهيد أو راتب تقاعدي**.(أجابني بصوت واثق لكنه متعب)

-"**هل لديك أشقاء أكبر منك؟**"

-"**أنا أكبرهم. أنا أعمل في الحفر وحمل البلوك. إنه عمل شاق، لكنه كل ما يمكنني الحصول عليه. والدتي لم تشتر شوكولاتة العيد بعد.**"

تبادر الى ذهني على الفور أطفال آخرون في هذه البلاد، وكيف يقضون وقتهم في مثل هذه الأيام وهم برفقة آبائهم وأمهاتهم في الأسواق يتنقلون من متجر إلى آخر لشراء ملابس العيد الجديدة. بالأمس فقط أقدم ابن أحد الوزراء ممن لم يتجاوز الخامسة عشر من العمر على تحطيم سيارته العصرية الفاخرة حين صدمها بأحد الجدران ليرى كيف تعمل الوسائد الهوائية!

عندما وصلنا الى المكان الذي يريد، ترجل الصبي من السيارة، لكنه ناداني قبل أن أبتعد:

-"**توقف يا عم!**"

ومد يده الى جيبه الممزق وأخرج منه قطعة من الشوكولاتة قدمها لي ثم ودعني مبتسما.

وضعت القطعة على المقعد الذي كان يجلس عليه، وعلى وقع حبات المسبحة فوق خطوط الشارع البيضاء، مضيت نحو الشمال.

محمد علي ياسين

مدينة الأرصفة

كان المدير يتحدث مع المهندسين بكل جدية وحماس. يعصر يديه تارة، ويدسّ أربعة من أصابع يده اليمنى تارة أخرى في تلك التجاعيد الطولية التي حفرت طريقها في صدغه، ويحاول أن يدفع بها الى الأعلى كي يملأ بها الفراغات التي تعلوها. وكان الحماس يبلغ به أحيانا مبلغاً يجعل المنضدة التي أمامه بكل أوراقها تختض وتهتز. كانت كلماته مليئة بالثقةِ بالنفس فيما جلس المهندسون يصغون اليه في صمت وأعينٍ محملقة. وعندما مال أحدهم على زميله وهمس في أذنه بشيء سكت المدير من فوره ونظر اليهما باستقامه وقال:

-"هل همست لزميلك قائلا هذه جرّة جديدة وماء بارد؟ هل تظنني غافلا عنكما؟ أذناي سليمتان. ولكن نعم، إنها لجرة جديدة وستبقى جديدة.*[1] لقد اتخذتُ قراري، سنجعل هذه المدينة مدينة نموذجية. هذه المدينة يجب أن يكون فيها مكان للسابلة. يجب أن يكون الشارع للسيارات والرصيف للبشر. وعندما نكبر

---

[1] إشارة الى مثل كردي في وصف الحماسة المرافقة لكل جديد

ونتقاعد ونرغب في التنزه والسير يجب أن لا نضطر للنزول الى عَرَض الطريق."

ونهض مهندسٌ أشيب الرأس قريب من منضدة المدير ووقف على قدميه وقال بصوت هادئ وكلمات محسوبة:

-"مشكلتنا ليست في الأرصفة فقط. صحيح أن المدير السابق قد دهسته سيارة، لكن السيد المحافظ أصيب بضيق التنفس ونصحه الأطباء بأن يسافر الى إحدى جزر الكناري ستة أشهر في العام الواحد عل الأقل حتى يتنفس هواء نقيا وصحياً. ضيق النفس خطر كبير، علينا أن نغلق معامل تكرير النفط غير القانونية ونبعدها عن المدينة."

أجاب المدير بصوت أعلى وحنجرة أكثر ضيقا:

-"ليهب الله المحافظ الصحة والعافية، لكن مديرنا السابق قد مات، والمحافظ حي يرزق. لقد مات المدير السابق بسبب تقاعسه عن تنفيذ عمل كان ضروريا له ولنا ولجميع مواطني المدينة. لو كان قد بنى الأرصفة لما اضطر، عندما كبر وتقاعد واحتاج الى التنزه مشيا على قدميه، الى النزول الى الشارع لتدهسه سيارة وتقتله. لقد اتخذت هذا القرار منذ يوم عزائه

وسوف أشرع بإنشاء الأرصفة للسابلة من أجل أيام تقاعدي ومن أجلكم ومن أجل مواطني المدينة جميعا."

بقي المدير في كرسيه احدى عشرة سنة، وفي تلك السنوات الاحدى عشرة اقتصر عمله على تشييد الأرصفة. كانت المدينة عمياء مظلمة، وهو يشيد الأرصفة. كانت المدينة تجف وتذوي، وهو يشيد الأرصفة. كانت المدينة بلا خبز، لكنه ظل يشيد الأرصفة. وفي حفل تقاعده مُنِح جائزة (مدينة الأرصفة) وصار بعدها يتمشى على أرصفة المدينة برأس مرفوع. كانت تلك الأرصفة التي شادها ورصفها مصدر فخره الأكبر وكان فخره واعتزازه يتعاظمان مع كل خطوة يخطوها. كان المسكين غارقا في تلك الأفكار عندما قفزت سيارة تسابق الريح، يقودها مراهق مخمور في الخامسة عشرة من عمره، من فوق الرصيف الوسطي، عابرة جهة الشارع الثانية لتصعد الرصيف المقابل وتصدم ساقيه وتطيره عاليا ثم تلقيه على الجانب الثاني من الشارع، مستلقيا دون حراك وساقاه متباعدتان!

محمد علي ياسين

أسنان

عَيشو

لم أكن أحب أسنان عَيشو. عندما كانت تزور أمي كما تفعل الجارات ليتحدثا معا عن الجيران الآخرين، كنت أخاف من ضحكتها على وجه الخصوص، إذ تفتح فمها فتظهر أسنانها الأمامية وقد توسطها سنان مكسوران. ولم أكن أجرؤ على إخبار أمي بأنني أشم رائحة كريهة تنبعث من ثوب عيشو.

عكيد

بكيت كثيرا في تلك الليلة. كان عكيد يقص على أبي حكاية سجنه:

-"ستة وعشرون عاما بالتمام والكمال. طوال تلك الأعوام لم تبرح أمي ذاكرتي، خصوصا عندما تناديني: يا عكيد يا بطلي، أنت فتى الفتيان، يا للبهاء الذي أسبغه الله على وجهك! لم أنس أمي حتى أثناء التعذيب. وعندما كانوا ينهالون على جسدي بالكيبلات السوداء كانت كل جهودي تنصب على تجنيب وجهي الضربات لئلا يتشوه وتضيع وسامتي. لكن أولئك الظالمين كانوا

يتعمدون ضرب وجهي باستمرار. وبعد كل جلسة تعذيب كنت أحرص على أتحسس أسناني بلساني المدمى وتعدادها كي أعرف كم منهن بقي سليما وكم منهن انكسر."

شاهيناز

أكثر بياضاً من كثبان الثلج وأشهى من شهد النحل. عيناها بشارة ربيع وقامتها شجرة حور.

هكذا صار أخي شاعرا، يغني وتنهمر الدموع من عينيه. يكتب رسالة كل يوم ويلفها باحكام مثل تمائم أبي ويضعها في يدي ويقول لي بصوت خفيض:

-"احترس لئلا يراك عكيد وعيشو ويهدمان بيتنا."

في عصر ذلك اليوم كنت أحمل الرسالة الكذا والعشرين من أخي الى شاهيناز. كنت أسمع صرخات عيشو وأنا في الزقاق. ورأيتها تلوذ بزاوية باب الغرفة نصف المشرع وهي تحاول أن تتقي بيديها ضربات الكيبل الأسود الذي ينهال به عليها عكيد.

البيك أب البيضاء

استيقظت من نومي على أصوات الزغاريد والصرخات والهرج والمرج في المحلة. كان الجميع يؤكدون بأن دم عكيد قد تخثر في الحوض الخلفي لسيارة اليبك أب. كانت عيشو واقفة دون حراك تنظر الى نقطة ما في المدى البعيد، أما أم عكيد فكانت تنشد رثاءً حزينا. في اليوم التالي رأينا سيارة البيك نفسها وهي محمّلة بصرر الثياب والأفرشة المعقودة التي جلس عليها عيشو وشاهيناز بينما جلست أم عكيد في مقدمة السيارة الى جانب السائق. وانطلقت السيارة مبتعدة حتى غابت عن الانظار. بعد زمن سمعنا جارتنا زينب وهي تقول ان عيشو قد ركَّبت طقم أسنان روسيا و ان شاهينار قد غدت من بنات المدينة.

من يومها لم أعد أسمع أخي وهو يغني.

محمد كريم

الجنرال مونتيقُمري

يخاطبه قائد الثورة قائلا:

-"لقد رفعتَ رأس الكورد الى عنان السماء. لقد أضفتَ تكتيكا جديداً الى قاموس العلوم العسكرية. هذه المعركة الظافرة التي لا مثيل لها ينبغي إدخالها الى موسوعة "غينيس" للأرقام القياسية. هذا الذي فعلتهَ شبيه بما فعله الجنرال مونتغمري في زمانه حين كسر أنف رومل.."

ويفرح فرج الدين، ويبلغ به افتخاره بنفسه مبلغاً يجعله يتمنى من كل قلبه أن يجترح في التو والمكان وأمام عين القائد مأثرة عسكرية يستشهد فيها ويصير قرباناً للثورة.

يحب الجنرال أن يسرح على الدوام مع خياله الى تلك الساعة التي يستقبله فيها القائد بالقبلات والأحضان الحميمة، ويطنب، كما الشاهنامة، في مدح جسارته وإقدامه وذكائه، ساعتها يطلق عليه لقب الجنرال مونتغمري المليء بالفخار. لكن الخيال يخونه في كل مرة ويأخذه الى ذلك اليوم الذي ينهال عليه بالخيزرانات كما الحمير، ويصب عليه من الشتائم والكلمات السوقية ما لا يستوعبه قاموس، ثم يسحب منه لقب الجنرال مونتغمري ويبدله

بلقب الجنرال مونتيقُمري[1] الذي سيبقى وصمة عار تطوق عنقه الى الأبد مثل طوق عزازيل[2]. أربعون عاما مضت وهو يحاول أن يعود جنرال مونتغمري من جديد لكن الناس برمتهم، حتى أطفاله الساخرين من وراء ظهره، ما انفكوا يسمونه الجنرال مونتيقُمري، فلم يبق إلّاه من يسمي نفسه الجنرال مونتغمري.

الجنرال الآن فوق سريره المزدوج الجميل المتين الذي لا يصدر صريرا حتى لو تقافزت فوقه، مستلقٍ على ظهره وقدماه على الجدار مشكلاً زاوية قائمة واضعا كفيه تحت رأسه وهو يتأمل سقف الغرفة الكبيرة. إنه يفعل هذا في كثير من الأحيان، خصوصا حين يستيقظ من نومه في الصباح أو عندما تهدأ الدنيا ويغمرها الصمت مع انتصاف الليل، فيروح ينحّي كلتا الوسادتين ويضع قدميه باستقامة على الجدار، وهو يمد ذراعيه على جانبيه أحيانا أو يريحهما فوق بطنه أحياناً أخرى، ويشعر بأنه، بهذه

---

١ القمري هو الحمام الرمادي الشائع وهو اسم إحدى شخصيات القصة كما سيرد.

٢عزازيل هو أحد أسماء الشيطان أو هو شيطان محدد يسكن البراري في الميثولوجيات الدينية، حيث يجسد نزعة الإنسان إلى "الشر بالمفهوم الديني، ويقال أن يهوه أمر بأن يقيد من قدميه ويديه الى بعض الصخور الناتئة الجرداء حتى يوم الحساب.

الطريقة، يريح جسده ويمنحه السكينة. هذه عادة اكتسبها من أيام خدمته في البيشمركة، فقد اعتاد في تلك الأيام على أن يريح قدميه، كلما صعد مرتَفعا وتقطعت أنفاسه من التعب، على جدار كهف أو مغارة أو شجرة ذات جذع عريض، ويحلو له في بعض الأحيان أن يدع أصابعه تعبث بشواربه البيضاء لساعة من الزمن فتحمله خيول الذكريات صوب أيام الجبال وتتركه ليضيع في ضباب تلكم الأيام. من دواعي سروره أن أحدا لا يجرؤ على طرق باب غرفته، تلك الغرفة الفسيحة مثل صالة استقبال والمليئة بالكتب والتحف الثمينة النادرة. إنه، والحق يقال، ينفر من قراءة الكتب، منذ أن انهال عليه القائد بالعصيّ، غير أن تأمل المكتبة والتحف التي تملأ أرجاء غرفته كانت تعيد الطمأنينة الى قلبه.

يحدث الأمر نفسه عندما يسّرح عينيه المتعبتين في زخارف سقف غرفته الملكية، إذ يأخذه الخيال صوب غابر الأيام، لكنه، عكس كل المرات يسوقه مثل فراشة حانية تحط على وجهه الشائخ العجوز (أنه ليس عجوزا الى هذا الحد بل هو من فعل الزمان) نحو مكان آخر تشتهيه نفسه ويفعل فيه ما يهواه قلبه، فيشرع في سباحة لا يريد أن ينتهي منها في بحر الخيال ثم تحلّق روحه رويداً رويداً حتى تلتحق برفاقه الشهداء الذين غادر أكثرهم دون عودة وهم في شرخ الشباب.

وكما في ساعة تلك المعركة، يجد نفسه في وسط الميدان المرعب المَهول، عمره واحد وعشرون عاماً تماماً، ولم يمض عليه وقت طويل مذ رقّي الى رتبة آمر. لكن، كما لو أن شؤما أحاط به أو أن منصب الآمر كان كبيرا عليه، فإن أول اختبار عسكري يخوضه كان أصعب معركة على الإطلاق، حتى لو أن جيفارا أو الجنرال جياب[1] أو عمر المختار كانوا في مكانه لما وجدوا أمامهم طريقا غير الهزيمة. لكن القناعة والايمان بعدالة المعركة تكون، في كثير من الأحيان، أقوى من كل الأسلحة، مثلما يحدث في أحيان كثيرة أن يكون القول الفصل للمعركة الفعلية التي تمنح مفتاح النصر للطرف الأضعف ليحصد الطرف الأقوى الهزيمة والخسران.

ها هو فرج الدين مع مئة وعشرين مقاتلا في امرته محاصرون منذ الظهيرة في هذه الغابة الكثيفة التي تخالها قطعة من غابات الأمزون وقد ضُرب الطوق من حولهم من الجهات الأربع بالدبابات والمدرعات والقوات الخاصة والضباط والمرتزقة بينما تحوم الطائرات السمتية من فوقهم مثل العقبان وتمطرهم بالطلقات. وها هو الطوق يضيق من حولهم شيئا فشيئا ويقلل من

---

١ الجنرال جياب: عسكري وسياسي فيتنامي، يُعد من أهم شخصيات حرب فيتنام التي هزمت فيها فرنسا ثم الولايات المتحدة.

مساحة حركتهم. لكن الآمر يتحرك بهمّة وشجاعة ونشاط كما لو تلبس جسد ثعلب وينتقل من خندق لخندق ويشد أزرهم ويرفع معنوياتهم فيحيل كل واحد منهم الى نمر ضارٍ في مواجهة العدو ولا يسمح بحدوث ثغرة مهما صغرت في شجاعتهم كي يتسلل منها الخوف من الموت، فتراهم يواصلون القتال على وقع الأغاني والأهازيج والطرائف والهزل ويحيلون أعداءهم الى أوراق شجر ذاوية. ورغم أن البيشمركة جميعا يقاتلون وهم واضعين أرواحهم على راحاتهم بمعنويات لا تقل عن معنويات آمرهم، فإن الأخير متيقظ متأهب يراقب كل شيء كما لو أن كل عين منه استحالت الى أربع وهو لا يكف عن شد أزرهم ومخاطبتهم:

-"نفسي فداء لسواعد وبنادق الأسود من بيشمركة شعبنا وقاهري أعدائهم، اليوم يومكم، كل الكورد عيونهم على بنادقنا وأيدينا. يجب أن نفهم الأعداء الجبناء بأن أمة الكورد لا تموت. اقتصدوا في الطلقات، ساعات قلائل ونكسر الحصار ونعبر، كلمة شرف مني أن لا أسمح لقطرة دم بأن تسيل من أنف واحد منكم. سوف أوصلكم كلكم الى بر الأمان."

لكنه وهو يردد ذلك يتساءل في سرّه:

-"يا ويلي.. كيف لي أن أرقّع هذه الأكاذيب الكبيرة؟!"

لقد سدّت جميع طرق النجاة وانحصرت كل الآمال في حلول الظلام وقدوم الليل، الذي هو قلعة الرجال، الى نجدتهم.. وفجأة، ومثل شاعر ينزل عليه الإلهام، يتذكر أحد المقاتلين قطيع الخنازير الذي اختبأ في الكهف القريب خوفا من أصوات القنابل والرصاص، ويخاطب البيشمركة الجَسور آمرَه قائلا:

-"سنذهب أنا واثنان آخران من البيشمركة الى فتحة الكهف ونلقي داخله قنبلة دخانية تسبب دخانا كثيفا، أنا متأكد بأن قطيع الخنازير سيصاب بالهلع ويهرب دون رجعة الى جهة الأعداء."

ويقتنع الآمر على الفور ويأخذ بطرف الحديث:

-"وهكذا ستوجه الدبابات فوهاتها نحو القطيع وتعم الفوضى في صفوفهم ولا يدركون ما يجري فنستغل الفرصة ونكسر الحصار وننسحب ونبلغ "القمة الزرقاء" في غضون نصف ساعة."

وتنجح الخطة، ويصير قطيع الخنازير مفتاح النصر وينسحب البيشمركة المئة والعشرون دون أن تسيل قطرة دم واحدة من أنف أحدهم، فضلا عن قتلهم ضعف عددهم من الأعداء. بعد ذلك بيومين يجد الآمر نفسه للمرة الأولى في حضرة القائد. وبكل هيبته وجلاله ورهبته التي لا تقل عن ماو تسي تونغ يفتح له ذراعيه

ويستقبله بالأحضان ويقبّل خديه كما لو أنه جيفارا ساعة يزف لكاسترو بشرى انتصار الثورة الكوبية، ويفتتح حديثه معه قائلا:

-"إن لساني لعاجز في الحقيقة أمام شجاعتك وتضحيتك، أشعر بأن اللغة غير قادرة على إيفاء هذه المعركة التي خضتموها، أنت ومقاتليك، حقها من الوصف. فلقد لقّنتم العدو درسا لن ينساه ودون أن تقدموا جريحا واحدا. قبل سبعة أو ثمانية عشر عاما اجترح الجنرال مونتغمري مأثرة مثل هذه في شمال أفريقيا وحطم أنف رومل الشهير بثعلب الصحراء فصار ذلك أحد عوامل انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. لكن هذه المعركة التي انتصرت فيها على أعدائك دون أن تقدم أية خسائر أهم من معركة العلمين، لأنك ورفاقك وقفتم بأسلحتكم الخفيفة بوجه قوة العدو الضخمة.. وها أنا أنتزع مسدسي الشخصي من حزامي وأهديك إياه تثمينا لشجاعتك وأسبغ عليك لقب الجنرال مونتغمري."

بعد أحد عشر شهرا تذهب لمقابلة القائد للمرة الثانية. لكنك، مثل من يسوقونه للإعدام رميا بالرصاص بتهمة الخيانة، لا تجرؤ على جرّ قدميك. وعندما ترى القائد وهو يعض يده ويكاد يقتلع شعر رأسه من شدة الغضب تتمنى الموت. حتى الآن والأمور لا بأس بها، إذ لا تكاد تقف أمامه حتى تنهال عليك ضربات خيزانته

كما البَرَد ولا يكفّ عنك حتى تتكسر على جسدك، وعندها يلتقط أنفاسه ويقول دون أن يخفف من نوبة غضبه:

-"أيها الأحمق، أيها التافه الحقير، أيها الغبي الدوني السافل! ألا تعرف أن قيمة كل مقاتل بيشمركة في هذه الثورة تعادل دبّابة أو أكثر؟ أيها السخيف، هل أنت عازف مزمار أم مطرب أم.. تأخذ مقاتليك الى حفلة عرس وتتسبب بمقتلهم؟ أتعرف بأن دماء أولئك الشهداء معلقة برقبتي واحدا واحدا؟ هل نخوض ثورة أم نهرج ونرقص ونغني أم.. كيف أجرؤ على أن أرفع رأسي أمام آبائهم وأمهاتهم وأخبرهم بأن أولادهم قتلوا في حفلة عرس؟ هل في العالم كله آمر فاشل يقود فوجا كاملا من مقاتليه الى الموت في حفلة عرس؟ ومن تكون تلك البغي الفاجرة المسمّاة (قُمري) لكي تدعو الأخ الآمر الى حفلة عرسها ليرقص على رأس الدبكة ويتبختر وسط النساء؟! ثم ينتهي به الأمر الى أن يسارع برأسٍ مهشم للنجاة بمفرده. لك الخزي والعار أيها الآمر اللاآمر، أيها الأغبر الجبان، كان عليك أن تطلق رصاصة على رأسك ولا تأتيني مثل جرذ مرعوب. لست منذ الآن بالجنرال مونتغمري، أنت مونتيقُمري، وسوف تظل تافها وفاشلا ما حييت!"

يتصبب الجنرال عرقا في غرفته، يحاول أن يلصق مؤخرته بالجدار، لكنه يطلق ضرطة! ويقول في نفسه "ليت حادثة الحفلة

كانت ضرطة ومضت!". بعد كارثة حفلة العرس تلك يتقلب في الذل والهوان طوال إحدى عشرة سنة، إنه يشارك علنا أو في الخفاء في نشاطات البيشمركة، على أمل أن يسجل انتصارا آخر لكن الحظ لا يضحك له مرة أخرى وما من قطيع خنازير أو سرب ذئاب يهب لمساعدته لتحقيق نصر جديد. وعندما تندلع الانتفاضة يشترك في وقائعها، بنصره الوحيد وصفيحته المكسورة ويلقي بنفسه في معاركها ويقترب من الموت مرات عديدة لكي يثنّي نصره المفرد، ولكن..

لم تكن الانتفاضة مجرد فرصة ذهبية كي يتحول المتسولون والمتبطلون الى مليونيرات ومليارديرات، لكنها تصبح أيضا ضربة حظ عظيمة لأولئك الذين لم يقاتلوا في صفوف البيشمركة إلا ليوم واحد كي يمنّوا على الناس التعساء حتى يوم القيامة ويقولوا لهم كلما شكوا من محنتهم:

-"كم قضيت من سنوات وأنا أشق طريقي بأقدامي فوق الصخور؟ لقد أبليت عدد شعر رأسك يا ولدي من الأحذية اللاستيكية!"

ورغم أن الجنرال يحال الى التقاعد بأعلى الدرجات بعد الانتفاضة ويرضى عنه القائد ويغرقه بالمال بالتفويض الإلهي

الذي يملكه، فإنه لا يستطيع أن يعيد اليه لقبه حتى لو أراد ذلك، فقد مرّ على الجنرال وقت طويل وهو يتخبط في دوامة أسمائه الثلاثة: مونتيقُمري، فرج الدين، مونتغمري. ورغم أن أسبوعا واحدا لا يكاد يمر دون أن تستضيفه إحدى القنوات التلفزيونية باعتباره خبيرا حربيا ومحللا عسكريا، لكنه، كلما فرض على القناة أن تكتب اسمه أو تدعوه بالجنرال مونتغمري، تجد المتصلين يسمّونه دائما، ولحظّه العاثر، بالجنرال مونتيقُمري. وحتى المذيع النغل كثيرا ما يسميه بهذا الاسم مدعيا السهو!

والآن وقد فقد الجنرال كل بارقة أمل باستعادة لقبه القديم وقد أثقل هذا الهم كاهله وجعله يبدو عجوزا طاعنا في السن، رغم أن عمره لم يتجاوز الواحدة والستين، فقد اعتاد أن يضع قدمه على الجدار و.. يطلقها لأجل حظه المائل!

محمد كريم

الكرسي

-"أي بنيّ، حين أموت أدفنّي مع كرسيِّ!"

يقول أبي، فأجيبه:

-"على عيني يا والدي العزيز؟!"

أفكر لبرهة في كلامه، التفت نحوه، أنظر اليه، عيناه الاثنتان مفتوحتان على آخرهما. أجسّه بيدي فلا يصدر عنه حراك. قضي الأمر.. ها هو يسلم الروح في النهاية وهو على كرسيه. أظل هادئا بارد الأعصاب كما لو أن دجاجة قد نفقت. وبنفس الهدوء أبعد الحرس والمرؤوسين رويدا رويدا عن مكتب أبي ثم أجلس صامتا وأفكر، ماذا أفعل؟ أهاتف أمي، ودون أن أخبرها بموت أبي أطلب منها أن تستقل سيارتها وتأتي الي في الحال دون سائق وحراس ولغط. بعد قليل تصل كما طلبت منها، وحين أبلغها بأن أبي قد فارق الحياة لا تصدر منها نبرة ارتباك واحدة، بل ولا تمس جسده كي تتأكد من موته. وعندما أخبرها بكلمات أبي الأخيرة لا تزيد شيئا على هز رأسها. تتصل أمي بأخوتي الثلاث وتطلب منهم أن يأتو الينا دون ضجة كما فعلت هي. ارتحت لأنها لم تتصل بأخواتي لأنهن سوف يشرعن بالصراخ والعويل ويجمعن

الدنيا فوق رؤوسنا. يصل أخوتي فنجلس مثل أعضاء مجلس الأمن الخمسة ونفكر: ماذا نفعل؟ تقول أمي:

-"أنزلوه عن كرسيه، لم يحدث الى الآن أن حاكما قد دفن وهو على كرسيه."

نحاول نحن الأربعة جاهدين أن ننزله بشتى الطرق لكن دون جدوى، إنه متصلب لا يتزحزح عن كرسيه كما لو كان ملحوما به. يبدو مستحيلا أن نفصل جسده عن الكرسي حتى لو قطعناه إربا إربا. في غصون هذه المعمة يكتشف اخوتي أن الكرسي مصنوع من الذهب الخالص. يبدو أنني، أنا الأخ الكبير فقط، علاوة على أمي على دراية بالأمر منذ زمن ما. تنظر أمي الينا نحن الأربعة ثم تقول في هدوء:

-"لقد حدث أخيرا ما كنت أخشاه طوال السنوات السابقة، لم يبق أمامنا الآن من سبيل سوى أن ننفذ وصية أبيكم."

ندفنه بكرسيّه حسب الخطة التي وضعناها بالضبط في مقبرته الخصوصية التي تبلغ مساحتها مئات الدونمات وتمتلئ بآلاف الأشجار. ولا نسمح لذي روح، عدا مجموعتنا الخماسية التي تطير كسرب من الحمام، بأن يطلع على كنه الأمر! لا ننشر الخبر إلا بعد أن ننثر آخر مجرفة من التراب فوق القبر المربع.

لا يعرف أحد كيف أفلح هذا الحشد الكبير في الوقوف عند قبره في غضون ربع ساعة لا غير ليبدأ نواح وعويل عظيمان. إن عدد المسؤولين الذين يصلون على عجالة هم وصفوف سياراتهم وحراسهم لا يقل بأي حال عن عدد المواطنين المحزونين. تتطلع أمي الى ما يبديه هؤلاء الناس والمسؤولون من أسى وتقول أمام كل الميكروفونات:

-"**أنا أعرف بأن المرحوم ليس ملكا لأسرته فحسب بل هو ملك للجماهير أكثر من الأسرة، ولقد قضى حياته بالنضال والكفاح بين صفوفهم** (يقطع العويل والنواح كلام أمي، ثم تواصل الحديث بعد خمس دقائق) **لكن طيّب الذكر خصنا أنا وأولاده الذكور بوصيته التي طلب فيها بأن لا نُتعب أحدا سوانا، بل ولا حتى بناته، بمراسيم التكفين والدفن.**"

ثم يعلو النواح والبكاء من جديد حتى لا يعود في مقدور والدتي أن تقول كلمة أخرى.

بعد شهر من عزاء أبي، وفي وقت ينشغل فيه القادة كبارهم وصغارهم بالتنافس والصراع على تبؤ مناصبه الشاغرة، يزورني الوالد في المنام ويقول لي بانكسار:

-"**أي بُنيّ أنا لم أعد في مكاني!**"

أسارع الى ايقاظ أمي وقص حلمي عليها، وفي منتصف الليلة نفسها نطير بسربنا الخماسي ونحط على القبر، وتنهمك أمي لوحدها بنبش القبر بأظافرها تحت ضوء القمر. نكتشف بأن القبر فارغ تماما.. تتطلع أمي نحونا نحن الأربعة وتقول:

-"هذا هو اليوم الذي كنت أخشاه!"

أستيقظ من نومي في الحال، أنظر الى أبي الذي أراح رأسه على زاوية الأريكة وغط في النوم. أقول مع نفسي:

-"آه يا أستاذ آرام![1] ألف شكر على أنك لم تكن زعيما، وإلا لما كنت ستنعم بالهدوء حتى في قبرك!"

---

[1] آرام اسم علم للذكور ويعني هادئ أو مطمئن.

نفيسة اسماعيل حاجي

صوت من العالم الآخر

لم أزل، رغم انقضاء أعوام عديدة على رحيلها عن هذه الدنيا، مواظبة على فتح "فايبرها" لأقرأ رسائلنا المتبادلة. كانت مجادلاتنا التي لا تهدأ سمة دائمة لصداقتنا الطويلة، تلك الصداقة التي ملأت علي أيامي وسرقت مني أوقاتي. فتحت هاتفي كما في كل مرة ورحت أتأمل صورتها التي جعلت منها واجهة له. لم أصدق عيني عندما رنّ الهاتف فجأة وقرأت اسمها! إنها تتصل بي.. كيف يحدث هذا!؟ أجفلت وانتابني الهلع، وفي لحظة واحدة توالت في رأسي مئات الأسئلة. ثم سكن روعي قليلا عندما خطر ببالي أن شخصا آخر ربما يستخدم رقمها وحسابها في الفايبر، لم لا، ربما يكون أحد من أسرتها. ولكن كيف؟ هل يعقل هذا؟ كيف طاوعتهم قلوبهم على هذا؟ نعم، هذا أكثر التفسيرات قربا الى العقل، لكن من تُرى يكون المتصل؟ لقد مضت سنوات عديدة على رحيلها السرمدي، لكنها لم تفارق خاطري قط. رحيلها المبكر السريع ما زال يوجعني. وما زلت أقرأ كلماتها المتمردة في كل ما حولي من مساوئ وشرور. خلال الثواني المعدودة التي تواصل فيها رنين هاتفي دون أن أجرؤ على الرد استحضر دماغي العديد من أحاديثنا ونقاشاتنا. يا له من دماغ عجيب. إنه يستحيل أحيانا

الى أقوى جزء من الجسد، لكنه يضعف أحيانا أخرى حتى يصبح أضعفها جميعا!

فكرة أن المتصل قد يكون شخصا آخر غيرها أضفت السكينة على نفسي ومنحتني بعض القوة لكي أجيب على الاتصال وتنطلق كلمة "ألو" سريعا من فمي، لكن جوابا صاعقاً غير متوقع اخترق أذني كما البرق وملأ عقلي بكل مخاوف الدنيا.

وهيمن عليَّ صوتها الرقيق الحنون كما لو أنها لم تصمت طوال هذه السنين. لكنه لم يزل كما كان، حنونا دافئا كما لو أن الموت نفسه لم يؤثر فيه.

-"أهذه أنتِ يا روان؟ كيف هذا!؟ كيف تتكلمين في الهاتف؟ أين أنتِ؟ ما هذا!؟"

وسقط الهاتف من يدي لشدة الهلع. لم أصدق أذني، لكن عقلي عاد الى هدوئه من جديد وحاول اقناعي بأنه ليس صوتها، بل صوت أختها التي تستخدم هاتفها. استجمعت قوتي وتناولت هاتفي وسألتها هذه المرة:

-"من تكونين؟ أ أنت أخت روان؟"

ضحكت ضحكتها المعهودة وأجابتني:

-"لا تخافي ولا تغلقي الخط. أنا صديقتك روان! لقد اشتقت اليك كثيرا، الى احاديثنا القديمة، الى مخاصماتنا والى آرائك."

لم يتحرك فمي، أضحى كما الميت. تجمدت خلاياه ولم تخرج منه كلمة مفهومة واحدة غير بعض الأصوات التي لا معنى لها. أدركَتْ ما يسببه الأمر لي من خوف لذا حاولت تهدئتي فتحدثت معي برقتها القديمة وقالت:

-"أنا صديقتك روان."

وأفلحتُ في النهاية في نطق بعض الكلمات المفهومة فقلت لها:

-"كيف؟ ألست ميتة؟ فكيف لك أن تتحدثي في الهاتف وتستخدمي الانترنت؟ كيف يحدث هذا وقد مضت على رحيلك عن دنيانا سنوات وسنوات؟"

أجابتني:

-"لا تخافي. صحيح إنني رحلت لكنني أتحدث اليك من العالم الآخر."

فسالتها كما المجنونة:

-"وهل ثمة هواتف وانترنت في العالم الآخر؟"

أجابت روان:

-"كل شيء موجود لكنه دون جسد وهذا أمر حسن."

ثم واصلت حديثها فهدأتُ قليلا وواصلت أنا الأخرى كلامي فقلت لها:

-"عقلي لا يتقبل الأمر، لكنني فعلا مشتاقة اليك كثيرا."

وعاد الي، خلال لحظة واحدة، فضولي وحبي للمعرفة فسألتها:

-"أين أنت؟ وأين يقع ذاك العالم الآخر وكيف هو؟ وهل ثمة من عذاب وحساب وعقاب؟"

-"أنا في عالم جميل للغاية، هادئ ومليء بالحب والرحمة والأمان.. عالم واحد.. ليست فيه عوالم مختلفة.. لا ساسة فيه، لا فقراء وأغنياء. لا تقتل فيه الحيوانات أو الأطفال أو النساء. مع انتهاء الجسد تصبح الأرواح طاهرة متساوية."

-"أترين أن الجسد هو المشكلة؟"

-"ربما. لا أعرف! .. ما أعرفه هو أن الجميع ها هنا دون أجساد وأنهم سعداء. لكن أخبريني: كيف حال الدنيا بعد كل هذه الأعوام؟ أنا مشتاقة جدا للحديث معك. كنت مصيبة في رأيي عندما كنت أطلب منك ألا تخافي. الوقت كفيل بالتغيير سواء

شئنا أم أبينا. ليس في مقدور أحد أن يصمد أمام امواج الزمن مهما عارض التغيير. أتذكر رأيك باستمرار عندما كنت تقولين أنت على حق، لكن أثر الزمن في بلداننا بطيء للغاية ولا يبلغ عمق الأمور ولا يتجه على الدوام صوب الحقائق. هل ما زلت مؤمنة بآرائك السابقة ذاتها؟ التغيرات في هذا العصر الحديث سريعة للغاية. أليست كذلك؟"

-"لا تتفاجئي، ما زلت مؤمنة بالآراء ذاتها. أشعر في كثير من الأحيان بأن عقولنا مختلفة عن عقول الخلق. بعض خلاياها ميتة، خصوصا تلك المختصة بالخيال والأحلام والتحولات."

-"هل تعنين بأن أية تحولات لم تحدث بعد كل هذه السنوات، وبأننا ما زلنا على حالنا؟!"

-"لا، لا. لقد حدثت بالفعل تحولات كثيرة: لقد ازداد عدد المتدينين، لكن الانسانية انحسرت! لقد ازداد عدد السياسيين لكن الخلاف والانقسام ازدادا بيننا! وتفاقم القتل والحروب! لقد تضاعفت الأموال وأعداد الأثرياء لكن الفقراء والمتسولين تضاعفت أعدادهم هي الأخرى! ازداد عدد المثقفين والمدارس والجامعات لكن التفكير ما زال إثما محرما! الديمقراطية ازدادت انتشاراً لكن الفكر المغاير ما زال يعد خيانة! وازدادت أعداد

المنظمات على اختلاف أنواعها لكن الحقوق كلها لم تزل مهضومة! الحق أقول لك: لقد صار الانسان أكثر وحشية!"

وتوقف صوت الهاتف في عقلي، لكنني ما زلت أتأمل صورتها!

نفيسة اسماعيل حاجي

رسّام

لا يصدّق أنه أكمل أخيراً ذلك العمل الذي ظل يشغل فكره مذ سبعة أعوام، ثمة رغبة متأججة كانت تلح عليه بأن يفعل ما لم ولن يفعله أحد. حياته كلها وهبها من أجلها، كانت دنياه كلها، ومن أجلها وُجد العالم.

في هذه الليلة انهى اللوحة، أحس بأنه دافنشي وبأن لوحته ستخلد مثل الموناليزا. أحاسيس لا حصر لها، أحاسيس من كل لون، تضطرب في صدره وتراكم فيه الخيالات والصور.

بعد أن فرغ من اللوحة وقف قبالها وراح يتأملها طويلا. لم يكن، لشدة فرحه، راغبا بأن يدير عينه عنها. في هذه اللوحة صوّر حياته برمتها، لكنه لا يعرف لماذا تصاعد وسط هذا السرور خوفٌ غامض لا يعرف كنهه.

تتكون اللوحة من منظرين: على الجانب الأيمن ثمة مشهد طبيعي حيث تصب السماء من زمن طويل دموعها الجافة، يهيمن البياض على المشهد، لا يتضح شيء خلا صورة كلب. الكلب نفسه لا يتبين إلا من عينيه السوداوين القريبتين من رأس صاحبه وهو منبطح بجواره ويلعق رأسه بلسانه.

على الجانب الآخر من اللوحة تقتحم المشهد حمرة نار متّقدة وصورة ذئب ترك وراءه صديقه الساقط أرضا. لا حدود تفصل بين المشهدين لكن إطاراً ذهبياً يحيط بهما معاً.

يقف الفنان، بيديه الملطخين بالأصباغ، قبالة اللوحة. يرتعش إطار اللوحة أمام ناظريه فيختلط عليه الأمر ويغمر الخوف قلبه. لكن، وخلال ثانية واحدة، تضيع النار وتزحف نحو الجانب الأيمن من اللوحة. الدموع الجافة التي تلون الطبيعة بالبياض تتحول شيئاً فشيئاً الى دموع ذائبة تبلل أرض المرسم وتختلط بأصباغه.

يجرجر الكلب صاحبه بأنيابه. يلقي الذئب نفسه خارج النار لكن صديقه يصير طعاما لها يؤججها. تتفكك اللوحة وتنصهر شيئا فشيئاً، وفي قاع المرسم تتشكل لوحة وحشية من نارٍ ودمٍ ولحم وألوان ويتحول الرسام الى جزء من اللوحة!

هزرفان عبد الله

قتلوا حجلتي[1]

دون موعد مسبق، اجتازَ بوابة بستان كرمي وتقدم صوبي. حين أبصرتُه وقعت في حيرة وتردد؛ كنت، من ناحية، أريد أن أقول له:

-"أيها المحترم لا أود رؤيتك الآن فأنا غاضبٌ منك وحانق عليك!

لكنني تذكرت تلكم الأيام حين كنت أقسمُ برأسه، حين كنت أحيط اسمه وفعاله بالجلال. لهذا راقبت مقدمه في صمت. كان، وهو يُقدم، يدير عينيه في الكروم ويفكر في موسم القطاف، وقبل أن يلقي السلام خاطبني مبتسماً:

-"لماذا كرمتك فقيرة بالأعناب؟"

لم أشأ أن أرد عليه بذلك الترحاب والحفاوة المعتادتين، تخلل جوابي شيء من البرود:

-"الكروم التي ترويها الأمطار تموت إذا أثقلت بالعنب"

أحس بالبرود في إيقاع جوابي، لكنه لم يبال بذلك وقال:

---

[1] الحَجَل أو القبَج: أحد الطيور البرية الجميلة التي تدجن أحيانا وتحظى بشعبية كبيرة عند هواة الطيور في كردستان.

-"عساك بخير. تعرف أنني أحسدك، أنت ببستانك هذا تنأى بنفسك عن الأوجاع والأحزان وهواء المدينة الوخم"

فكرتُ بأنها الفرصة السانحة لكي أفيض بما في قلبي، قلت له:

-"وهل يتركني الأوغاد كي أعيش لحالي أو أموت لحالي؟"

نظر اليّ في دهشةٍ. لم تكن جملتي الأخيرة التي لم يسبق له أن سمعني أتحدث بمثلها، ولا الطريقة التي تلفظتها بها، ولا الوقت الطويل الذي لم نر فيه بعضنا البعض لتنسجم جميعا مع تلك الكلمات. هذا ما أوقفه قليلا، كي يتأملني. أحسست بنوعٍ من التردد، أردت أن أخرج من هذا الذهول فاتبعته بجملة أخرى:

-"هلُمَّ إلي"

هرع نحوي كما لو كان يلبي نداء استغاثة، تقدم إليّ مسرعا وكأنه يريد أن ينقذني من الضائقة التي أنا فيها. وعانقني بطريقة لم أعهدها وقال لي:

-"أستحلفك بقبور الشهداء أن تخبرني بكل شيء. لم أرك يوماً على هذا القدر من الحزن والغضب. ما علّتك؟

كنتُ أود لو أنه عرف بأن علتي ما جاءت إلا منه، لكنه لم يك يعرف. كنت أود أن أقول له في وجهه أنت علّتي وإنك بفعلتك هذه أضعت ما كنت أكّنه لك من عظيم احترام، لكن حيائي من تلك السنوات التي قضيناها معا، من الأعوام العشرة التي يكبرني بها، من سنوات كفاحه، ومن كل تلك القصص والأحداث التي سمعتها عن بطولته ومروءته، وقفتْ كالسدّ أمامي. لكنني، استجابة لما استحلفني به من قبور الشهداء، لم أخف عنه ما أصابني فأجبته:

-"تعرف.. لقد قُتلت حَجلَتي!"

نظر إليّ في دهشة، لكنه لزم الصمت واشار بيده في أسى وهو يستأذن بالجلوس فأجبته:

-"تفضل بالجلوس"

ولكنه ما أن وضع وركه على الأرض حتى هبّ واقفا من جديد وقال:

-"لقد أحزنتني كثيرا، قل لي أولاً كيف قُتِلت؟ من قتلها؟"

رغبت كثيراً في أن أقول له "**تقتلها ثم تقول كيف قتلت!**" لكنني سكتُّ على مضض. ظل ينظر إلي بدهشة مستفهمة ثم قال:

-"حلفتك بالله أن تقول لي شيئاً"

-"حجلتي، جميلتي، عسلية العين، طويلة الجيد، مضى زمن منذ تعارفنا، لقد اتخذت لنفسها بيتاً، وكانت على وشك أن تفقس مجموعة من الفراخ، كانت ستصير أماً حانية، بعيداً عن أعين الوحوش والقتلة. كانت قد هيأت لنفسها مكاناً قريباً مني، عندما دنوت منها للمرة الأولى خافت ونفرت واختبأت مني لكنها بعد أن علمت بأنني لا أضمر لها شراً عادت متسللة الى بيتها، وصرت أمر قربها دون أن أخيفها وأنظر اليها بطرف عيني، فترخي عينيها الصفراوين كأنها تقول لي "أنا لا أراك، أنا لا أخافك فأنت، كما يبدو، لا تريد إيذائي" عندما ازداد ظهوري أمامها لم تعد تختبئ مني ولا تشيح عني. أحببتها وأحبتني، ألفتها وألفتني، صارت سلواي وصرت سلواها. كنت مقتنعاً بأنها لم تأت الى هذه الدنيا إلا لتؤنس وحدتي، وكانت مقتنعة بأنني خلقت كي أحميها.. كانت سيدة، سيدة جديرة بالحب، فأحببتها كما قلت لك. بوجودها تبددت وحدتي، وأنا من جانبي منحتها كل العناية والثقة والأمان. كانت، إذا شئت القول، مصدر سكينتي، وصديقاً اهتديت اليه في وحشتي.. نعم، كانت عيناها الصفراوان وجيدها الأهيف كل مالي في وحدتي. لكنكم أيها البشر الذين تتصرفون كالوحوش فيما بينكم تقتلون كل شيء وتنزلون

بأفعالكم أنواع الشرور على هذه الطبيعة الجميلة، حتى الماء والهواء فسدا من أفعالكم، وها هي الحيوانات البريئة تتعرض للانقراض على أيديكم"

كانت كلماتي تزيده غما، ظل ينصت الي بحزن عميق. اكتظت عيناي بالدمع، وغصصت بالبكاء ولم استطع السيطرة على نفسي فانهمرت وبللت وجهي، ولاحظت أن عينيه هو الآخر قد اغرورقتا، وقال لي مطيبا خاطري:

-"البكاء والنحيب يدخلان السلام الى قلب المرء.. أقسم بأن أثأر لك"

كنت أنظر الى وحشيته وبراءته معا. كيف يقدر أن يجمع الرحمة والفتك؟ لماذا لا أستطيع فهم هؤلاء الناس؟ أهذا هو نظام الوجود، أن يكون كل من فيها فاتكا ورحيماً معا؟ هذا أيضا هو حال الوحوش، يقتل الأسد غزالاً ليشبع بطنه وبطن صغاره الجائعين، حتى العصفور الصغير لا يتوانى عن الإمساك بجرادة أو دودة وتقديمها لأفراخه. الإنسان هو الآخر يستطيع أن يكون وحشا قاتلاً ورحيما في الوقت عينه، ولهذا ظل منتظراً لما أقول. مسحتُ أدمعي وواصلت حديثي:

-"أحببنا إذن بعضنا البعض، ونشأت بيننا ألفة محببة. اضطررت في الأسبوع المنصرم الى الابتعاد عنها ليومين لقضاء بعض الأشغال، وعندما عدت كان رأس حجلتي المقطوع ملقى على كومة الحجارة هناك وقد تناثر ريشها من حولها"

تصور في البداية أن حزني كان ضربا من التمثيل. خرج من دوامة همّه وانفجر في قهقهة اهتز لها بدنه وتردد صداها في العراء والمنحدرات القريبة، لكنه بعد أن أبصر عيني المحاصرتين بالغلّ والغضب ارتسمت على وجهه علامات الدهشة، وكما تضيع رقعة صافية من السماء بين حشد من الغيوم تراجع عن تصوره الخاطئ، وامتلأت عيناه بالندم فتوقف عن الضحك وأسبل رأسه ينظر في التراب بانزعاج ظاهر، وقال:

-"صحيح. أنا من قتلتها. لم أكن أعرف بأنك دجنتها. لقد ندمت كثيراً عندما قطعت رأسها"

أردت في البداية أن أرتمي عليه وآخذ بخناقه لكنني نفست عن غضبي بالكلمات:

-"وبعد ماذا؟! كنت تعرف أن جسدها لم يبق فيه قضمة لحم؟! لم تكن تصلح للطبخ؟! كانت راقدة على بيضها منذ خمسة عشر يوما. لقد تركت بيضها دون راع. بعد يومين ستنتشر الفراخ

دون حامٍ أو معيل في هذه الضواحي، من سيربيها؟! قل لي! ألم يبق في قلبك شيء من الوجدان؟! أي أذى ألحقت؟!"

لم يبد غضبا أو امتعاضا من كلامي. رفع عينيه المطأطأتين حتى الآن، كانت تفيضان بالاعتذار، قال لي بحزن شديد:

-"نشدتُك اللهَ هل كانت حقاً راقدة على بيضها؟ أنا مذنب حقا. هذه أول مرة أعرف بأنني أقدمت بالفعل على عمل غير انساني. أنا جاهز لكل شيء"

فكرت بقسمه على الانتقام فقلت له:

-"إن كنت نادما حقاً، كن بارّاً بيمينك. أقسِم بالانتقام. توقف عن قتل هذه الحيوانات البريئة. دع الحياة تعود الى بلادنا المدمَّرة!"

هيزل هدايَت

أختان وطفلة صغيرة

ليلى امرأة في الخامسة والخمسين. تلبس جلاّبية من القطيفة الحمراء. فاطمة اختها، تصغرها بخمسة أعوام، وهي الأخرى ترتدي جلابية من القطيفة الحمراء. كلتاهما تجلسان في صالة بيت الأخت الكبرى وثمة مدفأة ايرانية متّقدة. بينهن تجلس "كَفي" ذات الأعوام الثلاثة. الثلاثة جالسات على أريكة طويلة: ليلى في طرف، كَفي في المنتصف، وفاطمة في الطرف الأخر. رأس ليلى منحن على هاتفها السامسونغ، مشغولة بالفيسبوك أو اليوتيوب. أما سامسونغ فاطمة فهو في يد كَفي التي فتحت إحدى ألعابه. فاطمة تتوجه بكل جوارحها الى شاشة التلفزيون، مثل طالبة مجتهدة.

-"ليلى. تحولّي عن هذه المسرحية السخيفة."

تقول فاطمة لأختها.

لا جواب.

ليلى تضحك. ثم تصمت. ثم تضحك ثانية دون أن ترفع رأسها عن موبايلها لثانية واحدة.

بعد دقائق..

-"هيا يا ليلى، غيري القناة عن هذه المسرحية عديمة المعنى."

ولا جواب.

تبكي كَفي.. لقد نفدت بطارية الموبايل. تنهض فاطمة وتذهب الى غرفة أخرى وتجلب شاحنة السامسونغ، تضعها في مقبس الكهرباء فوق رأس كه ڤي. يعود الموبايل للعمل. تسكت كه ڤي من جديد. ليلى ما تزال عاكفة على موبايلها.

-"ليلى، تحوّلي عن هذه المسرحية الكريهة."

تقول لأختها مرة أخرى.

لا جواب.

تتلقى ليلى مكالمة تلفونية. إنه زوجها.

-"هل أجلب معي شيئاً؟"
-"نعم. أجلب بذور عباد الشمس."
-"جلبت منها أول أمس. كيف نفدت بهذه السرعة؟"
-"نفدت!"

تنتهي المكالمة.

-"ليلى. تحولي بالله عليك عن هذه المسرحية الحزينة."

ومرة أخرى.. لا جواب.

تعاود كَفي البكاء. إنها الآن جائعة. تذهب فاطمة الى المطبخ. تضع بعض الرز في صينية وتسكب فوقه شيئا من المرق وتجلبه الى كَفي. تشرع فاطمة بإطعام الطفلة الصغيرة بيدها. مرة أخرى يغطي الصمت الغرفة.

تطلق ليلى ضحكة قصيرة أخرى. ما زال رأسها منحن على موبايلها.

-"ليلى. ألا تتحولين عن هذه المسرحية التي تبقر البطن؟"

لا جواب.

تسند فاطمة ظهرها على الأريكة وتواصل النظر الى شاشة التلفزيون مثل تلميذ مطيع.

صمت.

بعد قليل تضع ليلى موبايلها على الطاولة وتتناول (كونترول) التلفزيون وتشرع بالتفرج عليه.

-"ما هذه المسرحية السخيفة؟"

تخاطب ليلى أختها.

-"ها فاطمة. أغيّر القناة؟"

تدير ليلى رأسها وترى كَفي وهي تبكي. تنظر الى فاطمة وترى أجفانها منطبقة وقد استغرقت في نوم عميق.

يونس أحمد

ثلاث قصص قصار جداً

(١) أقف على قبري.. وأضحك!

إنه الصباح. وها أنا أمضي في طريقي. قطيع من الكلاب يتجمع حول شيء ما. أنيابها تنهش شيئاً ما.

تتهارش الكلاب. يتصاعد نباحها.

أعلى..

أشد ضراوة..

يطارد بعضها البعض، تلف وتدور حول ذلك الشيء.

أقتربُ.

يتضح لي أنها جثة..

إنه الصباح. وها أنا أمضي في طريقي. تتهارش الكلاب، بعد قليل تتجمع حول الجثة من جديد.

أدنو

الجثة غير واضحة المعالم.

أهي لبقرة؟ لحمار؟ أم لتيس؟

القتال بين الكلاب يتأجج ويخبو.

أدنو.

تطارد بعضها البعض. تنقض بعضها على أكتاف بعض بالمخالب والأنياب. يرتفع صرير حناجرها وتتهارش من جديد.

تتفرق..

تتجمع.

أدنو.

آثار الدم على أفواهها وبراطمها وأسنانها.

أدنو.

لا، ليست جثة بهيمة.

أدنو.

النباح يستمر.

أدنو.

إنها جثة إنسان. تشعر الكلاب بي. تنتحي جانباً وتنظر لي شزراً.

أقف على رأس الجثة وأتملّاها..

كح كح كح كح كح

أغص بالضحك..

كح كح كح كح

استغرق بالضحك..

أواصل المسير

إنه الصباح. وها أنا أمضي في طريقي.

وأترك جثتي بين أنياب الكلاب ومخالبها !

(٢) أنا ونفسي

چرب.. چرب.. چرب

ثلاث قطرات.

ثلاث قطرات من الدم.

ثلاث خطوات.

في الخطوة الرابعة أقف قبالته.

تتوقف القطرات.

الجسد معلق من قدميه

أمام دكان القصاب معلق من عرقوبيه.

أرضية الدكان والساقية الخارجة منه مخضبة بالدماء.

چرب.. چرب.. چرب

ثلاث قطرات من الدم تسقط من الجسد المعلق بخطّافٍ من قدميه.

ايقظتني.

ثلاث خطوات مشيتها وفي الرابعة وقفت قبالته.

نظرت اليه

نظرت ملياً الى شكله وهيئته

أحس بي

رأسه المذبوح من قصبته الهوائية أحس بي وحدّق بي

نظرتُ اليه

نظر اليّ

ابتسمتُ له

ابتسمَ لي

خلال زمن أمدُه ثلاث قطرات وثلاث خطوات

خلال وقت قصير للغاية انسلختُ من نفسي دون إرادة مني

انسلختُ من نفسي و..

وارتميتُ في حضني !

(٣) بطاقة هويّة

توقفت السيارة في نقطة التفتيش. دنا منها الشرطي وخاطب الركاب:

-"أروني هوياتكم رجاءً."

أخذ ينظر الى الهويات التي تكومت في يده ويقارن صورها بأوجه الركاب ويعيدها لهم واحداً واحداً. في الزاوية ثمة شاب صامت. صاح به الشرطي:

-"هيه أنت. ألم تسمعني؟"

-"بلى."

-"فلماذا هذا التواني؟"

-....

-" وأنت.. ألديك هوية؟"

-"نعم."

-"لماذا لا تبرزها إذن؟"

-....

-"تكلّم. هل أنت أخرس؟"

تأمل الشاب قامة الشرطي. انحنى ومد يديه تحت المقعد. سحب طمبوراً ووضعه في حضنه وشرع يلاعبه بأصابعه. ابتسم الشرطي وهز رأسه وكفّه.

-"كفى.. كفى.. قد فهمتُ."

وضرب مقدمة السيارة بقبضته وصاح بالسائق:

-"امضِ.. أسرِع ولا تتوقف!"



نبذة عن المترجم

عن المترجم

د. ماجد الحيدر

قاص وشاعر ومترجم وصحفي من كوردستان العراق

يكتب ويترجم باللغات العربية والكوردية والانكليزية

ولد في بغداد عام ١٩٦٠ وتخرج من كلية طب الأسنان فيها ١٩٨٤

من أعماله المنشورة :

١. النهار الأخير (مجموعة شعرية) – بغداد ٢٠٠٠
٢. في ظل ليمونة (مجموعة قصصية) – بغداد ٢٠٠١
٣. ماذا يأكل الأغنياء (مجموعة قصصية) – بغداد ٢٠٠٢
٤. مزامير راكوم الدهماء وقصائد أخرى (مجموعة شعرية) – بغداد ٢٠٠٢
٥. نشيد الحرية وقصائد أخرى لشيللي(ترجمة) –دار الشؤون الثقافية–بغداد ٢٠٠٤
٦. الإيدز بين المناعة والفيروس– دار الشؤون الثقافية– بغداد ٢٠٠٤

٧. عبور الحاجز–قصائد من الشعر العالمي (ترجمة) – دار المأمون–بغداد ٢٠٠٧

٨. ناجون بالمصادفة (مجموعة شعرية) – دار سبيريز– دهوك ٢٠٠٩

٩. ضحك كالبكاء (كتابات ساخرة) – منشورات ملتقى الأهالي–بغداد–٢٠١٠

١٠. الثلج والنار والأغنيات–مختارات من شعر مؤيد طيب (ترجمة) – دار الثقافة الكوردية-بغداد ٢٠١٠

١١. مالاني (قصص قصيرة بالكوردية) – منشورات اتحاد الأدباء الكورد–دهوك ٢٠١٢

١٢. The Psalms of Rakoom the Black and Other Poems–Proclaim Press–Pittsburgh–P.A.–USA

١٣. Yes, It's Me– Selected Poems–Union of Kurd Writers–Duhok–2014

١٤. في الذكرى السنوية لرحيلي (قصص قصيرة) – وزارة الثقافة – بغداد– ٢٠١٤

١٥. غلطة من هذه؟ (مجموعة شعرية) – مطبعة جامعة دهوك–دهوك ٢٠١٥

١٦. ستأخذنا الريح- مائة قصيدة وقصيدة من الشعر النسوي العالمي (ترجمة)-الهيئة السورية للكتاب-دمشق ٢٠١٦

١٧. الملاك الألثغ الصغير (قصص) - دار أمل الجديدة - دمشق ٢٠١٦

١٨. مؤيد طيب، قصائد مختارة (ترجمة) - دار ومكتبة جزيري -دهوك ٢٠١٦

١٩. الله شفيق بأطفال الروضة (قصائد مترجمة ليهوذا عميخاي)- دار ألكا للنشر-بروكسل ٢٠١٨.

٢٠. كفّ عني يا فيثاغورس (شعر) - دار سبيريز للطباعة والنشر - دهوك - ٢٠١٨

٢١. لا ريح تقلُني. لا أرض تحملني، مختارات من شعر مؤيد طيب (ترجمة)-دار فضاءات للنشر-عمان ٢٠٢٠

٢٢. أمي تذهب الى الجنة، مختارات من شعر قوبادي جليزاده (ترجمة) السليمانية- ٢٠٢١

٢٣. حكايات الموقد الخشبي، قصص وحكايات من الفولكلور الكوردي، معهد التراث الكردي، دهوك ٢٠٢١.

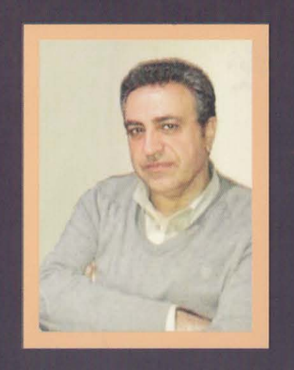
٢٤. بلاد تكره المطر، مجموعة شعرية، منشورات الاتحاد العام للادباء والكتاب، بغداد ٢٠٢٢.

٢٥. بنسيون الربوة العالية، قصص مترجمة للقاص الكوردي اسماعيل هاجاني، دار الثقافة والنشر الكوردية، بغداد ٢٠٢٢.

عنوان البريد الالكتروني

majidahydar@gmail.com

العنوان البريدي: جمهورية العراق-إقليم كوردستان-دهوك-اتحاد الأدباء الكورد



ترێی تاڵ

چەند چیرۆکێك لە وڵاتی کوردان

هەڵبژاردن و وەرگێڕانی

ماجید ئەلحەیدەر



التسلسل (٦١٢)

السعر : ٦٥٠٠ دينار

وزارة الثقافة والسياحة والآثار

دار الثقافة والنشر الكوردية

تصميم: منى محمد غلام

بغداد ٢٠٢٣